إرشاد البرية

إلى

شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية

كتبه

أبو عبد السلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي

دار الآثار

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



www.dar-alathar.com

اليمن صنعاء - شارع تعز - حي شميلة - مقابل جامع الخير - ص ب ١٧١٩٠ فاكس ٦٠٣٣٥٦

(+٩٦٧ ١) هاتف الإدارة ٦١٣٣٦٥ المكتبة ٦٣٣٧١٧ بريد إلكتروني info@dar-alathar.com

○ فرع عدن كريتر - بجوار مسجد أبان - هاتف ٢٦٦٩٨٦

○ فرع المكلا الشرج - أسفل المسجد الجامع من جهة القبلة - هاتف ٣٠٧١١٢

○ فرع دماج دار الحديث - مقابل مسجد أهل السنة هاتف ٥١٩٣٢١

الوكلاء خارج اليمن

○ مصر دار الآثار القاهرة - عين شمس الشرقية - هاتف ٦٤٢٢٣٣٣ - فاكس ٦٣٦٣٧٨٦

○ الجزائر مجالس الهدى الجزائر العاصمة - باب الوادي - هاتف ٠٢١٩٦٧٧٠٠ - فاكس ٠٢١٩٦٦١٠٠

إرشاد البرية

إلى

شرعية الانتساب للسلفية

ودحض الشبه البدعية

كتبه

أبو عبد السلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

مقبل بن هادي الوادعي

رحمه الله

دار الآثار

صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الغر الميامين.

أما بعد: فهذه هي الطبعة الثانية لكتابي "إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية" أقدمها للقراء الأعزاء بعد أن نفدت طبعتها الأولى، والتي بحمد الله لاقت استحسان المنصفين من العالمين، وكانت دحرًا -بتوفيق الله- للمرجفين الأَفَّاكِيْنَ، وثباتًا بعون الله للسالكين، وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بأمور:

١) الإخراج الجيد للكتاب.

٢) تعديل الأخطاء المطبعية والإملائية.

٣) حذف أمور ليست من الأهمية بمكان، وإضافة جمل ومباحث والتي من أهمها مبحث (القول الرشيد في دحض شبهة التقليد التي جاء بها أبوالحسن العنيد).

وعليه فإنني بهذه المناسبة أقدم الشكر للأخ الفاضل سعيد حبيشان صاحب دار الآثار بصنعاء على جهوده التي يبذلها في نشر كتب علماء ودعاة

السنة نحسبه كذلك والله حسيبه على العكس من بعض المتأكلة على حساب جهود طلبة العلم[١]، والله المستعان.

كذلك أخص بالشكر الإخوة الأفاضل الذين كانت لهم بعد الله اليد الطولى في تشجيعي على الاستمرار في البحوثات ومنهم الأخ الفاضل محمد ابن منصور القاضي، والأخ الفاضل خالد باحشوان، والأخ الفاضل علي ابن رمضان الكردي، والأخ الفاضل أبوفؤاد سعيد بن صلاح، والأخ الفاضل سامي بن عطية، ولا يفوتني أن أنوه بالشكر كذلك للأخ الفاضل أبي عبدالله العراقي على توجيهاته الطيبة نحو البحث، فجزى الله الجميع خيرًا، وأسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة له، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: أبوعبدالسلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي

١٦/ محرم/ ١٤٢٦هـ

---

(١) ومنهم إدريسي صنعاء الذي سقط على أم رأسه في فتنة أبي الحسن المصري، بل كان عياذًا بالله ساقطًا قبل ذلك، نسأل الله الثبات على الحق.

تقديم الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل «خَيرُ الناسِ قَرنِي ثمَّ الَّذين يلُونَهم ثمَّ الَّذين يلونَهم ثمَّ الَّذين يلونهم ثمَّ يَأْتِي قَومٌ يشهدُونَ ولا يُستَشهَدُون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] الآية.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: أما بعد...

فقد اطلعت على مواضيع من كتاب أخينا الشيخ الفاضل حسن بن قاسم الريمي "إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية" فوجدته حفظه الله قد أجاد وأفاد وأحسن بهذا الكتاب العظيم الرد على المبتدعة الذين يزعمون أنه لا يجوز الانتساب إلى السلفية فنقول: يا أيها الملبسون لسنا بأول من اخترع هذا الاسم فراجعوا الانساب للسمعاني.

وإنما الشأن كل الشأن في تحقيق هذا الاسم الكريم على من انتسب إليه فلا يكون ديمقراطياً ولايكون صوفياً ولايكون شيعياً فإن السلفي وكذا السني اسمان مترادفان لمن تمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ على

(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود وعمران بن حصين.

فهم السلف الصالح فعلى هذا لاتصدق هتان التسميتان على الحزبيين ولا على المبتدعة ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:٢٣] فجزى الله أخانا الشيخ حسنًا على هذا الكتاب القيم ونسأل الله أن يوفقه لمواصلة السير في الذب عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ وأن يعيذنا وإياه من فتنة الحزبية ومن فتنة المحيا والممات إنه جواد كريم.

أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اعلم أخي الكريم -وفقني الله وإياك- أن الانتساب للسلفية انتساب

للجادة الَّتِي كان عليها رَسُول الله ﷺ وأصحابه؛ ذلك أنَّها تمثل الإسلام الخالص الصافي من أدران الشرك والبدع، والذي جعلني أكتب حول هذا الموضوع عدة أمور أجملها فِي الآتِي:

أولاً: واجب النصيحة، فقد ثبت عند الإمام مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قَالَ: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ثانيًا: حب الخير للغير، فقد ثبت فِي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حَتَّىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ثالثًا: ما رأيته من تلبيس وتشويه لحقيقة الدعوة السلفية حَتَّىٰ عدت عند كثير من الناس حزبًا من الأحزاب المذمومة شرعًا، ولقد أحسن القائل:

يا ابن الكرام ألا تَدْنُو فتبصرَ ما ... قد حدَّثُوك فما رَاءٍ كمن سمعا

وما علم أولئك وغيرهم أن الدعوة السلفية ليس لَهَا قائد ولا إمام سوى مُحَمَّد ﷺ بخلاف الدعوات المنحرفة الأخرى فإن كل دعوة منها تنسب إِلَى من أحدثها أو إِلَى البدعة الَّتِي عرفت بها.

قال الإمام اللالكائي: «ثُمَّ كل من اعتقد مذهبًا فإلى صاحب مقالته الَّتِي أحدثها ينتسب وإلى رأيه يستند إلا أصحاب الحديث فإن صاحب مقالتهم رَسُول الله ﷺ فهم إليه ينتسبون وإلى علمه يستندون وبه يستدلون،... وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون فمن يوازيهم فِي شرف

الذكر؟ ويباهيهم فِي ساحة الفخر وعلو الاسم؟»»[١].

وقال الشيخ الفوزان: «وسموا أهل السنة لانتسابهم لسنة الرسول ﷺ دون غيرها من المقالات والمذاهب بخلاف أهل البدع فإنَّهم ينسبون إلَى بدعهم وضلالاتهم كالقدرية والمرجئة، وتارة ينسبون إلَى إمامهم كالجهمية، وتارة ينسبون إلَى أفعالهم القبيحة كالرافضة والخوارج»[٢].

قلت: ومن هذا القبيل الفرق المعاصرة الَّتِي تسمى بـ «الجماعات الإسلامية» فمنها ما ينسب إلَى بدعها وضلالاتها كفرقة التكفير والهجرة، ومنها ما ينسب إلَى إمامها كالسرورية القطبية، ومنها ما ينسب إلَى أفعالها القبيحة كالتبليغ والجهاد[٣]، وهكذا فرقة الإخوان المسلمين وحزب التحرير وغيرها من فرق الضلال، فإن الناظر بحق وإنصاف فِي أحوال هذه الفرق يجدها بعيدة كل البعد عن النهج النبوي السوي وليس هذا موضع البسط حول هذه الفرق.

أما الدعوة السلفية فإن الذي أرسى دعائمها وأقام جذورها هو رَسُول الهدى مُحَمَّد بن عبدالله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]: «يُخبر -تبارك وتعالى- عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم، وقد اختلفوا فِي ذلك فقال مجاهد وقتادة أي: نبيهم، وهذا كقوله

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» اللالكائي (١/ ٢٣-٢٤).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص١٠).

(٣) أقصد التبليغ على غير بصيرة، والجهاد على غير روية.

تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ الآية [يونس: ٤٧]. وقال بعض السلف: هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ»[1].

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي: «مؤسس الدعوة السلفية هو رسول الله ﷺ»[2].

وهكذا قام بالدعوة من بعده صحابته الكرام -رضوان الله عليهم- ثم تلاهم التابعون وأتباعهم من أمثال: الحسن البصري وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وعبدالله بن المبارك، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، والشافعي، وأبي إسحاق الفزاري، ووكيع بن الجراح، وإسماعيل ابن عُلَيَّة، والسفيانين، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنَّسائي، وابن ماجه، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن عبدالوهاب، وأبنائه وأحفاده، والشوكاني، ثم في عصرنا هذا من أمثال الشيخ ابن باز رحمه الله، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الفوزان، والشيخ ربيع المدخلي، والشيخ مُحَمَّد بن أمان الجامي رحمه الله والشيخ الألباني رحمه الله، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، وغيرهم ممَّن ترسم خطاهم.. كلهم يدعون إلى منهج واحد وعقيدة واحدة.

ولقد أحسن الإمام الأصبهاني عندما قال: «وكان السبب في اتفاق أهل

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥-٥٦).

(٢) البركان لنسف جامعة الإيمان (ص ٣٦).

الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف...»[١].

ثمّ اعلم أخي -بارك الله فيك- أن السلفية رسم شرعي أصيل يرادف «أهل السنة والجماعة وأهل الأثر وأهل الحديث والفرقة الناجية الطائفة المنصورة»، وقد كان أصل هذا البحث المتواضع فاتحة لكتابي: «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية على المجتمعات الإسلامية» فرأيت أن أفرده في كتيب صغير[٢] تلبية لرغبة بعض إخواننا من أهل السنة وحتى يكون تثبيتًا -إن شاء الله- للسالكين وتنبيهًا للغافلين وحجة على المعرضين.

وقد قال الشيخ الوالد المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله عند أن قرئ عليه هذا البحث من كتاب «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية»: «هذا المبحث مبحث مهم فيشكر المؤلف عليه ويشكر أيضًا على تصديره هذا الكتاب بهذا البحث»[٣].

وعند الإفراد رأيت أن أضيف على فصوله الستة أربعة فصول أخذًا باستشارة بعض العلماء والإخوة الأفاضل جزاهم الله خيرًا وهي:

١- وجوب اتباع منهج السلف والأدلة على ذلك.

٢- الصفات الَّتي يستحق بها العبد أن يكون سلفيًا.

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» الأصبهاني (٢/ ٢٢٦).

(٢) ذلك قبل إضافة فصل: شبهات وردود حول الدعوة السلفية.

(٣) «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية» الحسني (ص ٩).

٣- شبه وردود حول الدعوة السلفية.

٤- مقارنة مختصرة بين الدعوة السلفية ودعوتي الإخوان والتبليغ.

فيتمخض البحث عن عشرة فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول: المراد بلفظة "سلف".

الفصل الثاني: بداية ظهور هذا المصطلح.

الفصل الثالث: التحديد الزمني لاستعمال لفظة "سلف".

الفصل الرابع: مرحلة تدوين المذهب السلفي.

الفصل الخامس: الانتساب للسلفية ليس من التحزب الممقوت.

الفصل السادس: وجوب اتباع منهج السلف والأدلة على ذلك.

الفصل السابع: الصفات الَّتِي يستحق بها العبد أن يكون سلفيًّا.

الفصل الثامن: انتساب الفرق المبتدعة للسلفية دعوى خالية من البرهان.

الفصل التاسع: شبه وردود حول الدعوة السلفية.

الفصل العاشر: مقارنة مختصرة بين الدعوة السلفية ودعوتي الإخوان والتبليغ.

وسميت البحث بفصوله العشرة "إرشاد البرية إلَى شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية".

كلمة شكر وتقدير

فإنه عملاً بحديث أبي هريرة عند الإمام أحمد: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» فإني أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم معي في إتمام هذا البحث المتواضع فأفادني بفائدة أو استدرك عليَّ شيئًا أو راجع محتوى البحث، وأخص من هؤلاء والدنا وشيخنا العلامة المحدث: مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله فقد اطلع على مواضيع من هذا البحث وكتب مقدمة له وأرسلها إليَّ من مكة المكرمة فجزاه الله خيرًا، وكذا أشكر أخانا الشيخ الفاضل أبا عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري فقد اطلع على البحث كاملًا بتكليف من والدنا مقبل فجزاه الله خيرًا.

والله أسأل أن ينفع بهذا المُؤلَّفِ كاتبه وناظره وأن يجزل لي المثوبة في الدارين ويجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه: أبوعبدالسلام حسن بن قاسم الحسني السلفي

١٢ رجب ١٤٢١هـ

الفصل الأول:

المراد بلفظة (السلف)

المعنى اللغوي:

قال ابن منظور: «وَالسَّلْف والسليف وَالسَّلْفَةُ: الجماعة المتقدمون»[١].

وقال أبو السعادات بن الأثير: «وقيل: سلف الإنسان من تقدم بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»[٢].

وقال عبد الكريم السمعاني: «السلفي -بفتح السين واللام- وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم»[٣].

وقال أبو الحسن بن الأثير الجزري: بعد أن نقل كلام السمعاني المتقدم: «وعُرِف به جماعة»[٤].

المعنى الاصطلاحي:

(١) «لسان العرب» (٦/ ٣٣٠).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٩٠).

(٣) «الأنساب» (٧/ ١٠٤).

(٤) «اللباب في تهذيب الأنساب» (٢/ ١٢٦).

قال الإمام السَّفارِيني: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهِدَ له بالإمامة وعُرف عِظَمُ شأنه في الدين وتلقى الناسُ كلامهم خلفًا عن سلف دون من رُمي ببدعة أو شُهِرَ بلقب غيرَ مَرضيٍّ مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء"[١].

وسُئِلت اللجنة الدائمة: ما هي السلفية وما رأيكم فيها؟

"السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى رضي الله عنهم الذين شَهد لهم رسول الله ﷺ بالخير في قوله: «خير الناس قرني ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ يجيء أقوام تَسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته». رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة"[٢].

وقال سَماحةُ الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو "سلفي" ومن خالفهم في ذلك فهو من "الخلف""[٣].

---

(١) "لوامع الأنوار" (١/ ٢٠).

(٢) "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية" برقم (١٣٦١) (٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٣) نقلاً من تعليق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري على "العقيدة الحموية" (ص ٢٠٣).

وقال شيخنا محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله: «عندما تطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضًّا طريًّا... كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم خير الناس حيث يقول ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين»[(١)].

وقال شيخنا صالح بن عبدالله العبود: «إن المراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة والجماعة ومعنى ذلك هو الإجماع المحتج به؛ لأنه الاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان...»[(٢)].

وقال الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد: «وإذا قيل: السلف، أو السلفيون، أو لجادتهم: السلفية: فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح: جميع الصحابة رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت بهم الأهواء بعد الصحابة رضي الله عنهم من الخلوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم، وعليه فإن لفظة «السلف» هنا يعني: السلف الصالح، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حتى ولو كان في

(١) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة» (ص ٥٧).

(٢) «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» (ص ١٩٥).

عَصْرِنَا... وهكذا، وعلى هذا كلمة أهل العلم، فهي نسبة ليس لها رسوم خارجة عن مقتضى الكتاب والسنة، وهي نِسْبَةٌ لَمْ تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول، بل هي منهم وإليهم، أما من خالفهم باسم أو رسم، فلا، وإن عاش بينهم، وعاصرهم، ولهذا تبرأ الصحابةُ رضي الله عنهم من القدرية والمرجئة ونحوهم»[1].

وقال أيضًا: «كن سلفيًا على الجادة طريق السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين من التوحيد والعبادات ونحوها...»[2].



(١) «حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» (ص ٤٦-٤٧).

(٢) «حلية طالب العلم» (ص٨).

الفصل الثاني

بداية ظهور هذا المصطلح

قال شيخنا محمَّد أمان الجامي: "وقد ظهر هذا الاصطلاح، واشتهر حين ظهر النِّزاعُ ودارَ حَول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميعُ الانتسابَ إلَى السلف وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح، فإذن لأبد أن تظهر -والحالة هذه- أسس وقواعد واضحة المعالم وثابتة للاتجاه السلفي حتَّى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتداء بهم، وينسج على منوالهم"[1].

وقال الشيخ بكر أبوزيد: "وقد كان المسلمون الأوائل -وهم الصحابة رضي الله عنهم قبل بزوغ بذرة التفرق والانشقاق ليس لهم اسم يتميزون به؛ لأنَّهم كما ذكر يُمثلون الإسلام، والامتداد الطبعي له؛ لكن لَمَّا حصلت تلك الفرق الضالة الَّتِي يشملها لفظ: أهل الأهواء؛ لغلبة اتباع الهوى عليهم، ولفظ أهل البدع؛ لاتباعهم ما هو خارج عن الدين، أجنبي عنه، وأهل الشبهات؛ لأنَّهم يلبسون الحق بالباطل، فيشبهون به على العامة، لبناء خروجهم عن السنة على مرض الشبهة الفاسدة، وقدوتهم في هذا العدو الأول إبليس -لعنه الله- فإنه أول من قاس قياسًا فيما ذكر الله عنه:

(١) "الصفات الإلهية" (ص ٥٧-٥٨).

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]. لَمَّا حصلت تلك الفرق، منتسبة إلى الإسلام، منشقة عن العمود الفقري للمسلمين، ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين، لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان من الأسماء ثابتًا لَهم بأصل الشرع: الجماعة، جماعة المسلمين، الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولهذا حصل الربط لَهم بالصدر الأول، فقيل لَهم: السلف -أهل الحديث- أهل الأثر، أهل السنة والجماعة، وهذه الألقاب الشرعية تخالف أي لقب كان، لأي فرقة كانت...»[1].



(١) "حكم الانتماء" (ص ٤٠-٤١).

الفصل الثالث

التحديد الزمني لاستعمال لفظة (سلف)

فمن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: أن فاطمة رضي الله عنها قالت: «إنه أي: النبي ﷺ حدثني: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنكِ أول أهلي لحوقًا بي ونعم السلف أنا لكِ»[(١)].

قال النووي: «والسلف: المتقدم، ومعناه: أنا متقدم قُدّامكِ فتردين عليّ»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لو أن رجلاً أدرك السلف الأول، ثم بعث اليوم، ما عرف من الإسلام شيئًا، قال: ووضع يده على خده، ثم قال: «إلا هذه الصلاة».

ثم قال: «أما -والله على ذلك- لمن عاش في هذه النكر، ولم يدرك ذلك السلف الصالح، فرأى مبتدعًا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله عن ذلك، وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف

(١) البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: من ناجى بين يدي الناس (١١/ ٨٠)، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة (٤/ ١٩٠٥).

(٢) «شرح النووي لمسلم» (١٦/ ٧).

الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم، ويتبع سبيلهم، ليعوض أجرًا عظيمًا وكذلك فكونوا إن شاء الله»[(١)].

وعن ميمون بن مهران عن أبيه قال: «لو أن رجلاً أُنشِر فيكم من السلف ما عرف غير هذه القبلة»[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: «مهران والد ميمون الجزري قال البغوي: ذكره البخاري في الصحابة»[(٣)].

بوّب الإمام البخاري في صحيحه فقال: «باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل».

وقال راشد بن سعد: «كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر».

قال ابن حجر: «راشد بن سعد هو المقرأ -بفتح الميم وتضم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة- [(٤)] تابعي وسط شامي مات سنة ثلاث عشرة بعد المائة».

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٣٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «الإصابة في تمييز الصحابة» -حرف الميم- القسم الأول (٣/ ٤٦٧).

(٤) كذا قال ابن حجر في «الفتح»، وفي «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٢٥) قال: القرائي والصواب المقرئي بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ثم ياء النسب. انظر تقريب التهذيب (ص ٣١٥) ط: دار العاصمة.

وقال: قوله "كان السلف" أي من الصحابة فمن بعدهم"[١].

وبوب أيضًا في كتاب الأطعمة باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام"[٢].

وقال الإمام أبوعمرو الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وَقِفْ حيث وَقَفَ القوم، وقل بما قالوا، وَكُفَّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم"[٣].

وقال أيضًا: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول"[٤].

وقال أبوعاصم النبيل: "سمعت سفيان الثوري وقد حضر مجلسه شاب من أهل العلم وهو يترأس ويتكلم ويتكبر بالعلم على من هو أكبر منه، قال: فغضب سفيان، وقال: لم يكن السلف هكذا، كان أحدهم لا يدعي الإمامة ولا يجلس في الصدر حتى يطلب هذا العلم ثلاثين سنة، وأنت تتكبر على من هو أسَنُّ منك، قم عني ولا أراك تدنو من مجلسي"[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب

---

(١) "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (٦/ ٦٦).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٥٥٢).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" اللالكائي (١/ ١٥٤).

(٤) "الشريعة" للآجري (ص٥٨).

(٥) "المدخل إلى السنن الكبرى" البيهقي (ص٣٨٨).

السلف لا يكون إلا حقًّا»[١].

ونقل ابن تيمية عن أبي سليمان الخطابي في رسالته «الغنية عن الكلام وأهله» قال: «فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها»[٢].

وقال شمس الدين بن مفلح رحمه الله: «فصل: في رد جواب الكتاب وأسلوب السلف في المكاتبة كالسلام»[٣].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيًّا ذكيًّا نحويًّا لغويًّا زكيًّا حييًّا سلفيًّا يكفيه أن يكتب بيده مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة وتواضع وإلا فلا يَتَعَنَّ»[٤].

وقال أيضًا: «وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام».

قلت -أي: الذهبي-: لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك بل كان سلفيًّا»[٥].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

(٢) «الفتوى الحموية» (ص ٣٦٥، ٣٦٦) تحقيق الشيخ/ حَمَد بن عبد المحسن التويجري.

(٣) «الآداب الشرعية» (١/ ٣٤٣).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٨٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» ترجمة الدارقطني (١٦/ ٤٥٧).

وقال أيضًا: «فالسِّلفي مستفاد مع السَّلَفي -بفتحتين- وهو من كان على مذهب السلف»[(١)].

وقال أيضًا: «وكان على عقيدة السلف...»[(٢)].

وقال أيضًا: «وكان دَيِّنًا خَيِّرًا سلفيًا مهيبًا...»[(٣)].

وقال أيضًا: «وكان عارفًا بالمذهب خَيِّرًا متواضعًا سلفيًا حميد الأحكام...»[(٤)].

وقال أيضًا: «فإن أحببت يا عبدالله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثُمَّ انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات وما حكوه من مذاهب السلف...»[(٥)].

وقال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]. «فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا..»[(٦)].

---

(١) المصدر السابق ترجمة أبي طاهر السِّلفي (٢١/ ٦).

(٢) «معجم الشيوخ»، ترجمة أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي (١/ ٣٤).

(٣) المصدر السابق، ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الفضل البهراني (٢/ ٢٨٠).

(٤) المصدر السابق، ترجمة يحي بن إسحاق بن خليل الشيباني (٢/ ٣٦٩).

(٥) «العلو للعلي الغفار»، للذهبي، اختصار الألباني (ص ٨٠).

(٦) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٣٠).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وقد أحببت أن أشرحها سالكًا طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمرتهم»[١].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله: «فنحن والحمد لله متبعون غير مبتدعين، مقلدون[٢] للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو أمر الله ورسوله ﷺ»[٣].

وقال الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم خلافًا لمن قال طريق الخلف أعلم»[٤].

وقال الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل رحمه الله: «وهذه هدية[٥] نهديها إليكم من كلام علماء المسلمين وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما نحن ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية لأقوم منهج وطريق والسلام»[٦].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»، المقدمة (ص ٧٤).

(٢) قال الشيخ مقبل الوادعي -حفظه الله-: «والصواب أن يقال: متبعون للكتاب والسنة، لأن التقليد يكون في اتباع من ليس بحجة وبغير حجة».

(٣) «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» لشيخنا صالح العبود (ص ٢٢٠).

(٤) «الدرر السنية» (١/ ٢٢٦).

(٥) قال ابن القاسم رحمه الله: إشارة إلى كتاب «الهدية السنية» للشيخ/ سليمان بن سحمان.

(٦) المصدر السابق (١/ ٥٩٥).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وليست الوهابية مذهبًا خامسًا كما يزعمه الجاهلون والمغرضون وإنَّما هي دعوة إلَى العقيدة السلفية وتجديد لِمَا درس مِن معالم الإسلام والتوحيد»[1].

وسئل أيضًا عن الفرقة الناجية فقال: «هم السلفيون، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح»[2].

وقال الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين -حفظه الله-: «فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقدًا، حَتَّى المتأخر إلَى يوم القيامة إذا كان على طريقة النَّبِي ﷺ وأصحابه فإنه سلفي»[3].

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: «والسلف ومن سار على نهجهم مازالوا يميزون أتباع السنة عن غيرهم من المبتدعة والفرق الضالة ويسمونهم أهل السنة والجماعة وأتباع السلف ومؤلفاتهم مملوءة بذلك حيث يردون على الفرق المخالفة لفرقة أهل السنة وأتباع السلف»[4].

قلت: تبين مِمَّا سبق ذكره أن لفظة «السلف» كانت معلومة في السابق، وأنَّها تسمية شرعية لا حزبية، وقد أحجمت عن نقل كثير من أقوال العلماء فِي استعمالها خشية الإطالة؛ لأن المقصود هو بيان شرعية الانتساب إلَى

---

(١) «مجموع الفتاوى» جمع الطيار (٣/ ١٣٠٦).

(٢) بواسطة «مجموعة رسائل لإصلاح الفرد والمجتمع». للشيخ مُحَمَّد بن جميل زينو (ص ١٦٢).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٥٤).

(٤) «البيان لأخطاء بعض الكتاب» (ص ٩٠).

السلف، فـ[1] «إن الانتساب إلى السلف فخر وأي فخر وشرف ناهيك به من شرف، فلفظة السلفية أو السلفي لا يطلق عند علماء السنة والجماعة إلا على سبيل المدح، والدعوة السلفية دعوى عريقة أصيلة واسم شرعي لا غبار عليه».

فكل من تقدم من العلماء ما هم إلا دعاة من دعاتها.



(١) ما بين القوسين من كلام الشيخ ملفي الصاعدي في مذكرته «تبصير الخلف بشرعية الانتساب لمذهب السلف» (ص١-٢).

الفصل الرابع

مرحلة تدوين المذهب السلفي

قال الشيخ أحمد بن سعد بن حمدان: "كانت فتنة القول بخلق القرآن سببًا ليقظة المذهب السلفي والشعور بالخطر أمام المذاهب الضالة وخاصة المعتزلة الَّتِي بلغت درجة كبيرة من القوة والتمكين، فهَبَّ علماء السنة لنصرة الحق ورفع رايته وتحذير الأمة من تلك المذاهب الضالة، فنشط العلماء وارتفعت أعلام العقيدة الصحيحة ترفرف فِي كل مكان وتطارد فلول الاعتزال وتحذر الأمة منه، فانحجز فِي جحره وانقمع أمره فلم تقم له بعد قائمة ولم ترتفع له راية تذكر إلا فِي النادر القليل، وبدأت مرحلة جديدة عُنِي فيها علماء السنة بالتدوين والتأليف لبيان العقيدة الصحيحة والرد على المنحرفين عنها.

وقد اتخذت هذه المؤلفات مذهبين مختلفين:

الأول: منهج الرد:

أي عرض شبه الخصوم وبيان الحق فِي ذلك مدعمًا بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وذلك يتمثل فِي مؤلفات عدة أهمها:

١- كتاب: الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سَلَّام (ت ٢٤٤هـ).

٢- الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

٣- الرد على بشر المريسي، لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) وغيرها.

الثاني: منهج العرض:

وهو عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ويمثل هذا المنهج المؤلفات الآتية:

١- السنة: لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ).

٢- السنة: للمروزي مُحَمَّد بن نصر (ت٢٩٤هـ).

٣- التوحيد: لابن خزيمة (ت٣١١هـ) وغيرها.

وهذه الكتب تركز على قضية هامة هي:

«العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح في فهمها واجتناب ما جدّ من الآراء المُحْدَثة والمذاهب المنكرة»[1].



(١) مقدمة تحقيق «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اللالكائي (ص٤٩-٥١) باختصار.

الفصل الخامس

الانتساب للسلفية ليس من التحزب الممقوت

إن كثيرًا من المحبين للسنة قد لا يلقي لهذه التسمية بالاً بل قد يتحرج من أن ينسب نفسه إلى السلف زاعمًا أن ذلك مِمَّا يجعل للأحزاب المبتدعة سبيلاً إلى اتهامه بالحزبية المذمومة وما علم هذا المتحرج أن السلفية هي حزب الله حقًّا وهي الَّتِي تمثل الإسلام الصافي الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

وقد تقدم معنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفصل الثالث حيث قال: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا"[1].

وسئل الشيخ الألباني عن هذا الموضوع، ونص السؤال: "لماذا التسمي بالسلفية؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية؟ أم هي فرقة جديدة في الإسلام؟".

الجواب: إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية:

فقد صح عن النَّبِي ﷺ أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله عنها:

---

(١) تقدم ذكر مصدره (ص٢٥) من هذا البحث.

«فاتقي الله واصبري ونعم السلف أنا لك».

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف وهذا أكثر من أن يعد ويحصى وحسبنا مثالاً واحدًا وهو ما يحتجون به في محاربة البدع:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن هناك من مدعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعمًا أن لا أصل لها فيقول: «لا يجوز للمسلم أن يقول: «أنا سلفي» وكأنه يقول: «لا يجوز أن يقول المسلم أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك».

لا شك أن مثل هذا الإنكار لو كان يعنيه يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح وعلى رأسهم النبي ﷺ كما يشير الحديث المتواتر الذي في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلى السلف الصالح بينما لو تبرأ من أية نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلى كفر أو فسوق... وأما الذي ينسب إلى السلف الصالح فإنه ينتسب إلى العصمة على وجه العموم وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه، فمن تمسك بهم كان يقينًا على هدى من ربه... ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح، وهي أن تقول باختصار: «أنا سلفي»[1].

وسئل الشيخ عبدالعزيز بن باز فيمن تسمى بالسلفي والأثري هل هي

(١) مجلة الأصالة، العدد التاسع (ص ٨٦-٩٠) ١٥ شعبان ١٤١٦هـ باختصار.

تزكية؟

فأجاب: "إذا كان صادقًا أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثل ما كان السلف يقُولُ: فلان سلفي فلان أثري، تزكية لابد منها، تزكية واجبة"[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان: "كيف يكون التمذهب بالسلفية بدعة والبدعة ضلالة؟! وكيف يكون بدعة وهو اتباع لمذهب السلف، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة وحق وهدى؟!".

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين». فالتمذهب بمذهب السلف سنة وليس بدعة وإنّما البدعة التمذهب بغير مذهبهم"[2].

وسئل الشيخ الفوزان أيضًا: "هل السلفية حزب من الأحزاب؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟

الجواب: "السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ليست حزبًا من الأحزاب الّتِي تسمى الآن أحزابًا وإنّما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم». وقال ﷺ: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة

---

(١) حاشية "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة" جمع أبي عبد الله الحارثي (ص ١٧).

(٢) البيان (ص ١١٦).

قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فالسلفية: طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه فهي ليست حزبًا من الأحزاب العصرية الآن وإنَّما هي جماعة قديمة من عهد الرسول ﷺ متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلَى قيام الساعة كما أخبر ﷺ"[1].

وسئل الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله-: "عن حكم الانتساب إلَى السلفية والتسمي بها؟"

فأجاب بقوله: "أمر طيب سواء انتسبت إلَى السلفية أم إلَى السنة... وهذه النسبة ليست كنسبة الحزبيين..."[2].

أخيرًا: قال شيخنا مُحَمَّد أمان الجامي رحمه الله: "ويتضح مِمَّا تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحًا معروفًا يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم فِي تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذن محصورًا فِي دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية فِي علماء الحديث والسنة وهم أصحاب هذا المنهج وهي لا تزال باقية إلَى يوم القيامة أخذًا من قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم»"[3].

---

(١) شريط التحذير من البدع الشريط الثاني.

(٢) شريط (القول النقي فِي معرفة معنى سلفي).

(٣) "الصفات الإلهية" (ص٦٤-٦٥).

الفصل السادس

وجوب اتباع منهج السلف والأدلة على ذلك

إننا حين ننادي باتباع السلف إنَّما نعني بذلك الالتزام بالمنهج الإسلامي القويم الذي ساروا عليه، وليس المقصود هو تقليد ذوات الأشخاص، فالاتباع لا يكون إلا للرسول ﷺ.

قال شيخنا صالح بن سعد السحيمي: «ومن هنا فالالتزام إنَّما يكون دائمًا وأبدًا بالمنهج الإسلامي... بما شرعه الله لنا... وليس الالتزام بالأشخاص، أو التنظيمات أو الجماعات الَّتِي هي دائمًا محل للخطأ والصواب...»[1].

لذا فإنني سأذكر -بمشيئة الله- بعضًا من النصوص الدالة على وجوب اتباع السلف ومنهجهم والله من وراء القصد.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة الَّتِي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح» وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. هذا

(١) «منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين» (ص٤٤-٤٥).

ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا فإنه قد ضمنت لَهم العصمة فِي اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لَهم وتعظيمًا لنبيهم»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كلًّا من الوصفين يقتضي الوعيد؛ لأنه مستلزم للآخر... فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضًا، فإنه قد جعل له مدخلاً فِي الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر فِي الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعًا، والآية توجب ذم ذلك»[٢].

قلت: قد بين الله تعالى هؤلاء المؤمنين وحث على اتباعهم بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لَهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لَهم من جنات النعيم والنعيم المقيم»[٣].

وقال الشوكاني رحمه الله: «ومعنى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: الذين

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٦٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٩٣-١٩٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٩٨).

اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة»(١).

وقال السعدي رحمه الله عند قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: «بالاعتقادات والأقوال والأعمال فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال السعدي رحمه الله: «فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان؛ لأن قولهم ﴿سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. دليل على المشاركة فيه، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم...»(٣).

قلت: تأمل أخي القارئ قوله: «وهم أهل السنة والجماعة» يتبين لك جليًا أن الله تعالى قد أثنى عليهم فوجب اتباعهم.

وقال تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ٣٩٨).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٢٨١).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٢٠٩).

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾. يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾. يا أيها المؤمنون والإيمان بجميع كتب الله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم، ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾. أي أصابوا الحق وأرشدوا إليه"[١].

قلت: والآية تتناول أيضًا متأخري هذه الأمة؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول والتفسير فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتَّى يحصل لَهم الهداية وقد بين الرسول ﷺ أن الفرقة الناجية هم الجماعة وهي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سننه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وفيه: «**والذي نفس مُحمَّد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة**».[٢].

وثبت عند الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بيان المقصود من الجماعة وهي قوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**» "[٣].

فوجب اتباعهم لذلك بل ورد أن الطائفة المنصورة الناجية هم أهل

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" (١/ ١٩٣).

(٢) سنن ابن ماجه كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٦٤).

(٣) سنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦) وحسّن الرواية الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣٣٤).

الحديث، فقد ثبت عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[(١)].

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم".

وقال ابن المبارك: "هم عندي أصحاب الحديث".

وقال علي بن المديني: "هم أصحاب الحديث".

وقال البخاري: "يعني أصحاب الحديث".

وقال أحمد بن سنان: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار"[(٢)].

وقد ثبت عند أبي داود من حديث العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ وفيه: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(٣)].

قال الخطابي رحمه الله في قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولاً وخالفه فيه غيره

---

(١) مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة... (٣/ ١٥٢٣).

(٢) انظر هذه الأقوال في كتاب "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي (ص ٥٩-٦٢) تحقيق: عمرو عبد المنعم.

(٣) سنن أبي داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٥/ ١٤-١٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٧١).

من الصحابة كان المصير إلى قول الخليفة أولى»[١].

قلت: فغير الصحابة من باب أولى.

وقد وردت آثار تَحُثُّ على اتباع السلف، فنها:

ما قاله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب مُحَمَّد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا...»[٢].

وقال الإمام الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة وَقِفْ حيث وَقَفَ القوم، وقل بما قالوا، وَكُفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[٣].

وقال أيضًا: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول»[٤].

وقال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رَسُول الله ﷺ والاقتداء بهم...»[٥].

وبعد: فمن خلال هذه النصوص والنقول عن أهل العلم يتجلى لك أخي القارئ بما لا يدع للشك مكانًا وجوب اتباع السلف من الصحابة والتابعين

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢.

(٣) سبق ذكر مصدره (ص٢٤) من هذا البحث.

(٤) ذكر مصدره (ص٢٤) من هذا البحث.

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٥٦).

في تمسكهم بهذا الدين القويم وفي فهمهم لنصوص الشرع.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف»[1]. وبهذا يتم المقصود.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» ابن الموصلي (٢/ ١٢٨).

الفَصْلُ السَّابِعُ

الصفات الَّتِي يستحق بِها العبد أن يكون سلفيًا

بعد أن تقرر فِي المبحث السابق وجوب اتباع منهج السلف الصالح فإن النفوس تتطلع بلا شك إِلَى معرفة أبرز الصفات الَّتِي إذا تحلى بها الشخص صار سلفيًا متبعًا للصحابة الكرام وأتباعهم ومن الفرقة الناجية المنصورة، لذا فإننِي أقدم للقارئ الكريم شيئًا من هذه الصفات الَّتِي أسأل الله تعالى أن يزيننا بِها ويثبتنا عليها إِلَى الممات، وبِما أن الصفة هي: الأمارة اللازمة للشيء فهاك إياها، والله المعين:

أولاً: تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة فِي كل قضية من قضايا الحياة سواء أكانت عقيدة أم عبادة أم سلوكًا أم معاملة خصوصًا عند التنازع.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

ثانيًا: الأخذ بِما ورد عن الصحابة فِي بيان القضايا الدينية عامة وفِي قضايا العقيدة خاصة، ولعل هذه الصفة ينطبق عليها ما قيل فِي المبحث السادس فلينظر.

ثالثًا: عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مِمَّا لا مجال للعقل فيها:

ذلك أن الأصل عند أهل السنة (السلفيين) تقديم النقل (كتاب وسنة) على العقل، وحقيقة لا معارضة بين النقل الصريح والعقل الصحيح وفي ذلك ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مؤلفًا عظيمًا سماه: «درء تعارض العقل والنقل» ثُمَّ «إن العقل البشري عاجز عن معرفة الأمور الغيبية بنفسه استقلالاً وإن دور العقل هو الفهم والاتباع والاعتقاد لِمَا جاء به الوحي وليس الرد والاعتراض»[1].

وقد امتدح الله المتقين في كتابه الحكيم وابتدأ أول صفاتهم بالإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] الآية.

وقد فقه السلف الصالح ذلك فجاءت النصوص عنهم الدالة على التسليم والانقياد في الأمور الاعتقادية مِمَّا لا مجال للرأي فيه خصوصًا في باب صفات الرب -جل في علاه-.

قال الوليد بن مسلم: «سألت الأوزاعي والثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن الأحاديث الَّتِي فيها الصفات؟ فكلهم قال: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيفية»[2].

وقال الإمام أحمد بن حنبل في أحاديث الصفات: «نؤمن بها ونصدق

---

(١) «مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/٥٦).

(٢) «الشريعة» للآجري (ص ٣١٤)، و«عقيدة السلف» الصابوني (ص ٧١).

بِها ولا نرد شيئًا منها إذا كانت بأسانيد صحاح»[1].

وقال سفيان بن عيينة: «كل ما وصف الله به نفسه فِي كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه»[2].

وعن بعض السلف: «قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم» [3].

ولَما تنكب علماء الكلام هذا السبيل ضلوا الطريق وتخبطوا فيه خبط عشواء وندم كثير منهم فِي آخر حياته، فَهذا أبوالفتح مُحَمَّد بن أبِي القاسم الشهرستاني كما فِي أول كتابه «نهاية الاقدام» يقول فِي وصف حال أهل الكلام:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر؟ ... على ذقن أو قارعًا سن نادم

وهذا الفخر الرازي أبوعبدالله مُحَمَّد بن عمر الطبرستاني يقول -كما فِي كتابه- «أقسام اللذات»:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا فِي وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثُمَّ قال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ فِي الإثبات:

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اللالكائي (٣/ ٤٥٣).

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٧٠).

(٣) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٧١).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ٣٥]. وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. فمن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

ويقول إمام الحرمين أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني: «لقد خضت البحر الخِضَمّ وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي».

وقال أبوحامد الغزالي: «أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام»[(١)].

وهكذا غيرهم كثير، ومن الطرائف ما حكاه بعضهم من أن جهم بن صفوان الترمذي كان يدعو الناس إلى مذهبه الباطل وهو أن الله تعالى عالِم لا علم له، قادر لا قدرة له، وكذا في سائر الصفات، وكان جلس يومًا يدعو الناس لمذهبه وحوله أقوام كثيرة، فجاء أعرابي ووقف حتى سمع مقالته فأرشده الله تعالى إلى بطلان هذا المذهب فأنشد يقول:

ألا إن جهمًا كافرٌ بان كفره ... ومن قال يومًا قول جهم فقد كفر
لقد جُنَّ جهمٌ إذ يسمي إلهه ... سَميعًا بلا سمع بصيرًا بلا بصر
عليمًا بلا علم رضيًا بلا رضا ... لطيفًا بلا لطف خبيرًا بلا خبر

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب «العقيدة الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٠٧-٢١١)». الصبيعي.

أيرضيك أن لو قال يا جهم قائل أبوك امرؤ حر خطير بلا خطر
مليح بلا ملح بهي بلا بهى طويل بلا طول يخالفه القصر
حليم بلا حلم وفيٌّ بلا وفا فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر
جواد بلا جود قوي بلا قوى كبير بلا كبر صغير بلا صغر
أمدحًا تراه أم هجاء وسبة وهزء كفاك الله يا أحمق البشر
فإنك شيطان بعثت لأمة تصيرهم عما قريب إلى سقر

فأفهمه الله حقيقة مذهب أهل السنة ورجع كثير من الناس ببركة أبياته، وكان عبدالله بن المبارك يقول: «إن الله تعالى بعث الأعرابي رحمة لأولئك»[1].

لذا فإن السلف ذموا علم الكلام.

فما أثر عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «حُكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام»[2].

وقال أبومزاحم الخاقاني:

أهل الكلام وأهل الرأي قد عدموا علم الحديث الذي ينجو به الرجل
لو أنهم عرفوا الآثار ما انحرفوا عنها إلى غيرها لكنهم جهلوا[3]

فهدى الله أهل السنة والجماعة (السلفيين) إلى سلوك الطريق السوي

---

(1) «جلاء العينين في المحاكمة بين الأحمدين» الآلوسي (ص ١٥٦).

(2) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٧٢).

(3) «شرف أصحاب الحديث» (ص ١٤٣).

والاعتصام بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة فسلم دينهم وعقلهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم"(١).

قال الشيخ الفوزان شارحًا معنى الوسطية: "والمراد بالوسط هنا: العدل الخيار، فأهل السنة وسط بمعنى أنهم عدول خيار وبمعنى أنهم متوسطون بين فريقي الإفراط والتفريط"(٢).

رابعًا: اعتبار التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والذبح وغير ذلك من أنواع العبادة هو الأساس الذي تبنى عليه الدولة الإسلامية الصحيحة ومحاربة ما ينافي التوحيد من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، لذا فإن دعوة الأنبياء والرسل جميعًا هي لتقرير هذا الأمر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) "شرح العقيدة الواسطية" الفوزان (ص ١٢٤).

(٢) المصدر نفسه.

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من وعوده الصادقة الَّتِي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم فِي الأرض فيكونون هم الخلفاء فيها المتصرفون فِي تدبيرها، وأن يمكن لَهم دينهم الذي ارتضى لَهم وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها بأن يتمكنوا من إقامته وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة فِي أنفسهم وفِي غيرهم... بحيث يعبدون الله، ولا يشركون به شيئًا ولا يخافون أحدًا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد وفتحت مشارق الأرض ومغاربها وحصل الأمن التام والتمكين التام وهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلَى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلابد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنَّما يسلط الله عليهم الكفار والمنافقين ويزيلهم فِي بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح»[1].

قلت: لو نظر أصحاب الدعوات الحزبية المناوئة للدعوة السلفية إلَى هذه الآية نظرة تأمل وإنصاف لعلموا أن ما هم عليه يصدق عليه قول ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩]. وقول القائل:

يا من يعد الخير فِي نعمائه ... إن التَّنَعُّمَ فِي الحياة سراب

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن فِي تفسير كلام المنان» (٣/ ٤١٢-٤١٣).

فاسموا بدينك كي تفوز بقربه إن التقرب للإله صواب

ولتراجع الكثير إن لم يكن الكل عما هم عليه من ضياع وسراب إلى المنهج الحق المتمثل في الدعوة السلفية.

خامسًا: عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم وهذا الذي عليه السلف الصالح.

قال أبوقلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم»[1].

وقال إسماعيل بن خارجة: «دخل رجلان على محمّد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: لا، لتقومُنَّ عني أو لأقومَنَّه»[2].

وعن سلام بن أبي مطيع: «أن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فولى أيوب وجعل يشير بإصبعه ولا نصف كلمة»[3].

وقال وهب: «دع المراء والجدال عن أمرك، فإنك لا تعجز أحد رجلين: رجل هو أعلم منك، فكيف تماري وتجادل من هو أعلم منك؟ ورجل أنت أعلم منه، فكيف تُماري وتجادل من أنت أعلم منه، ولا

---

(١) «الشريعة» الآجري (ص ٥٦)، و«الإبانة» ابن بطة (٢/ ٤٣٧) تحقيق: رضا معطي.

(٢) «الشريعة» الآجري (ص ٥٧)، و«الإبانة» ابن بطة (٢/ ٤٤٦).

(٣) «الشريعة» الآجري (ص ٥٧)، و«الإبانة» ابن بطة (٢/ ٤٤٧).

يطيعك، فاقطع ذلك عليك»[١].

وقال عمر بن عبدالعزيز: «من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل»[٢].

وقال سفيان الثوري: «من سمع بدعة فلا يحكيها لجلسائه لا يلقيها فِي قلوبهم»[٣].

قلت: بل فِي السكوت عنهم رد عليهم.

قال أيوب: «لست برادٍّ عليهم أشد من السكوت»[٤].

قال الآجري رحمه الله: «فإن قال قائل: وإن كان رجل قد علمه الله عزَّ وجلَّ علمًا، فجاءه رجل يسأله عن مسألة فِي الدين، ينازعه ويخاصمه، ترى له أن يناظره حَتَّى تثبت عليه الحجة، ويرد عليه قوله؟ قيل له: هذا الذي نُهينا عنه، وهو الذي حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين، فإن قال قائل: فماذا نصنع؟

قيل له: «إن كان الذي يسألك مسألته مسألة مسترشد إلَى طريق الحق، لا مناظرة، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة وقول الصحابة وقول أئمة المسلمين، وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره واحذره على دينك، كما قال من

---

(١) «الشريعة» الآجري (ص ٦٠).

(٢) المصدر نفسه (ص ٥٦).

(٣) «شرح السنة» البغوي (١/ ٢٢٧).

(٤) «الشريعة» الآجري (ص ٦١).

تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعًا»[1].

قلت: فانظر أخي القارئ مدى حرص السلف على الحفاظ على دينهم، لذلك كان من فقههم ما قاله مفضل بن مهلهل: «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعة حذرته وفررت منه ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فلا تخرج من قلبك»[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

سادسًا: الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم على الكتاب والسنة بفهم السلف:

إن الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم على الكتاب والسنة بفهم السلف مطلب شرعي حثت عليه النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة وجاءت الآثار المنقولة عن سلفنا الصالح بذلك.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣].

وثبت في الصحيحين من حديث حذيفة وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: -أي: حذيفة-: فإن لم يكن لهم

(١) «الشريعة» الآجري (ص ٦١).

(٢) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، ابن بطة العكبري (٢/ ٤٤٤).

جماعة ولا إمام، قال: تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حَتَّى يدركك الموت وأنت على ذلك »(١).

وثبت أيضًا عند الحاكم وابن أبي عاصم واللفظ له من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النَّبِي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة »»(٢).

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنَّها حبل الله عزَّ وجلَّ الذي أمر به، وما تكرهون فِي الجماعة خير مِمَّا تحبون فِي الفرقة"(٣).

وقال الطحاوي: "ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابًا"(٤).

قلت: والمقصود بالجماعة: موافقة الحق الذي كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وفي ذلك يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك"(٥).

ويقول الإمام البربهاري رحمه الله: "والأساس الذي تبنى عليه الجماعة وهم

---

(١) البخاري، كتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لَم تكن جماعة (١٣/ ٣٥)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٣/ ١٤٧٥-١٤٧٦).

(٢) المستدرك على الصحيحين (١/ ١١٤) والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٢) وصححه الألباني.

(٣) "الشريعة" الآجري (ص ١٣).

(٤) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ٥٧٧).

(٥) "الباعث على إنكار البدع والحوادث" لأبي شامة (ص ٩٢).

أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع"[1].

لذا فإننا نجد في الكتاب والسنة ما يحذر من ضد الجماعة وهي الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قالت أم سلمة رضي الله عنها بعد أن تلت هذه الآية: "ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحتزب"[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية»[3] لفظ البخاري.

فظهر مما تقدم ذكره أن المقصود بالجماعة التي يأثم المسلم بمفارقتها هم "جماعة المسلمين الذين على رأسهم إمام" وهذا القول محكي عن ابن جرير الطبري[4].

---

(١) "شرح السنة" (ص٦٧).

(٢) "الاعتصام" للشاطبي (١/ ٨٠).

(٣) البخاري، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (١٣/ ٥)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٣/ ١٤٧٧).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٧).

حيث قال: "والصواب أن المراد من الخبر: لزوم الجماعة الذين فِي طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة".

وانظر إن شئت التوسع فِي ذلك التمهيد الذي قدمته لكتابي "رسالتان فِي الرد على أهل البدع والأهواء".

سابعًا: إحياء سنن الرسول ﷺ فِي العبادات والسلوك وجميع مرافق الحياة، حَتَّى أصبحوا غرباء بين قومهم:

ثبت عند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبِي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية فِي جحرها». وفِي لفظ من حديث أبِي هريرة رضي الله عنه: «فطوبى للغرباء»[1].

ثامنًا: ذم التعصب لغير كلام الله وكلام رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وعدم تقديم كلام أحد على كلام الله وكلام رسوله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

لذا فقد أطبق السلف على قولهم: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

ولقد أحسن ابن قيم الجوزية إذ يقول:

---

(١) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا (١/ ١٣٠-١٣١).

(٢) انظر كتاب "نشر الصحيفة فِي بيان أقوال أئمة الجرح والتعديل فِي أبِي حنيفة" للشيخ مقبل الوادعي.

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان

ولله در القائل:

وقول أعلام الهدى لا يعمل بقولنا بدون نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث وذاك في القديم والحديث
قال أبوحنيفة الإمام لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقوالي حتَّى تعرضا على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتم قولي مخالفًا لما رويتم
من الحديث فاضربوا الجدار بقولي المخالف الأخبار
وأحمدٌ قال لهم لا تكتبوا ما قلته بل أصل ذلك فاطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعه واعمل بها فإن فيها منفعه
لقمعها لكل ذي تعصبِ والمنصفون يكتفون بالنبي[1]

وكل ما تقدم ذكره مأخوذ من ذم ربنا -تبارك وتعالى- للتقليد حين يقول رب العزة والجلال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

---

(١) أبيات قالها العلامة محمد بن سعيد صفر المدني الحنفي في منظومته، رسالة المهدي انظرها في كتاب غوث المكدود بتخريج المنتقى لابن الجارود. الحويني (١/ ٢٨١).

تاسعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فالمسلم السلفي ينكر الطرق المبتدعة من صوفية وغيرها وينكر الأحزاب الهدامة الَّتِي مزقت الأمة، وابتدعت فِي الدين وابتعدت عن سنة الرسول ﷺ ومنهج سلف الأمة قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عاشرًا: الرد على كل مخالف سواء أكان مسلمًا أم غيره، مهما علت مرتبته أو نزلت وسواء أكانت المخالفة قصدًا أم خطأ ولا يعتبرون ذلك تشفيًا منه وانتقاصا له بل يعدون ذلك من قبيل النصيحة والرحمة على المردود.

قال الإمام مجاهد: "ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النَّبِي ﷺ"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل السنة: "نقاوة المسلمين وهم خير الناس للناس"[٢].

بل السلف يعدون الرد على أهل البدع أفضل من نوافل الطاعات.

حَتَّى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم فِي أهل البدع؟

(١) "جامع بيان العلم وفضله"، ابن عبد البر (٢/ ٩١) وقال الألباني فِي "صفة صلاة النَّبِي ﷺ" (ص ٤٩): وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد وأخذها منهما مالك واشتهرت عنه.

(٢) "منهاج السنة النبوية" (٥/ ١٥٨).

فقال: "إذا قام وصلى واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم فِي أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين هذا أفضل"[(١)].

الحادي عشر: التفريق بين الأخطاء الصادرة عن علماء الإسلام مِمَّن أصَّلوا دعواتِهم ابتداءً على منهج أهل السنة فتكون من قبيل الاجتهاد الذي يؤجرون عليه أجرًا واحدًا وخطؤهم مردود، وبين أخطاء دعاة البدعة مِمَّن كانت أصولهم قائمة ابتداء على غير منهج أهل السنة فتحمل أخطاؤهم على البدعة.

وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا يَخلو المنسوب إلَى البدعة أن يكون: مجتهدًا فيها أو مقلدًا... ثُمَّ قال: فالقسم الأول على ضربين: أحدهما: أن يصح كونه مجتهدًا، فالابتداع منه لا يقع إلا فلتة وبالعرض لا بالذات، وإنَّما تسمى غلطة أو زلة؛ لأن صاحبها لَم يقصد اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل الكتاب، أي: لَم يتبع هواه، ولا جعله عمدة، والدليل عليه أنه إذا ظهر له الحق أذعن له، وأقرَّ به".

قلت: ومما ينطبق على هذا الضرب؛ الأخطاء العقدية التي وقع فيها أمثال ابن حجر والنووي وابن العربي المالكي والشوكاني، وغيرهم مِمَّن نَحا منحاهم.

والثاني: وأما إن لَم يصح بِمسبار العلم أنه من المجتهدين، فهو الحري باستنباط ما خالف الشرع كما تقدم، إذ قد اجتمع له مع الجهل بقواعد

(١) "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٢٣١).

الشرع الهوى الباعث عليه فِي الأصل وهو التبعية»(١).

قلت: ومن نماذج من ينطبق عليهم الضرب الثاني من أقسام المنسوبين إلى البدع حسن البنا، والتلمساني، وسيد قطب، وغيرهم مِمَّن نَحَا منحاهم.

ولمزيد من التفصيل فِي هذه المسألة راجع كتاب: «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية» (ص ١٣٦-١٥٤).

الثاني عشر: التقرب إِلَى الله عزَّ وجلَّ بطاعة من ولاه الله أمرنا وعدم الخروج عليهم والدعاء لَهم بالصلاح والمعافاة مع المناصحة الصادقة.

وهذا الأمر متقرر عند السلف فما من كتاب من كتب السنة إلا وقلما يترك التعرض لهذه المسألة لأهميتها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وثبت عند مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفيه: «ومن بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده وثَمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(٢).

قال سهل بن عبدالله التستري: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان، والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن

---

(١) "الاعتصام"، الشاطبي (١/ ١٩٣، ١٩٧).

(٢) مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٣/ ١٤٧٣).

استخفوا بِهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم»[(١)].

وقال عبدالله بن المبارك: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال: الملوك والعلماء»[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض: «لو كانت لِي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا فِي السلطان»[(٣)].

وقال الإمام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننْزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة ما لَم يأمروا بِمعصية، وندعو لَهم بالصلاح والمعافاة»[(٤)].

وإن شئت أخي القارئ الاستزادة من ذلك فتراجع كتابي: «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية» (ص١٩١-١٩٨)، و (ص ٢٢٠-٢٢٣)، وتعليقي على كتاب الشيخ مقبل المسمى «البركان لنسف جامعة الإيْمان» (ص١٢١-١٢٣) وانظر كتاب: «معاملة الحكام فِي ضوء الكتاب والسنة» للشيخ عبدالسلام بن برجس.

الثالث عشر: استخدام الحكمة فِي الدعوة إلَى الله تعالى: والحكمة هي الإصابة فِي الأقوال والأفعال ووضع كل شيء فِي موضعه.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (٥/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) «إعلام الموقعين» ابن القيم (١/ ٣٧).

(٣) «شرح السنة» البربَهاري (ص ١١٦).

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٢٨).

فتارة تكون لينًا وهي الأصل، وتارة تكون شدة وقوة عند الحاجة، فالداعية إِلَى الله كالطبيب ينظر الأصلح للمريض فيفعله، وبكلٍّ ورد الشرع: فمن النصوص الَّتِي تحث على اللين والرفق ما ثبت فِي مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُول الله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون فِي شيء إلا زانه ولا ينْزع من شيء إلا شانه**»[1]. وفي لفظ من حديث جرير: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»[2].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "بينما نحن فِي المسجد مع رَسُول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول فِي المسجد، فقال أصحاب رَسُول الله ﷺ: مه مه[3]؟ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**لا تزرموه**[4] **دعوه**». فتركوه حَتَّى بال، ثُمَّ إن رَسُول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنَّما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن**». أو كما قال رَسُول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء

---

(١) مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٠٠٣).

(٣) كلمة زجر معناها: اسكت، أصلها ما هذا، ثُمَّ حذف تخفيفًا.

(٤) لا تقطعوا عليه بوله.

بدلو من ماء فَشَنَّهُ[١] عليه"[٢].

وأيضًا ما ثبت فِي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قصة مجيء ملك الجبال وقوله للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا مُحَمَّد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[٣].

وغير ذلك من المواقف الكثيرة.

وكما أن الحكمة فِي الدعوة هي اللين والرفق فكذلك تكون أحيانًا شدة عند الحاجة فتستخدم مع من يحتاجها من المسلمين الذين لَم ينتفعوا بالمواعظ من الترغيب والترهيب وغيرها، ولتكون أدعى لصحوة المخلصين وأنفع فِي تنبيه الغافلين النائمين وتغليظًا على مرضى القلوب المتعامين، فمن النصوص فِي ذلك: ما جاء فِي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأى خاتَمًا من ذهب فِي يد رجل فنَزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إِلَى جمرة من نار فيجعلها فِي يده**». فقيل للرجل بعدما ذهب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: خذ خاتَمك انتفع به، قال: "لا والله لا آخذه أبدًا وقد

---

(١) صَبَّهُ.

(٢) البخاري، بمعناه مختصرًا، كتاب: الوضوء، باب: ترك النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والناس الأعرابي حَتَّى فرغ من بوله فِي المسجد (١/ ٣٢٢) ومسلم، واللفظ له، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات (١/ ٢٣٧).

(٣) البخاري، مع الفتح، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين. (٦/ ٣١٣) ومسلم: كتاب: الجهاد، باب: ما لقي النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٤٢٠-١٤٢١).

طرحه رَسُول الله ﷺ»[١].

وثبت عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّها اشترت نمرقة[٢] فيها تصاوير فقام النَّبِي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقالت: أتوب إِلَى الله ماذا أذنبت؟ قال: «**ما هذه النمرقة؟** قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لَهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فِيه الصورة**»[٣].

وعنها رضي الله عنها قالت: قدم رَسُول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام[٤] لِي على سهوة[٥] فيها تماثيل فلما رآه رَسُول الله ﷺ هتكه، وقال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**، قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين»[٦] لفظ البخاري.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما النَّبِي ﷺ يصلي رأى فِي قبلة المسجد نُخَامَةً فحكها بيده، فتغيظ ثُمَّ قال: «**إن أحدكم إذا كان فِي الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يَتَنَخَمَنَّ حيال وجهه فِي الصلاة**»[٧].

---

(١) مسلم، كتاب: اللباس، باب: تحريم خاتم الذهب على الرجال (٣/ ١٦٥٥).

(٢) النمرقة: هي الوسائد الَّتِي يضم بعضها إِلَى بعض، أو الوسائد الَّتِي يجلس عليها.

(٣) البخاري، مع الفتح كتاب: اللباس، باب: من كره القعود على الصورة (١٠/ ٣٨٩).

(٤) القرام: ستر فيه رقم ونقش.

(٥) قيل: بيت صغير علقت عائشة الستر على بابه وقيل: الكوة.

(٦) البخاري، مع الفتح، كتاب: اللباس، باب: ما وطئ من التصاوير (١٠/ ٣٨٦-٣٨٧) ومسلم: كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم صورة الحيوان، وما فيه صور غير ممتهنة (٣/ ١٦٦٧).

(٧) البخاري، مع الفتح، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله =

وجاء فِي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قام رَسُول الله ﷺ يصلي فِي خميصة[1] ذات أعلام، فلما قضى صلاته قال: «اذهبوا بهذه الخميصة إِلَى أبي الجهم بن حذيفة وائتوني بِأَنْبِجَانِيَّةِ[2]، فإنَّها ألهتني آنفًا فِي صلاتي»[3]. لفظ مسلم.

وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثُمَّ آمر الصلاة فيؤذن لَهَا، ثُمَّ آمر رجلاً فيؤم الناس، ثُمَّ أخالف إِلَى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»[4].

وجاء فِي مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأى النَّبِي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «أأمك أمرتك بِهذا؟ قلت: أغسلهما قال: بل أحرقهما»[5].

= (١٠/ ٥١٧).

(١) الخميصة: كساء له أعلام.

(٢) الأنبجانية: كساء غليظ لا علم فيه، ولعل كلمة أعلام أبلغ من الصور، انظر القول المبين في أخطاء المصلين لـ مشهور حسن (ص ٤٨).

(٣) البخاري، مع الفتح، كتاب: الصلاة باب: إذا صلى فِي ثوب أعلام (١/ ٤٨٢، ٤٨٣) ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: كراهة الصلاة فِي ثوب له أعلام (١/ ٣٩١).

(٤) البخاري، مع الفتح، كتاب: الآذان، باب: وجوب صلاة الجماعة (٢/ ١٢٥) ومسلم، كتاب: المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة (١/ ٤٥١).

(٥) مسلم، كتاب: اللباس، باب: النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر (٣/ ١٦٤٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما الأمر بإحراقهما فقيل هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل"[(١)].

وجاء فِي البخاري من حديث أبي الدرداء فِي قصة الخلاف الذي جرى بين أبي بكر وعمر، قال أبوالدرداء: وغضب رَسُول الله ﷺ وجعل أبوبكر يقول: والله يا رَسُول الله لأنا كنت أظلم، فقال رَسُول الله ﷺ: **«هل أنتم تاركون لِي صاحبي -يعني أبا بكر- هل أنتم تاركون لِي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس، إني رَسُول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبوبكر: صدقت»** [(٢)].

وثبت عند البخاري ومسلم واللفظ له من حديث جابر قال: كان معاذ يصلي مع النَّبِي ﷺ ثُمَّ يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النَّبِي ﷺ العشاء ثُمَّ أتى قومه فأمهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل فسلم ثُمَّ ﷺ وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا والله ولآتين رَسُول الله ﷺ فلأخبرنه فأتى رَسُول الله ﷺ فقال: يا رَسُول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذًا صلى معك العشاء ثُمَّ أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رَسُول الله ﷺ على معاذ فقال: **«يا معاذ، أفتان أنت! اقرأ بكذا واقرأ بكذا»** [(٣)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٥٥-٥٦).

(٢) البخاري، مع الفتح، كتاب: التفسير، باب: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٨/ ٣٠٣).

(٣) البخاري، كتاب: الأذان، باب: إذا طول الإمام... (٢/ ١٩٢) ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: القراءة فِي العشاء (١/ ٣٣٩).

وأخرجا أيضًا واللفظ للبخاري من طريق المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه فقال لِي النَّبِي ﷺ: «**يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مِمَّا يأكل، وليلبسه مِمَّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»(١).

وثبت فِي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ مر على صُبْرَةِ طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟!**». قال: أصابته السماء يا رَسُول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني**»(٢) وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري فِي قصة الثلاثة الذين جاءوا بيوت أزواج النَّبِي ﷺ يسألون عن عبادة النَّبِي ﷺ فلما أخبروا كأنَّهم تقالوها، وفيه، قال الرسول ﷺ: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٣).

وكذلك ما ثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري فِي قصة قتل أسامة بن

---

(١) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية (١/ ٨٤) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: إطعام المملوك مِمَّا يأكل.. (٣/ ١٢٨٢).

(٢) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النَّبِي ﷺ: من غش فليس منا (١/ ٩٩).

(٣) البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب فِي النكاح (٩/ ١٠٤) ومسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٢/ ١٠٢٠).

زيد رجلاً من المشركين فِي المعركة بعد أن نطق بكلمة التوحيد فقال له الرسول ﷺ: «**يا أسامة، أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟**». قال: قلت: يا رَسُول الله إنه إنَّما كان متعوذًا، قال: «**قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله**». قال: "فما زال يكررها عليَّ حَتَّى تَمنيت أني لَم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"(١).

قال **الإمام الذهبي** رَحِمَهُ اللهُ: "انتفع أسامة من يوم النَّبِي ﷺ إذ يقول له: «**كيف بلا إله إلا الله يا أسامة**». فكف يده، ولزم بيته، وأحسن" (٢).

وثبت فِي مسلم من حديث عبدالله بن عمر قال: "طلقت امرأتي وهي حائض، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فتغيظ رَسُول الله ﷺ ثُمَّ قال: «**مره فليراجعها حَتَّى تحيض حيضة أخرى مستقبلة، سوى حيضتها الَّتِي طلقها فيها، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا من حيضتها قبل أن يَمسها فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله**» (٣).

وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبدالله بن مغفل أنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تخذف؛ فإن رَسُول الله ﷺ نَهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: «**إنه لا يصاد به صيد ولا يُنْكأُ به عدو ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين**». ثُمَّ رآه بعد ذلك يخذف فقال

---

(١) البخاري، كتاب: الديات، باب: قول الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ (١٢/ ١٩١-١٩٢) ومسلم، كتاب: الإيْمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (١/ ٩٧).

(٢) السير (٢/ ٥٠٠، ٥٠١).

(٣) مسلم، كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها (٢/ ١٠٩٥).

له: أحدثك عن رَسُول الله ﷺ أنه نَهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا[(١)]. وفي لفظ لمسلم: "لا أكلمك أبدًا".

وجاء فِي مسلم من حديث ابن عمر أن رَسُول الله ﷺ قال: «لا تَمنعوا نساءكم المساجد إذا اسْتَئْذَنَّكُم إليها». قال: فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبدالله فسبه سبًّا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط وقال: أخبرك عن رَسُول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن»[(٢)].

وثبت أيضًا فِي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه فِي قصة ابن اللتبية وكان رجلاً من الأزد حينما استعمله رَسُول الله ﷺ على الصدقة فجاء بالمال فدفعه إلَى النَّبِي ﷺ فقال: هذا مالكم وهذه هدية أهديت لِي، فقال له النَّبِي ﷺ: «أفلا قعدت فِي بيت أبيك وأمك فتنظر أيهدى إليك أم لا»[(٣)].

وثبت عند أبي داود من حديث سعد بن أبي وقاص قال: مر عليَّ النَّبِي ﷺ وأنا أدعو بأصبعي فقال: «أَحِّدْ أَحِّدْ». وأشار بالسبابة[(٤)].

وثبت أيضًا عند أبي داود من حديث عبدالله بن عمرو أن امرأة أتت

---

(١) البخاري، كتاب: الذبائح، باب: الخذف والبندقة (٩/ ٦٠٧) ومسلم، كتاب: الصيد، باب: إباحة ما يستعان به على الاصطياد (٣/ ١٥٤٧).

(٢) مسلم، كتاب: الصلاة، باب: خروج الذ اء إلَى المساجد (١/ ٣٢٧).

(٣) البخاري، كتاب: الحيل، باب: احتيال العامل ليهدى له (١٢/ ٣٤٨) ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال (٣/ ١٤٦٣).

(٤) أبوداود، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (٢/ ١٦٩) وصححه الألباني كما فِي صحيح أبي داود (١/ ٢٨٠).

النَّبِي ﷺ ومعها ابنة لَهَا وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لَهَا: «**أتعطين زكاة هذا؟**». قالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسورك الله بِهما يوم القيامة سوارين من نار**». قال: فخلعتهما فألقتهما إلَى النَّبِي ﷺ، وقالت: هما لله عزَّ وجلَّ ولرسوله(١).

وثبت عند ابن أبي عاصم من حديث جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى الرسول ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال: فغضب وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بِها بيضاء نقية**»(٢).

والأدلة على تقرير هذا الأمر فِي السنة أكثر من أن تحصر، بل قد عاتب الله رسوله مُحَمَّدًا ﷺ وبعض المؤمنين يوم بدر إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فِي هذه الحالة قتلهم واستئصالهم، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨](٣).

وكذلك عاتبه الله تعالى عند أن جاءه رجل من المؤمنين أعمى يسأله

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الزكاة، باب: الكنْز ما هو؟ وزكاة الحلي، (٢/ ٢١٢)، حسنه الألباني كما فِي صحيح أبي داود (١/ ٢٩١).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٧) وحسنه الألباني فِي تحقيقه للسنة.

(٣) وانظر "تيسير الكريم الرحمن فِي تفسير كلام المنان" للسعدي (٢/ ٢١٧).

ﷺ ويتعلم منه وجاءه رجل من الأغنياء وكان ﷺ حريصًا على هداية الخلق فمال ﷺ وأصغى إلَى الغني وصد عن الأعمى الفقير رجاء لهداية ذلك الغني وطمعًا في تزكيته فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ١-٤][(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

وانظر إلَى موسى عليه السلام حينما اشتد على أخيه هارون بعد أن أمره ربه بتليين القول لفرعون، فقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وقال تعالى مبينًا قتال البغاة من المسلمين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ٩]. وليس فوق القتال شدة.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

(١) وانظر "تيسير الكريم الرحمن" للسعدي (٥/ ٣٧١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم فِي ذلك، وهذا شامل لجهادهم بإقامة الحجة عليهم ودعوتِهم بالموعظة الحسنة وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه فإن هذا يُجَاهَدُ ويغلظ عليه وأما المرتبة الأولى فتكون بالتي هي أحسن"[١].

أما ما ورد عن سلف الأمة فِي هذا الباب فكثير خصوصًا فِي معاملة أهل البدع الصادين عن الحق الداعين للبدعة، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما قاله الإمام أبوعثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: "واتفقوا -أي: السلف- مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتِهم والتقرب إلَى الله عزَّ وجلَّ بِمجانبتهم ومهاجرتِهم"[٢].

وقال أبومُحَمَّد بن أبِي حاتم: "وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بِهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان فِي ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي فِي غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر فِي كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا"[٣].

وقال جعفر بن عبدالله: "جاء رجل إلَى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده

---

(١) "تيسير الكريم الرحمن فِي تفسير كلام المنان" (٥/ ٢٧١).

(٢) "عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص ١٢٣).

(٣) "لمعة الاعتقاد الهادي إلَى سبيل الرشاد".

من مقالته، وعلاه الرُّحَضَاءُ وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه ثُمَّ سُري عن مالك فقال: الكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والإيمان واجب والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًّا، ثُمَّ أمر به فأخرج»[(١)].

وقال أبوإسماعيل مُحَمَّد بن إسماعيل الترمذي: «كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبدالله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبوعبدالله وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق ودخل بيته»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين»[(٣)].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو فِي الدين، وأمرت بالدعوة إِلَى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولكنها لَم تُهمل جانب الغلظة والشدة فِي محلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني (ص٣٩).

(٢) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص ١٣٧-١٣٨)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ١١٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٣-٥٤).

أحسن، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أما إذا لَم ينفع واستمر الظلم أو الكفر أو الفسق فِي عمله ولم يبال بالواعظ والناصح، فإن الواجب الأخذ على يديه ومعاملته بالشدة وإجراء ما يستحقه من إقامة حد أو تعزير أو تهديد أو توبيخ حَتَّى يقف عند حده وينْزجر عن باطله"[1].

وهكذا الآثار المتكاثرة الَّتِي من هذا القبيل، ومن أراد المزيد فليطالع كتاب "الشريعة" للآجري وكتاب: "الإبانة" لابن بطة العكبري وغيرها من كتب السنة، ومرجع هذه الآثار ما جاء فِي البخاري من أن الرسول ﷺ: "لَم يكن ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله"[2].

وإن تعجب فاعجب أخي القارئ الكريم من أناس ينكرون على من يستخدم هذا الأسلوب[3] فِي الدعوة مع أهل البدع وكأني به لَم يطلع على هذه الأدلة والآثار المنقولة عن سلف الأمة فِي ذلك أو أنه لَم يوفق لفهمها، والله المستعان ونعوذ بالله من الخذلان.

ولقد أحسن أسامة القصاص رحمه الله إذ يقول:

---

(١) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٣/ ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) البخاري، مع الفتح، كتاب: حدود، باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (١٢/ ٨٦).

(٣) أسلوب الشدة فِي محلها.

لا تحتقر أهل من دانوا بِمنهجنا ... حَتَّى وإن خرجت ألفاظهم خشنة
فِي الله حدتُهم هذي مزيتهم ... عند التعدي أتبقى النفس متزنة؟
فالحق غايتهم والصدق رايتهم ... ماذا يروم الفتى بعد الذي أمنه؟[1]

بل انظر إِلَى قول أبي مُحَمَّد الأندلسي القحطاني فِي قصيدته المسماة بـ"نونية القحطاني" عند نقده اللاذع للأشاعرة حيث يقول:

يا أشعرية يا أسافلة الورى ... يا عمي يا صم بلا آذان
إني لأبغضكم وأبغض حزبكم ... بغضًا أقل قليله أضغاني
لو كنت أعمى المقلتين لسرني ... كيلا يرى إنسانكم إنساني

إِلَى أن قال:

يا أشعرية يا جَميع من ادعى ... بدعًا وأهواء بلا برهان
جاءتكمُ سنة مأمونة ... من شاعر ذرب اللسان معان

الرابع عشر: الاهتمام بالعلم المبني على الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة والعمل به واعتقاد أن الأمة لن تصلح إلا إذا اهتم أبناؤها بالعلم، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

الخامس عشر: الحرص على التصفية الشاملة ثُمَّ التربية على هذا الصفاء، وانظر فِي ذلك كتاب الشيخ الفاضل/ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي المسمى بـ "التصفية والتربية".

وبعد: فَهذا غيض من فيض من الصفات، والصفات الحميدة كثيرة ولا أبالغ إن قلت إن كل صفة حميدة وردت فِي الكتاب والسنة إلا وكان

---

(١) "إشراقة الشرعة فِي الحكم على تقسيم البدعة"، للقصاص (ص١٠١).

لمن انتهج منهج السلف الحظ الأوفر والنصيب الأكبر منها.

ومن أراد الاستزادة من معرفة أبرز الصفات للعبد الذي يستحق أن يكون سلفيًّا فليطالع كتاب "الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة" للشيخ زيد بن هادي المدخلي وكتاب "منهاج الفرقة الناجية" للشيخ مُحَمَّد بن جميل زينو، ومقدمة كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" لِلَّالكائي (١/ ٥٣) للشيخ أحمد بن سعد ابن حمدان.

تنبيه: إن كل ما تقدم من الصفات لمن انتهج النهج السلفي لا يعني أن أفرادهم معصومون من الأخطاء بل قد يقع الخطأ من آحادهم ولكن يتميزون عن غيرهم بسرعة رجوعهم إلَى الحق إن ظهر ذلك لَهم، والمقصود أن المنهج السلفي هو الذي وَرَّثَه لنا رَسُول الأمة ﷺ وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم-، وهو النهج المعصوم الذي نوصي الناس بأن يسيروا عليه ونحن إذ ندعو الناس إليه إنَّما ندعوهم كما تقدم للإسلام الصافي والصراط المستقيم الذي أمرنا ربنا عزَّ وجلَّ بأن نسير عليه وأوصانا به فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].



الفصل الثامن

انتساب الفرق المبتدعة للسلفية دعوى خالية من الدليل

إن كثيرًا من الفرق المبتدعة قد تدعي أنها على نهج السلف الصالح ولكن هذا القول لا يقبل منهم، ذلك أن قولهم هذا دعوى خاوية من الدليل؛ فلو كانت الدعوى تنفع بمفردها لنفعت اليهود والنصارى عندما ادعوا أن الجنة خاصة بهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ولو كانت الدعوى تنفع بمفردها لكان فرعون صادقًا فيما ادعاه حيث قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. إن الدعوى بمفردها لا تقبل إلا ببينة وبرهان: فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه**»[1]. واللفظ لمسلم.

وأخرج الإمام الترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه

---

(١) البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. (٨/ ٢١٣)، ومسلم: كتاب: الأقضية، باب: اليمين على المدعى عليه. (٣/ ١٣٣٦).

عن جده أن النَّبِي ﷺ قال: «**البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه**»[١].

قال النووي: "وهذا الحديث[٢] قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إِلَى بينة أو تصديق المدعى عليه"[٣].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

والدعاوى ما لَم تقيموا عليها بينـــات أبناؤهـــا أدعيـــاء

وما قيل:

وكــل يــدعي وصــلاً بلــيلى ولــيلى لا تقــر لَهــم بــذاك

فمن الدعاوى العريضة الَّتِي شرقت وغربت هنا وهناك ما قاله (حسن البنا) مؤسس حزب الإخوان المسلمين: "يا قومنا إنا نناديكم والقرآن فِي يَميننا والسنة فِي شمالنا وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا"[٤].

قلت: إن هذه الدعوى الخاوية عن البرهان يبطلها من أساسها المبادئ الَّتِي يقوم عليها حزب الإخوان المسلمين من المؤسس إِلَى أصغر مُنَظِّرٍ

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء فِي أن البينة على المدعي (٣/ ٦٢٦) وصححه الألباني فِي صحيح الترمذي (٢/ ٣٧، ٣٨).

(٢) أي المتفق عليه.

(٣) شرح النووي لمسلم (١٢/ ٣).

(٤) مجموعة الرسائل (ص ٣٥) ط: دار الشهاب.

فيهم، ولست الآن بصدد بيان ذلك تفصيليًّا فقد كفينا ذلك فِي عدد من المؤلفات الموجودة فِي زماننا هذا.

فمن تلكم المؤلفات: "الطريق إِلَى الجماعة الأم، وقفات مع كتاب للدعاة فقط، أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره، مطاعن سيد قطب فِي أصحاب رَسُول الله ﷺ، العواصم مِمَّا فِي كتب سيد قطب من القواصم، المورد الزلال فِي أخطاء الظلال، دعوة الإخوان المسلمين فِي ميزان الإسلام، وحقيقة الدعوة إِلَى الله تعالى، القطبية هي الفتنة فاعرفوها، وغيرها".

ولكني أكتفي بإبطال هذه الدعوى بِما قاله حسن البنا حيث قال: "فلنعمل فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"[(١)].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه... فما كان من مسائل الاجتهاد الَّتِي يخفى دليلها فالواجب عدم الإنكار فيها... أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص"[(٢)].

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- أثناء رده على أحدهم: "وهذه الدعوة يمكن أن ينادي بِها أي مخالف ولو عظمت مخالفته... لكنها لا تجدي

---

(١) نقلاً من "الطريق إِلَى الجماعة الأم" عثمان عبد السلام نوح (ص ١٠)، وحول هذه المقالة انظر مجموعة الرسائل، حسن البنا (ص ٢٣-٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع الشويعر (٣/ ٥٨).

مع البقاء على المذاهب الباطلة»[١].

وقال الشيخ بكر أبوزيد: «وهذا تقعيد حادث فاسد؛ إذ لا عذر لمن خالف فِي قواطع الأحكام فِي الإسلام فإنه بإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مُسلَّمات الاعتقاد»[٢].

وقال شيخنا علي بن مُحَمَّد الفقيهي: «وهذه القاعدة المطلقة دون قيد فاسدة وباطلة؛ لأنَّه بإجماع المسلمين أنه لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد ولم يختلف أئمة الدين فِي الأصول لأن من شؤم هذه القاعدة أننا نجد القائلين بِها قد ضموا تحت شعارها من يُكفِّر أصحاب رَسُول الله ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة المشهود لَهم بالجنة ويدعون تحريف القرآن كما فِي كتبهم القديْمة والمعاصرة ثُمَّ يدخلون تحت شعارها كل بعثي ملحد أعلن تَقِيَّةً ونفاقًا شعار الإسلام، كما جمعوا تحت هذا الشعار الصوفي الذي قد يصل بأفكاره وأوراده إلَى وحدة الوجود ويدعي أنه يأخذ أوراده من رَسُول الله ﷺ مشافهة، ومن يقرر فِي كتبه من مُنَظِّرِي هذه الجماعة صاحبة هذا الشعار أنه لا مانع أن يُنْزل المسلم حاجاته بأصحاب الأضرحة الطاهرة وهو فِي نفس الوقت يطالب بتحكيم الشريعة الإسلامية ولا ندري ما حكم الشريعة الإسلامية فِي هذه الدعوة الصريحة للشرك بالله إذ حاجات المخلوقين جميعًا لا يقضيها إلا خالقهم سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

---

(١) «البيان» (ص ٢٠٦).

(٢) «حكم الانتماء» (ص ١٤٩).

خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢][١].

قلت: فتبين أن هذه القاعدة تُبْطِلُ ما ادعاه من أن عمل السلف الصالح من هذه الأمة قدوته هو وجماعته.

ومما يبطل دعواه أيضًا ما قاله فِي الاجتماع الذي حضره مع لجنة مشتركة أمريكية بريطانية.

قال: "والناحية الَّتِي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية، لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة فِي العالم الغربي ولِهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار: فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتِهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وحينما أراد أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠]"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "بل اليهود والنصارى يعلمون أن مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعث بِها وكَفَّر مخالفَهَا مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونَهيه عن عبادة أحد سوى الله... ومثل معاداته لليهود والنصارى

(١) الوصايا من الكتاب والسنة المجموعة الرابعة (ص ٦٨).

(٢) "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" محمود عبد الحليم (١/ ٤٠٩).

والمشركين والصابئين والمجوس»[١].

قلت: تأمل أخي القارئ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ يتبين أن اليهود أنفسهم يعلمون جيدًا أن مُحَمَّدًا ﷺ بعث بمعاداتهم فكيف بمن ينسب نفسه للسلفية زورًا وبهتانًا ومع هذا يقول: «فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية»!

قال تعالى: ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز عندما عرضت عليه هذه المقالة: «هذه مقالة باطلة خبيثة، اليهود من أعدى الناس للمؤمنين، هم من أشر الناس، بل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين مع الكفار، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]. فاليهود والوثنيون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين وهذه المقالة مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة على قائلها أن يتوب إِلَى اللهِ ويرجع إليه سبحانه وتعالى، ويندم على هذه المقالة السيئة»[٢].

قلت: ومما يبطل دعواه أيضًا اعتقاده أن التفويض «تفويض علم معاني الصفات» من رأي السلف حيث قال: «ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إِلَى اللهِ -تبارك وتعالى- أسلم وأولى بالاتباع»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى(٤/ ٥٤).

(٢) بواسطة، دعوة الإخوان المسلمين فِي ميزان الإسلام (ص١٦١).

(٣) مجموعة الرسائل «العقائد» (ص ٣٣٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنَّهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[١].

وقال الشيخ مُحمَّد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ: "من الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لَم يكونوا يفوضون فِي علم المعنى ولا كانوا يقرءون كلامًا لا يفهمون معناه، بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة يثبتونَها لله عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كيفياتِها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش: الاستواء معلوم والكيف مجهول"[٢].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله-: "ليس الأسلم تفويض الأمر فِي الصفات إلَى علام الغيوب؛ لأنه سبحانه بيَّنها لعباده وأوضحها فِي كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولَم يبين كيفيتها فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لِما عليه السلف الصالح"[٣].

وقال الشيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين: "وبِهذا نعرف ضلال أو كذب من قالوا: إن طريقة السلف هي التفويض، هؤلاء ضلوا إن قالوا ذلك عن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

(٢) "شرح العقيدة الواسطية" (ص٢١-٢٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٥٥) جمع الشويعر.

جهل بطريقة السلف، وكذبوا إن قالوا ذلك عن عمد، وعلى كل حال، لا شك أن الذين يقولون: إن مذهب أهل السنة هو التفويض، أنَّهم أخطئوا؛ لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية»[(١)].

وقال أيضًا عقب كلام ابن تيمية المتقدم: «وصدق رحمه الله إذا تأملته وجدته تكذيبًا للقرآن وتجهيلاً للرسول ﷺ واستطالة للفلاسفة»[(٢)].

قلت: وبدع «البنا» الَّتِي تبطل دعواه من أن عمل السلف قدوته كثيرة جدًا، ومن أراد الوقوف على تلكم البدع فليراجع الكتب الَّتِي بينت عوار الإخوان المسلمين ومنها ما تقدم ذكره، والله أعلم.

ومن الدعاوى الفارغة من الدليل والبرهان ما ادعاه «عبدالمجيد الريمي»[(٣)]. حيث أخرج شريطًا بعنوان: «الرجوع إِلَى فهم السلف» وحق أن يسمى بـ «الرجوع إِلَى فهم الخلف» ذلك أنه قد شحنه بتمجيد جماعة الجهاد، والطعن فِي بعض علماء السنة السلفيين، وغير ذلك من الطوام المخالفة حقًّا لمنهج السلف الصالح، فنقول لعبدالمجيد الريمي: هل من الرجوع إلى فهم السلف الصالح تَمجيد أهل البدع وإطراؤهم وقد بَيَّنَ لنا علماء السلف كيفية التعامل مع أهل البدع؟».

فمن ذلك ما قاله أبوعثمان الصابوني رحمه الله: «واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٩٢-٩٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٩٣).

(٣) من دعاة السرورية بصنعاء.

مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلَى الله عزَّ وجلَّ بِمجانبتهم ومهاجرتهم»[١].

وهل من منهج السلف الطعن فِي علماء السنة السلفيين كما قلت فِي شريطك "القضية الفلسطينية": "بأن هؤلاء وُعَّاظُ السلاطين أخزاهم الله الذين دائمًا يعطون الحكام فتاوى على ما يشتهون".

وقد قال أبوحاتم الرازي رحمه الله: "علامة أهل البدع الوقيعة فِي أهل الأثر" [٢].

وهل من منهج السلف تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم وإن تلبسوا بظلم أو فسق كما تدندن حوله فِي شريطيك (حَتَّى لا تغرق السفينة، وفقه الواقع).

وقد قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننْزع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة ما لَم يأمروا بِمعصية وندعو لَهم بالصلاح والمعافاة"[٣].

وهل من منهج السلف ما قلته فِي شريطك: "مفاسد الديمقراطية -الثاني-" من أن الانتخابات مسألة اجتهادية كقراءة الفاتحة خلف الإمام؟! فهل بالله عليك استبدال حكم الله بحكم البشر من المسائل الاجتهادية؟ هل مساواة العالِم بالجاهل والرجل بالمرأة والتقي بالفاسق فِي الأمور الدينية

---

(١) سبق ذكر مصدره (ص٧١) من هذا البحث.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩).

(٣) سبق ذكر مصدره (ص٦٠) من هذا البحث.

من المسائل الاجتهادية؟! مع العلم بأن صوت كل من هؤلاء يعتبر شهادة لمن ينتخب، هل حرية الرأي والرأي الآخر من المسائل الاجتهادية؟ هل تصوير المرأة من المسائل الاجتهادية؟

كبرت كلمة تخرج من فيك إن تقول إلا كذبًا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وهذه الطوام الَّتِي يتبناها عبدالمجيد الريمي ما هي إلا غيض من فيض، ومن أراد الاستزادة من معرفة ما عند الرجل من ذلك فليطلع على كتاب (تنبيه الأفاضل على تلبيسات أهل الباطل) لأخينا الفاضل أبي همام الصومعي البيضاني، يتبين له بطلان تسمية شريط بـ"الرجوع إِلَى فهم السلف".



الفصل التاسع

شُبَهٌ وردود حول الدعوة السلفية

إن الشبه الَّتِي ينعق دعاة الباطل وَيُنَفِّرُونَ بِها الناس عن الدعوة السلفية يصدق عليها قول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]. وقول القائل:

شبه تهافت كالزجاج تخالها ... حججًا وكل كاسر مكسور

ورأيت وعلى مضض أن أسطر هذه الوريقات ذاكرًا فيها أبرز لا أقول الشبه بل الافتراءات حول الدعوة السلفية ودعاتِها مستعينًا بالله -جل فِي علاه- على نقضها واستئصالها من جذورها، معتمدًا فِي الرد على الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، ثُمَّ إليك أخي القارئ ذكر هذه الشبه (الافتراءات) مجملة ثُمَّ مفصلة والرد عليها والله المعين:

الشبهة الأولى: رميهم أهل السنة (السلفيين) بالتشدد.

الشبهة الثانية: رميهم أهل السنة بأنَّهم حزب.

الشبهة الثالثة: رميهم أهل السنة بأنَّهم يغتابون ويسبون العلماء.

الشبهة الرابعة: رميهم أهل السنة بأنَّهم لا يهتمون بأحوال المسلمين.

الشبهة الخامسة: رميهم أهل السنة بعدم فقه الواقع.

الشبهة السادسة: رميهم أهل السنة بأنَّهم علماء عمالة وسلطة.

الشبهة السابعة: رميهم أهل السنة بأنَّهم فرقوا المسلمين.

الشبهة الثامنة: قولهم بأن أهل السنة (مرجئة مع الحكام خوارج مع الدعاة).

الشبهة التاسعة: قولهم بأن أهل السنة يفصلون الدين عن الدولة.

الشبهة العاشرة: رميهم أهل السنة بأن دعوتَهم لا تخرج عن حيز المساجد.

الشبهة الحادية عشرة: قولهم بأن السلفيين (يتركون الأعداء ويشتغلون بالدعاة).

الشبهة الثانية عشرة: رميهم أهل السنة بتكفير المسلمين.

الشبهة الثالثة عشرة: رميهم أهل السنة بظاهرة الإرهاب.

الشبهة الرابعة عشرة: رميهم أهل السنة بعدم العدل والإنصاف.

الشبهة الخامسة عشرة: رميهم أهل السنة بالجفاء وضعف التعبد.

الشبهة السادسة عشرة: رميهم أهل السنة بالتقليد.

الشبهة السابعة عشرة: قولهم: بأن التَّسَمِّي بالسلفية بدعة.

هذه أبرز شبه أهل البدع والأهواء الَّتِي من خلالها يحيكون العداء للدعوة السلفية وينفرون الناس عنها، وسلفهم فِي ذلك (فِي العمل هذا) مشركو قريش حيث نفروا الناس عن رَسُول الهدى مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ بأن قالوا: "ساحر، كاهن، شاعر، مُفْتَرٍ، مجنون، مُذَمَّم، وغير ذلك" وعلى هذا الخط والمسار سار أهل البدع والأهواء عليه يوصون بعضهم بعضًا به منذ ظهور البدع وأهلها إِلَى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]. لكن الله متم نوره على رغم أنوف المبتدعة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ولله در القائل:

ألم تـر أن الحـق تلقـاه أبلجـا وأنك تلقى باطل القول لجلجا

مِمَّا حدا بالسلف الصالح إِلَى أن يؤصلوا قاعدة عامة يعرفون من خلالها أهل البدعة والضلال.

قال أبومُحَمَّد الرازي: وسمعت أبي يقول: "علامة أهل البدع الوقيعة فِي أهل الأثر" [(١)].

وحقيقة: إن الشُّبَهَ والافتراءات حول الدعوة السلفية كثيرة وكثيرة جدًّا ولكن رأيت أن أذكر أبرزها فِي نظري وأرد عليها مستمدًا من الله تعالى العون والتوفيق فهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) سبق ذكر مصدر ص٨٤ من هذا البحث.

الشبهة الأولى:

رميهم أهل السنة بالتشدد

بادئ ذي بدء نقول لمن يَصِمُ دعاة المنهج السلفي بِهذه التهمة الجائرة: بينوا لنا معنَى التشدد حَتَّى يتم من خلاله معرفة مدى صحة دعواكم هذه؟ فهل ترون التشدد فِي أن ندعو الناس إلَى توحيد الله الخالص بأنواعه الثلاثة والسنة المطهرة، وتحذيرهم من الشر بشتى أنواعه، ابتداء بالشرك بقسميه، ثُمَّ البدع بأنواعها، ثُمَّ الكبائر والصغائر، أم هو التعبد لله تعالى بعبادات ما أنزل الله بِها من سلطان وتجاوز الحد فيها مدحًا أو ذمًّا؟

فإن كان مقصودكم بالتشدد الأمر الأول، فنقول لكم: من باب أولى وأولى أن ترموا الأنبياء والرسل وسادة الأمة من السلف بِهذه التهمة؛ لأنَّهم دعوا جميعهم إليه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكلهم -الرسل- يدعون إلَى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه"[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن مُحَمَّد بن عبدالوهاب: "وهذا التوحيد -الإلهية-

(١) "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٥٨٩).

هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها»[١].

وثبت فِي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلَى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلَى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رَسُول الله...**». الحديث[٢].

بل فِي هذه التهمة طعن فِي القرآن الكريم، ذلك أن القرآن من أوله إلَى آخره فِي التوحيد وما يتعلق به وفي التحذير من الشرك والأمور الموصلة إليه وبيان جزاء أهل التوحيد وجزاء أهل الشرك.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "وغالب سور القرآن، بل كل سورة فِي القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه،... فالقرآن كله فِي التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وجزائه"[٣].

وهذه سيرة السلف الصالح منذ عصر الصحابة الكرام -رضوان الله تعالى عليهم- حتى عهدنا هذا وأهل العلم من أهل السنة السلفيين يدعون الناس إلَى هذا الأمر، أي: الأمر الأول المتقدم ذكره.

أما إن كان مقصودكم بالتشدد الأمر الثاني، فنحن والحمد لله ننكره فها هي كتب علماء الدعوة السلفية وأشرطتهم ودروسهم متوفرة بين ظهراني

---

(١) "تيسير العزيز الحميد فِي شرح كتاب التوحيد" (ص ٣٦).

(٢) البخاري، مع الفتح، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلَى اليمن قبل حجة الوداع (٨/ ٦٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلَى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠).

(٣) "مدارج السالكين" (٣/ ٤٦٨، ٤٦٩).

الأمة فأين هذا الأمر منها؟ فإن أبيتم إلا أن تصفوهم بذلك فنذكركم بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]. وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

ونذكركم بما ثبت عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «المفلس مِن أمتي، مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثُمَّ طرح فِي النار»[1].

ثُمَّ إليكم بيان معنَى التشدد وإيضاح ذلك، وبيان أنه ينطبق على سائر أهل البدع وأن أهل السنة السلفيين بعيدون كل البعد عن ذلك.

اعلم أخي القارئ الكريم أن التشدد منحصر فِي شيئين اثنين ذكرا فِي الأمر الثاني.

الشيء الأول: التعبد لله تعالى بعبادات ما أنزل الله بِها من سلطان.

الشيء الثاني: الغلو والتنطع فِي الدين.



وإليك توضيح ذلك:

أما الشيء الأول: التعبد لله بعبادات لَم تَرِد فِي الكتاب والسنة.

فإن أهل السنة السلفيين لا يتعبدون لله إلا بِما ورد فِي الكتاب والسنة وهم بعيدون -بحمد الله- عن البدع والمحدثات؛ لأنَّهم علموا وعملوا بِمقتضى حديث عائشة المتفق عليه واللفظ للبخاري أن رَسُول الله ﷺ قال: «من أحدث فِي أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ». وفي لفظ لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ»(١).

قال النووي رَحِمَهُ الله: "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح فِي رد كل البدع والمخترعات... وهذا الحديث مِمَّا ينبغي حفظه واستعماله فِي إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به"(٢).

فابتعدوا عن إحداث بدع فِي دين الله ما أنزل الله بِها من سلطان وكتبهم وأشرطتهم شاهدة بذلك، بخلاف الدعوات والفرق المناوئة للدعوة السلفية، فإن أساس منهجها مبتدع وطريقة دعوتِهم كذلك ليست على الكتاب ولا على السنة ولستُ أبعد النُّجْعَةَ إن قلت: إن هذه الحركات الدعوية كحركة الإخوان المسلمين والسرورية والجهاديين والتكفير وغيرها من فرق الضلال تخدم أعداء الإسلام -شعروا بذلك أو لَم يشعروا- أكثر

---

(١) البخاري: كتاب: الصلح. باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/ ٣٠١)، ومسلم: كتاب: الأقضية. باب: نقض الأحكام الباطلة (٣/ ١٣٤٣، ١٣٤٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٦).

من خدمتها للإسلام فهي تهدم من حيث إنَّها -حسب زعمها- تريد أن تبني؛ ذلك لأن أساس بنيانها فاسد وعلى أمور مخالفة للشرع الحنيف.

والله تعالى يقول: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقال عبدالله بن مسعود: "وكم من مريد للخير لن يصيبه"[(١)].

فانظر معي أخي القارئ الكريم إلَى حزب الإخوان المسلمين عندنا باليمن المتمثل -بحزب التجمع اليمني للإصلاح- كيف قامت إسرائيل بمدحه، ذلك لأن قادات هذا الحزب قد صدق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. فِي قضية استماتتهم فِي الدعوة للانتخابات والديمقراطية فحققوا منجزًا عظيمًا لإسرائيل باسم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله، ناهيك عن مدحهم للدستور -أعني دستور الجمهورية اليمنية- وقد احتوى على عدد من المخالفات الشرعية منها إقراره التعددية الحزبية كما هو نص المادة رقم (٥) حيث نصت: يقوم النظام السياسي للجمهورية على التعددية السياسية والحزبية وذلك بِهدف تداول السلطة سلميًا، وكذلك إقراره العمل بِميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالَمي لحقوق الإنسان وميثاق جامعة الدول العربية وقواعد القانون الدولي المعترف بِها بصورة عامة كما هو نص المادة رقم (٦) من الدستور وغير ذلك من المواد المخالفة للشرع، ولكن ماذا

---

(١) سنن الدارمي. المقدمة (١/ ٧٩).

يقال عن هؤلاء الذين يَمدحونه من غير حياء من الله ولا من الشعب اليمني، وقد صرح بالمدح عبدالمجيد الزنداني كما فِي شريطه "أَدِّ الأمانة ولا تَكُ صفرًا" حيث قال بالحرف الواحد: "حمدًا لله -جل وعلا- لقد تيسر لأبناء الشعب اليمني أن يضعوا دستورًا، هذا الدستور هو وثيقة بين الحاكم والمحكوم... لكن هذا الدستور قد ضمن حقائق كثيرة وضمن حقوقًا كثيرة لشعبنا".

قلت: وقد تم بحمد الله مناقشة هذا الكلام منه وبيان بطلانه فِي كتابي "الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية" (ص ٢٢٦-٢٣١) فلينظر.

وبناءً على استماتتهم فِي الدعوة إلَى النظام الديمقراطي لذا مدحتهم إسرائيل، فقد نشرت جريدة الأيام خبرًا عن جريدة إسرائيلية اسمها "جيرسالم بوست" قالت: "يبدو حقًّا أن حزب الرئيس علي عبدالله صالح وشريكه الائتلافي سيحتفظان بقوتِهما إلا أن الرئيس بالتأكيد يستحق التقدير والمباركة على هذا الأمر حَتَّى أن شريكه الإسلامي فِي الائتلاف (حزب الإصلاح) هو حزب فريد ولا مثيل له فِي العالم الإسلامي فهو لا يبشر بالإسلام المتسامح ويدعو إلَى الديمقراطية فقط بل قد انتقل من المعارضة إلَى الخدمة فِي حكومة ائتلاف وذلك عبر انتخابات حرة فقط"[(١)].

قلت: كذلك من الأمور المحدثة عند أصحاب الحركات الدعوية المبتدعة ما يسمى بالبيعة الخاصة (العهد) والسرية والتنظيم الحزبي وتجويزهم

---

(١) جريدة الأيام. الأحد ٢٧ ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق ٤ مايو ١٩٩٤م العدد (٣٢٥) السنة ١٦ (ص ٨).

للتحزبات المبتدعة، واستخدامهم وسائل للدعوة محدثة كالأناشيد الصوفية المسماة تَمويهًا بالأناشيد الإسلامية (والتمثيليات البدعية).

أما الكلام حول جماعة التبليغ فحدث ولا حرج فهي جماعة صوفية وبدعها أكثر من أن تحصر، فهي قائمة على أربع طرق صوفية خبيثة وهي: الجشتية، والسهروردية، والقادرية، والنقشبندية.

قال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رَحِمَهُ اللهُ: "فإلى هذه الطرق الأربع يدعون (جماعة التبليغ) الأعاجم ويبايعونَهم بدون تحفظ ويدعون من انخدع بِهم ومال إليهم من جهال العرب وأغبيائهم إلَى المبايعة عليها إذا وثقوا به... وأهم كتاب عند التبليغيين كتاب "تبليغي نصاب" وفيه من الشركيات والبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة والضعيفة شيء كثير، فهو فِي الحقيقة كتاب شر وضلال وفتنة، وقد اتخذه التبليغيون -الأعاجم- مرجعًا لنشر بدعهم وضلالاتِهم وترويجها وتزيينها للهمج الرعاع الذين هم أضل سبيلاً من الأنعام... وللتبليغيين كتاب آخر يعتمدون عليه ويجعلونه من مراجع أتباعهم من الأعاجم من الهنود وغيرهم وهو المسمى "حياة الصحابة" لمحمد يوسف الكاندهلوي، وهو مملوء بالخرافات والقصص المكذوبة والأحاديث الموضوعة والضعيفة، وهو من كتب الشر والضلال والفتنة... ويقول قائلهم: "إن لجماعتنا ولأكابرنا حظ وصول فِي مجالس النَّبي ﷺ يقظة لا منامًا""[1].

قلت: أما العرب فإنَّهم يدلسون عليهم بكتاب "رياض الصالحين"

---

(١) "القول البليغ فِي التحذير من جماعة التبليغ" (ص ١١-١٢).

للنووي، وهو كتاب قيم، ولكنهم لا يقرءون منه إلا فِي مواطن تحدد لَهم استدراجًا وتَهيئة لكتاب "حياة الصحابة" ثُمَّ كتاب "تبليغي نصاب" والله المستعان، وكذلك الأوراد الَّتِي تستعملها هذه الجماعة (الفرقة) ومنها (إلا الله) أربع مائة مرة، و(الله، الله) ست مائة مرة يوميًا، وقولهم (لا إله) نحوًا من "ست مائة مرة ثُمَّ بعد ذلك يكررون كلمة (إلا الله) نحوًا من مائتي مرة، ويقولون ذلك بصوت جماعي مرتفع.

قال الشيخ التويجري: "ولا شك أن هذا من الاستهزاء بالله وبذكره، ولا يخفى على من له علم وفهم أن فعلهم هذا يتضمن الكفر ست مائة مرة، لأن فصل النفي عن الإثبات فِي قول "لا إله إلا الله" بزمن متراخ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الاختيار يقتضي نفي الألوهية عن الله تعالى ست مائة مرة وذلك صريح الكفر... ثُمَّ إن إتيانَهم بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخٍ لا يفيدهم شيئًا وإنَّما هو من التلاعب بذكر الله والاستهزاء به"[1].

ومن بدع فرقة التبليغ الخروج المزعوم عندهم وتحديد أيام لذلك بل أشهر وهكذا، والكلام يطول حول بدع الفرق وهذا معلوم.

فبناء على ما تقدم يظهر أن الذي يستحق أن يوصم بالتشدد هم أهل البدع وأن ساحة أهل السنة السلفيين بريئة من ذلك كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

---

(١) "القول البليغ فِي التحذير من جماعة التبليغ" (ص٩-١٠).

الشيء الثاني: الغلو في الدين والتنطع فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وثبت عند ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)].

قال قتادة: "لا تبتدعوا ولا تجالسوا مبتدعًا"[(٢)].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه ما يستحق ونحو ذلك"[(٣)].

وقال **ابن كثير** رحمه الله: "ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنَّهم تجاوزوا الحد في عيسى حَتَّى رفعوه فوق المنْزلة الَّتِي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلَى أن اتخذوه إلَهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله..."[(٤)].

وقال **الشوكاني**: "النهي لَهم عن الإفراط تارة والتفريط أخرى، فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى حَتَّى جعلوه ربًّا، ومن التفريط غلو اليهود

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي (١٠٠٨/٢) وصححه الألباني رحمه الله كما في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم (٤٦/١).

(٢) "الإبانة" لابن بطة (٤٤٠/٢).

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (٢٩٣/١).

(٤) "تفسير القرآن العظيم" (٦٠٣/١).

فِيه عليه السلام حَتَّى جعلوه لغير رشده"[١].

قلت: انظر -رحمك الله- إلَى هذه الآية الكريْمة وهذا الحديث النبوي الشريف وأقوال أهل العلم، يتبين لك بأننا مأمورون بترك الغلو وهو التشدد والتنطع فِي دين الله؛ لأن فعل ذلك يؤدي حتمًا إلَى التشبه بِهم مِمَّا يؤدي بنا ذلك إلَى الهلاك، فقد ثبت عند أبي داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٢].

لذا فإن نبينا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نَهى عن إطرائه وهو الإفراط فِي مدحه[٣]. كما ثبت ذلك عند البخاري من حديث عمر رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنَّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[٤].

وأنكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الثلاثة الذين جاءوا إلَى بيوت أزواج النَّبِي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما أخبروا كأنَّهم تقالوها فلما علم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِهم وبقولهم قال -وفيه-: «**لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٥].

---

(١) "فتح القدير" (١/ ٥٤٠).

(٢) سنن أبي داود، كتاب: اللباس، باب: فِي لبس الشهرة (٤/ ٣١٤) وصححه الألباني فِي إرواء الغليل (٥/ ١٠٩).

(٣) قال شيخنا الألباني: "فلعل الأولى أن يقال: لا تمدحوني مطلقًا وهو من معاني الإطراء لغة" مختصر الشمائل المحمدية (ص١٧٥).

(٤) البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (٦/ ٤٧٨).

(٥) سبق تخريجه ص(٦٦) من هذا الكتاب.

وغضب ﷺ على أصحابه عندما أرادوا أن يواصلوا فِي الصيام فقد ثبت فِي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال النَّبِي ﷺ: «**لا تواصلوا الصيام**، قالوا إنك تواصل، قال: **إني لست مثلكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**. فلم ينتهوا من الوصال قال: فواصل بِهم النَّبِي ﷺ يومين أو ليلتين ثُمَّ رأوا الهلال، فقال النَّبِي ﷺ: «**لو تأخر الهلال لزدتكم**» كالمنكي[(١)] لهم [(٢)].

بل ورد النص الصريح بتحريم التشدد فقد ثبت عند البخاري من حديث أبي هريرة عن النَّبِي ﷺ قال: «**إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَةِ**» [(٣)].

قال الحافظ بن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ: "والمعنى لا يتعمق أحد فِي الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن المنير: فِي هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فِي الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل فِي العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلَى الملال أو المبالغة فِي التطوع المفضي إلَى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم إلَى أن غلبته عيناه فِي آخر الليل فنام عن صلاة

---

(١) المنكي: يريد أنه ﷺ قال لَهم ذلك عقوبة كالفاعل بِهم ما يكون عبرة لغيرهم.

(٢) البخاري، كتاب: الاعتصام، باب: ما يكره من التعمق والتنازع والغلو فِي الدين (١٣/ ٢٧٥)، ومسلم، كتاب: الصوم، باب: النهي عن الوصال فِي الصوم (٢/ ٧٧٤).

(٣) البخاري، كتاب: الإيْمان. باب: الدين يسر... (١/ ٩٣).

الصبح فِي الجماعة أو إلَى أن خرج الوقت المختار أو إلَى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة»[(١)].

وثبت عند مسلم من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رَسُول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالَها ثلاثًا[(٢)].

قال النووي: "المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فِي أقوالهم وأفعالهم"[(٣)].

قلت: وهكذا النَّبِي ﷺ كان حريصًا كل الحرص على الحفاظ على أمته من الوقوع فِي الغلو وتجاوز الحد مدحًا أو ذمًّا، وكما تقدم معنا أن أهل السنة السلفيين أحرص الناس على متابعة الرسول الكريم ﷺ فِي أقواله وأفعاله، فنقول لهؤلاء المفترين على أهل السنة ودعوتهم: أين التشدد فيهم؟ أَلِأَنَّهُم يأتمرون بالأوامر -والتي من أهمها بل أهمها- أنَّهم يدعون إلَى توحيد الله والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وينتهون عن النواهي -والتي أهمها- الابتعاد عن الشرك والبدع ويتمسكون بِما كان عليه السلف الصالح؟ أم لِأَنَّهُم لَم ينخرطوا فِي التحزبات البدعية والانتخابات الديمقراطية والتنازلات العقدية يوصمون بالتشدد؟ وعلى كلا الأمرين:

فنقول لكم ما قاله الله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/ ٩٤).

(٢) مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٠).

﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. إن الغلو حقيقة موجود عند أهل البدع، فانظر مثلاً إِلَى الرافضة كيف يغلون فِي أئمتهم -زعموا- فيدعون لَهم العصمة.

حَتَّى قال إمامهم فِي الضلالة فِي هذا العصر الخميني -عليه من الله ما يستحق-: "إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نَبِي مرسل"(١).

ونقل الكليني عن الإمام جعفر الصادق قوله: "نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تعالى بطاعتنا ونَهى عن معصيتنا، نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض"(٢).

ومما جاء أيضًا فِي أبواب كتاب أصول الكافي: "باب: أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء"(٣).

وإذا نظرنا أيضًا إِلَى الصوفية وما أحدثته من الغلو فِي الأولياء والشيوخ لرأينا العجب العجاب والله المستعان.

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: "أما الأولياء عند الصوفية فلهم اعتبارات ومواصفات أخرى، فهم يمنحون الولاية لأشخاص معينين من غير دليل من الشارع على ولايتهم وربَّما منحوا الولاية لمن لَم يعرف بإيْمان ولا تقوى بل قد يعرف بضد ذلك من الشعوذة والسحر واستحلال

---

(١) "الحكومة الإسلامية" (ص ٥٢)، نقلاً من كتاب "الخطوط العريضة" لمحب الدين الخطيب (ص٣٢).

(٢) "أصول الكافي" للكليني (ص ١٦٥) نقلاً من كتاب "بطلان عقائد الشيعة" للتونسوي (ص ٢٣).

(٣) "الخطوط العريضة للشيعة الاثنا عشرية" (ص ٣١).

المحرمات وربَّما فضلوا من يدعون لَهم الولاية على الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- كما يقول أحدهم:

مقـــام النَّبــوة فِي بـــــرزخ فويــق الرســـول ودون الــولي

ويقولون: إن الأولياء يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلَى الرسول، ويدعون لَهم العصمة... ولم يقف الصوفية عند هذا الحد من منح الولاية لأمثال هؤلاء، بل غلوا فيهم حَتَّى جعلوا فيهم شيئًا من صفات الربوبية، وأنَّهم يتصرفون فِي الكون ويعلمون الغيب ويجيبون من استغاث بِهم بطلب ما لا يقدر عليه إلا الله، ويسمونَهم الأغواث والأقطاب والأوتاد، ويهتفون بأسمائهم فِي الشدائد وهم أموات أو غائبون، وأضفوا على قبورهم الأضرحة، وأضفوا عليهم هالة من التقديس فِي حياتِهم، وعبدوهم من دون الله بعد وفاتِهم، فبنوا على قبورهم الأضرحة وتبركوا بتربتهم وطافوا بقبورهم وتقربوا إليهم بأنواع النذور، وهتفوا بأسمائهم فِي طلباتِهم»[(١)].

قلت: ومن غلو الصوفية ما قاله البوصيري فِي قصيدته المسماة بـ«البردة»:

يا أكرم الخلق ما لِي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رَسُول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم
إن لَم يكن في معادي آخذًا بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتَها ومن علومك علم اللوح والقلم

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «إنه لَم يترك شيئًا لله ما دامت الدنيا والآخرة

(١) «حقيقة التصوف» (ص٣٢-٣٧).

من الرسول ﷺ"[١].

قال ابن عثيمين: "ونشهد أن من يقول هذا ما شهد أن مُحَمَّدًا عبد الله بل شهد أن مُحَمَّدًا فوق الله، كيف يصل بِهم الغلو إِلَى هذا الحد؟ وهذا الغلو فوق غلو النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة"[٢].

وانظر أيضًا إِلَى تلاعب الشيطان بالصوفية، فَهذا إمامهم فِي الزندقة والكفر المدعو ابن عربي صاحب: "فصوص الحكم" فمما جاء فِي هذا الكتاب: أن الصوفية يأخذون عن الله مباشرة، عياذًا بالله.

حيث يقول: "دقيقة لا يعلمها إلا أمثالنا، وذلك فِي أخذ ما يحكمون به مِمَّا شرع للرسول ﷺ، فالخليفة عن الرسول يأخذ الحكم بالنقل عنه ﷺ وبالاجتهاد الذي أصله أيضًا منقول عنه ﷺ، وفينا من يأخذه عن الله تعالى، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم"[٣].

وهكذا يأتي نجل الصوفية "حسن البنا" مؤسس حزب الإخوان المسلمين، متشبعًا بالفكرة الصوفية قائلاً فِي حفل مولد النَّبِي ﷺ:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا — وسامح الكل فيما قد مضى وجرى
لقد أدار على العشاق خمرته — صِرفًا يكاد سناها يُذْهِب البصرا

---

(١) "كتب ليست من الإسلام" للاستنبولي (ص١٦)، و"القول المفيد شرح كتاب التوحيد" ابن عثيمين (١/ ٦٤).

(٢) "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" ابن عثيمين (١/ ٦٥).

(٣) نقلاً عن كتاب "ابن عربي الصوفي فِي ميزان البحث والتحقيق" للسندي (٢/ ١٣٥).

يا سعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معاطفه لا شك أن حبيب القوم قد حضرا[١]

قال ابن عثيمين: "هم -الصوفية- قالوا فوق ذلك، قالوا: إن الله يقول: من ذكرني فِي ملأ ذكرته فِي ملأ خير منه وأنا مع عبدي إذا ذكرني. والرسول معنا إذا ذكرناه، ولِهذا ليلة المولد إذا تلا التالي "المخرف" كلمة المصطفى قاموا جميعًا قيام رجل واحد يقولون: لأن الرسول ﷺ حضر مجلسنا بنفسه فقمنا إجلالاً له، والصحابة رضي الله عنهم أشد إجلالاً منهم ومنا ومع ذلك إذا دخل عليهم الرسول ﷺ وهو حي يكلمهم لا يقومون، وهؤلاء يقومون إذا تخيلوا أو جاءهم شبح إن كانوا يشاهدون شيئًا فانظر كيف بلغت بهم عقولهم إلَى هذا الحد!!

فهؤلاء ما شهدوا أن مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله وهؤلاء المخرفون مساكين إن نظرنا إليهم بعين القدر فنرق لَهم ونسأل الله لَهم السلامة، وإن نظرنا إليهم بعين الشرع فإننا يجب أن ننابذهم حَتَّى يعودوا إلَى الصراط المستقيم"[٢].

قلت: وانظر أخي القارئ إلَى حال الإخوان المسلمين وَغُلُوِّهِم فِي حسن البنا حيث قال كامل الشافعي وهو من أوائل الإخوان المسلمين: "حسن البنا يراه الناس ماشيًا فيرون مصحفًا له قدمان ويشهدونه متحدثًا فيشهدون قرآنًا له لسان وشفتان، وهكذا حاله إذا أكل أو شرب أو قعد

(١) "حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه" (ص ٧١-٧٢) نقلاً من "دعوة الإخوان المسلمين" (ص٦٤).

(٢) "القول المفيد" (١/ ٦٥).

أو قام أو استيقظ أو نام، إسلام أبدًا وإيمان دائمًا»(١).

بل وصل الحال ببعض المنتسبين لحزب الإخوان المسلمين المسمى عندنا تمويهًا بـ «التجمع اليمني للإصلاح» إِلَى أن يغلوا في عبدالمجيد الزنداني فقد سَمِعتُ شخصًا يطريه عند أن كان فِي مجلس الرئاسة قائلاً: إذا نظرت إليه كأنك تنظر إِلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ ابن عثيمين: «والناس فِي العبادة طرفان ووسط، فمنهم المُفَرِّطُ ومنهم المُفْرِطُ ومنهم المتوسِّطُ، فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكون الإنسان معتدلاً لا يميل إِلَى هذا ولا إِلَى هذا، هذا هو الواجب فلا يجوز التشدد فِي الدين والمبالغة ولا التهاون وعدم المبالاة بل كن وسطًا بين هذا وهذا»(٢).

قلت: هكذا حال أهل البدع فهم إما مُفَرِّطون أو مُفْرِطون بينما أهل السنة السلفيون يمثلون الوسط.

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: «بل هم «أهل السنة» الوسط فِي فرق الأمة كما أن الأمة هي وسط فِي الأمم»(٣).

فكيف والحالة ما ذكر الشيخ الفوزان يَصِمُون أهل السنة بِما هم برآء منه بل بِما يشددون النكير عليه، والله المستعان.

---

(١) «حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه» لجابر رزق (ص ١٥٦) نقلاً عن «دعوة الإخوان المسلمين» (ص ١٠٦).

(٢) القول المفيد (١/ ٣٧٩، ٣٨٠).

(٣) سبق ذكر مصدره (ص٤٨) من هذا البحث.

إن الدين الإسلامي الحنيف الذي يتمثل فِي دعوة أهل السنة السلفيين حث على السماحة والتيسير وعدم المشقة، وأخذ أهل العلم من أهل السنة قاعدة عظيمة فِي هذا الباب فقالوا: "إن المشقة تجلب التيسير، ومعناها: أن الأحكام الَّتِي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف فإن الشريعة تخففها بما يقع تحت قدرة المكلف دون عسر أو إحراج"[(١)].

وهذه القاعدة أدلتها فِي الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رَسُول الله ﷺ قال لأصحابه فِي قصة بول الأعرابي: «فإنَّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[(٢)].

وثبت عند أبي داود الطيالسي من حديث مِحْجَنِ بن الأَدْرَعِ الأسلمي أن النَّبِي ﷺ قال: «خير دينكم أيسره». قالها ثلاثًا[(٣)].

وجاء عند البخاري فِي صحيحه معلقًا وفي الأدب المفرد موصولاً من حديث ابن عباس قال: سئل النَّبِي ﷺ: أي الأديان أحب إِلَى الله عز

---

(١) "توضيح الأحكام من بلوغ المرام" البسام (١/ ٤٤).

(٢) سبق تخريج الحديث من هذا البحث (ص ٦١).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (ص ١٨٣)، وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (١/ ٦٢٥).

وجلَّ؟ قال: «الحنيفية السمحة»[(١)].

ومما يدل على سماحة هذا الدين ويسريته أن شرع للمريض أن يصلي على حسب استطاعته قائمًا أو قاعدًا أو على جنب تيسيرًا عليه، فقد ثبت عند البخاري من حديث عمران بن حصين قال: كانت بي بواسير فسألت النَّبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صَلِّ قائمًا فإن لَم تستطع فقاعدًا فإن لَم تستطع فعلى جنب**»[(٢)].

ورفع الله المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وثبت عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فَلْيُتِمَّ صومه؛ فإنَّما أطعمه الله وسقاه**»[(٣)].

وثبت عند ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(٤)].

وقد شرع أحكامًا خاصة للضرورات فيباح للمضطر ما يحرم عليه فِي

---

(١) البخاري، مع الفتح، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر (١/ ٩٣)، صحيح الأدب المفرد الألباني باب: حسن الخلق إذا فقهوا (ص ١٢٢) رقم (٢٢٠/ ٢٨٧).

(٢) البخاري، كتاب: تقصير الصلاة، باب: إذا لَم يطق قاعدًا صلى على جنب (٢/ ٥٨٧).

(٣) مسلم، كتاب: الصيام، باب: أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر (٢/ ٨٠٩).

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي (١/ ٦٥٩) وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (١/ ٣٧٦).

حال غير الضرورة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والأمثلة والأدلة عليها كثيرة يصعب حصرها كلها تدل على سماحة الإسلام.

ثبت فِي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنَّما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»[1].

وليعلم الجميع أن طريقة أهل السنة السلفيين فِي تمسكهم بالدين بين الإفراط والتفريط فيتبعون ولا يبتدعون ولا يتنازلون عن الشرع، ولكن هناك من الناس من يستغل سماحة الدين ويسريته استغلالاً غير صحيح فَيُجَوِّزُ لنفسه ولغيره ما هو ممنوع فِي الشرع بتأويلات فاسدة، بل الأدهى والأمر أن يقوم بالنكير على من يتمسكون بالدين ويرميهم بالتشدد وما شابه ذلك من العظائم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

قال الشيخ الفوزان: "من الناس من يريد أن يستغل سماحة الإسلام استغلالاً سيئًا فيبيح لنفسه فعل المحرمات وترك الواجبات ويقول: الدين يسر -نعم الدين يسر- لكنها كلمة حق أريد بِها باطل فليس معنَى يسرية الدين وسماحته التفلت من واجباته وارتكاب محرماته وإنَّما معنَى ذلك

(١) البخاري، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن الرسول (١٣/ ٢٥١) ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: توقير النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه (٤/ ١٨٣٠).

الانتقال بالعبد من العبادة الشاقة إلَى العبادة السهلة كالانتقال بالمسافر من الصلاة التامة إلَى الصلاة المقصورة، والانتقال به من الصيام فِي أيام السفر إلَى الصيام فِي أيام أُخَرَ، والانتقال من الطهارة بالماء إلَى الطهارة بالتراب... فليس معنَى يسر الدين أن نترك الواجبات ونرتكب حرماته بل من فعل ذلك استحق العقوبة فِي الدنيا والآخرة، ولِهذا شرعت الحدود والعقوبات لردع هؤلاء وإلزامهم بشرائع الدين»[١].

قلت: وبذلك يتم -والفضل لله- درء هذه الشبهة عن ساحة أهل السنة والجماعة السلفيين ولمزيد من الاطلاع حول هذه الشبهة ودحضها انظر كتاب أخينا الفاضل الشيخ/ عبدالعزيز البرعي المسمى "قراع الأسنة" والحمد لله رب العالمين.



(١) الخطب المنبرية فِي المناسبات العصرية (١/ ١٤).

الشبهة الثانية:

رميهم السلفيين بأنَّهم حزب

نقول لَهم: ماذا تعنون بقولكم حزب؟

أَمُرَادُكُم بذلك أنَّهم حزب بالمعنى اللغوي، أي أنَّهم قوم تجمعهم صفة جامعة من رابطة العقيدة والإيْمان والتمسك الصادق بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة؟

أم مرادكم أنَّهم حزب كسائر الأحزاب الموجودة الآن فِي المجتمع الَّتِي وردت النصوص (كتابًا وسنة) بالنهي والتحذير منها والتي يتولد عنها التباغض والحقد وينتج عنها الافتراق والاختلاف، ويكون عقد الولاء والبراء فيها على نطاق الحزب ومن كان منظمًا فيه؟

فإن كان مرادكم الأول -وهو بعيد- فهم بحمد الله كذلك وهم بذلك يمثلون قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ونقول لكم: لتسموهم بِما تشاءون، فإن كان هذا الاجتماع على هذه الصفة مذمومًا عندكم فماذا تقولون بقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(١).

وبما ثبت عند الحاكم وابن أبي عاصم واللفظ له من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بَحْبُوحَةَ الجنة فعليه بالجماعة**»(٢).

وبما ثبت أيضًا عند ابن أبي عاصم من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**يد الله على الجماعة**»(٣).

وغيرها من النصوص الدالة على وجوب الاجتماع على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه سلف الأمة وكذا الحث على الجماعة وهي كثيرة معلومة.

ثُمَّ نقول لكم أيضًا: ليس كل اجتماع يكون مذمومًا، فإن كان الاجتماع على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح فَهذا الاجتماع ممدوح، أما ترون إلَى المؤذن حين يؤذن للصلاة يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فيبادر المؤمنون جميعًا للإجابة والاجتماع فِي المسجد لأداء الصلاة، فهل هذا الاجتماع بحد ذاته يكون مذمومًا؟!

أما إذا كان الاجتماع على غير ذلك من عقد الولاء والبراء والحب والبغض فِي نصوص تملى من قبل قيادات الأحزاب فَهذا هو المنهي عنه

(١) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، كتاب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم (٤/ ١٩٩٩) من حديث أبي موسى.

(٢) سبق ذكر مصدره (ص ٥٣) من هذا البحث.

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٠) وصححه الألباني.

وهذا الذي عليه سائر الأحزاب والتنظيمات الموجودة الآن، وهو الذي ترمون به أهل السنة وهو الأمر الثاني من المقصود بقولكم: حزب.

فنقول لكم: صدق عليكم قول الشاعر: "رمتني بدائها وانسلت".

إن أهل السنة يبرءون إلَى الله تعالى من مثل هذه الحزبيات ويحذرون الناس منها ليلاً ونهارًا جهرة وخفاء، ومستندهم فِي ذلك النصوص الواردة فِي الكتاب والسنة والآثار السلفية والتي منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وما ثبت عند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال النَّبِي ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّةٍ يغضب لعصبة أو يدعو إلَى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه»(١).

وهذا الذي يحرِّمه علماء الدعوة السلفية وعلى رأسهم العلماء الأفاضل كالشيخ ابن باز رحمه الله والشيخ الألباني رحمه الله والشيخ ابن عثيمين والشيخ الفوزان، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ ربيع بن هادي

(١) مسلم، كتاب: الإمارة باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٣/ ١٤٧٦، ١٤٧٧).

المدخلي، وغيرهم من أجلة العلماء فِي هذا العصر وكتبهم وأشرطتهم مليئة بذلك.

وإن تعجب أخي القارئ فاعجب من هؤلاء المفترين كيف ينكرون على أهل السنة السلفيين أنَّهم يمثلون حزب الله وهم يجيزون قيام الأحزاب والتنظيمات المخالفة حقًّا للكتاب والسنة، بحجج أوهى من بيت العنكبوت!

فها هو المدعو عبدالمجيد الزنداني يصدر شريطين يجيز فيهما التحزبات البدعية والتي منها حزب التجمع اليمني للإصلاح، وقد تم بحمد الله مناقشة شيء مِمَّا فيهما فِي كتابي "رسالتان فِي الرد على أهل البدع والأهواء" وهي مطبوعة.

وحقيقة لا نطيل الكلام حول نقض هذه الشبهة؛ لأنه كما قيل فِي بطلانها.

وليس يصح فِي الأذهان شيء إذا احتاج النهــار إلى دليـل

وانظر إن شئت التوسع كتاب "الأحزاب السياسية فِي الإسلام" للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، وكتاب "الدعوة إلَى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي" للشيخ علي بن حسن الحلبي.



الشبهة الثالثة:

رميهم أهل السنة بغيبة وسب العلماء

أقول: هذه فرية ما فيها مرية، ومناقشة هذه الفرية من وجهين:

الوجه الأول: ما المقصود بالغيبة والسب؟

الوجه الثاني: ماذا تعنون بلفظة "العلماء"؟

أما بالنسبة للوجه الأول: فإن كان مقصودكم بالسب والغيبة أنهم يبينون أخطاء من أخطأ في الشرع وأحدث بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان فنقول: نعم هم كذلك، ولكن هذا العمل منهم لا يسمى سبًّا ولا غيبة محرمة، بل هو نصيحة وبيان ومن الغيبة الجائزة الَّتِي استثناها أهل العلم من الغيبة المحرمة، بل يعد ذلك علمًا من علوم الشريعة المطهرة، ألا وهو علم الجرح والتعديل، الذي به حفظ الله لهذه الأمة دينها قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الشيخ ابن عثيمين -حفظه الله-: "لله الحمد ما ابتدع أحد بدعة، إلا قيض الله له بمنه وكرمه من يبين هذه البدعة ويدحضها بالحق، وهذا من تمام مدلول قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَـٰفِظُونَ ﴾»[(١)]. ولكن ماذا يقال عن أناس يقلبون حقائق الأمور وكأنهم لم يسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥]. وما ثبت عند مسلم من حديث تميم الداري ﵁ أن النَّبِي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رَسُول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)].

وما ثبت عند البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث جرير بن عبدالله قال: بايعت النَّبِي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: «**فيما استطعت، والنصح لكل مسلم**»[(٣)].

وقد أخذ أهل العلم بجواز التكلم فِي الشخص بغير حضرته للمصلحة واستدلوا بأدلة منها:

ما جاء فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ أن رجلاً استأذن على النَّبِي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة**». فلما جلس تَطَلَّقَ النَّبِي ﷺ فِي وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة: يا رَسُول الله، حين رأيت الرجل قلت له: كذا وكذا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وجهه وانبسطت إليه فقال ﷺ: «**يا عائشة مَتَى عهدتني فاحشًا، إن شر الناس عند الله مَنْزلة يوم القيامة من تركه الناس**

---

(١) "شرح العقيدة الواسطية" (١/ ٣٤).

(٢) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٤).

(٣) البخاري، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس (١٣/ ١٩٣)، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٥).

اتقاء شره»[(١)]. وفي رواية: «اتقاء فحشه»[(٢)].

قال الخطيب البغدادي: "ففي قول النَّبِي ﷺ للرجل «بئس رجل العشيرة» دليل على أن إخبار المخبر بِما يكون فِي الرجل من العيب على ما يوجب العلم والدين من النصيحة للسائل ليس بغيبة؛ إذ لو كان غيبة لِما أطلقه النَّبِي ﷺ"[(٣)].

قال ابن حجر: "قال العلماء: تباح الغيبة فِي كل غرض صحيح شرعًا حيث يتعين طريقًا إلَى الوصول إليه بِها: كالتظلم والاستعانة على تغيير المنكر والاستفتاء والمحاكمة والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود وإعلام من له ولاية عامة بسير من هو تحت يده، وجواب الاستشارة فِي نكاح أو عقد من العقود، وكذا من رأى متفقهًا يتردد إلَى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به، وممن تجوز غيبتهم من يتجاهر بالفسق، أو الظلم أو البدعة"[(٤)].

قلت: ويلتحق بِما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الإنسان بصفة كالطول والقصر إن قصد به البيان والتمييز، أما إن قصد به التنقص لَم يجز، والأصل فِي ذلك حديث ذي اليدين، فقد ثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى النَّبِي ﷺ الظهر ركعتين ثُمَّ سلم ثُمَّ قام

---

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: لَم يكن النَّبِي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (١٠/ ٤٥٢).

(٢) البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (١٠/ ٤٧١) ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: مداراة من يتقى فحشه (٤/ ٢٠٠٢).

(٣) "الكفاية فِي علم الرواية" (ص ٥٦).

(٤) "فتح الباري" (١٠/ ٤٧٢).

إِلَى خشبة فِي مقدم المسجد ووضع يده عليها وفي القوم يومئذ أبوبكر وعمر فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم رجل كان النَّبِي ﷺ يدعوه ذا اليدين» [١].

قال النووي: "ولقبه ذو اليدين لطول كان فِي يديه" [٢].

وقال الحافظ ابن حجر: "وحاصله أن اللقب إن كان مِمَّا يعجب الملقب ولا إطراء فيه مِمَّا يدخل فِي نَهي الشرع فهو جائز أو مستحب، وإن كان مِمَّا لا يعجبه فهو حرام أو مكروه، إلا إن تعين طريقًا إِلَى التعريف به حيث يشتهر به ولا يتميز عن غيره إلا بذكره" [٣].

وثبت فِي مسلم من حديث فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة فقال النَّبِي ﷺ: «**فإذا أحللت فآذنيني**». قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رَسُول الله ﷺ: «**أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**» [٤].

قال النووي: "واعلم أن فِي حديث فاطمة بنت قيس فوائد كثيرة. التاسعة: جواز ذكر الغائب بِما فيه من العيوب الَّتِي يكرهها إذا كان

---

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير (١٠/ ٤٦٨)، ومسلم، كتاب: المساجد، باب: السهو فِي الصلاة والسجود له (١/ ٤٠٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ٦٩).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٦٨).

(٤) مسلم، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثًا لا نفقة لَهَا (٢/ ١١١٤).

للنصيحة ولا يكون حينئذ غيبة محرمة"[1].

قلت: لذا فقد فقه السلف -رضوان الله تعالى عليهم- هذا الأمر جيدًا وسطروا فِي ذلك المؤلفات؛ حفاظًا على السنة المطهرة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فمن تلكم المؤلفات فِي باب الجرح والتعديل، كتاب "الكمال فِي أسْماء الرجال" للحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ، ثُمَّ جاء الحافظ جمال الدين أبوالحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ وقام بتهذيبه فِي كتاب سماه "تَهذيب الكمال فِي أسْماء الرجال" ويقال أنه لَم يكمله، وأكمله الحافظ علاء الدين مغلطاي المتوفى سنة ٧٦٢هـ ولأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن كتاب سماه "إكمال تَهذيب الكمال فِي أسْماء الرجال" وقد اهتم العلماء بالتهذيب، فقد ألف الحافظ شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ كتابًا سماه "تَهذيب تَهذيب الكمال" ثُمَّ قام باختصاره فِي كتاب له سماه "الكاشف فِي معرفة من له رواية فِي الكتب الستة" وجاء الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٢٥هـ فألف كتابه "تَهذيب التهذيب" ويقع فِي اثني عشر مجلدًا، ثُمَّ اختصره فِي كتاب "تقريب التهذيب" الذي خرج قريبًا محققًا بتحقيق أبي الأشبال صغير أحمد الباكستاني، وجاء بعد الحافظ بن حجر الحافظ صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي، فألف كتابًا سماه "خلاصة تَهذيب تَهذيب الكمال فِي أسْماء

الرجال» ويقع فِي ثلاثة مجلدات»[1].

فانظر أخي القارئ إلَى كل هذا الاهتمام العظيم بمؤلف واحد، وكل هذا إن دل على شيء إنَّما يدل على عظم قدر هذا الفن -أعني: الجرح والتعديل- والمؤلفات الأخرى أكثر من أن تحصر فمنها أيضًا كتاب: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، وكتاب «لسان الميزان» للحافظ بن حجر العسقلاني، وكتاب «ميزان الاعتدال» للإمام الذهبي، وله أيضًا كتاب: «المغني فِي الضعفاء» وكتاب «الضعفاء والمتروكين» للإمام الدارقطني، وللإمام البخاري والنسائي كتابان فِي الضعفاء، وغيرها كثير وكثير مِمَّا ورثه السلف لنا كل هذا؛ حفاظًا واعتناء بِهذه السنة المطهرة.

والسؤال الذي يوجه لهؤلاء المفترين على أهل السنة أن يقال: هل كل هذه المؤلفات من السب والشتم والغيبة؟! إذ أننا لا نجد فيها إلا فلانًا كذابًا أو متروكًا أو ضعيفًا أو سيئ الحفظ، أو به غفلة أو متهمًا بالكذب وما شابه ذلك، نبئونا بعلم إن كنتم صادقين؟

وقد يقول قائلهم: إن هناك فرقًا بين علم الجرح والتعديل لأجل حفظ الشريعة وبين نقدكم اللاذع لمن خالف الشريعة فهو يعد من قبيل الغيبة، فنقول ما قاله الحافظ بن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «ولا فرق بين الطعن فِي رواة حفاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل وبين خطأ من أخطأ فِي فهم معاني الكتاب والسنة وتأول شيئًا منها على غير تأويله، وتمسك بِما لا يتمسك به، ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه وقد

(١) «مقدمة خلاصة تهذيب الكمال» للخزرجي (ص ١٠).

أجمع على جواز ذلك أيضًا»[(١)].

قلت: وإليك أخي القارئ ذكر شيء من أقوال العلماء فِي بيان أن الكلام فِي الجرح وفي أهل البدع ليس من الغيبة المحرمة فِي شيء، بل ذلك من قبيل النصيحة والغيبة الجائزة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «ليس لأهل البدع غيبة»[(٢)].

وقال كثير أبوسهل: «يقال أهل الأهواء لا حرمة لَهم»[(٣)].

وقال قتادة لعاصم الأحول: «يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لَهَا أن تذكر حَتَّى تحذر»[(٤)].

وقال شعبة: «تعالوا حَتَّى نغتاب فِي الله ساعة» يعني نذكر الجرح والتعديل[(٥)].

وذكر ابن المبارك رجلاً فقال: «يكذب، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن تغتاب؟ قال: اسكت، إذا لَم نبين كيف يعرف الحق من الباطل؟»[(٦)].

وقال إسماعيل بن عُلَيَّةَ فِي الجرح: «إن هذا أمانة، ليس بغيبة»[(٧)].

---

(١) «الفرق بين النصيحة والتعيير» (ص ٨).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» اللالكائي (١/ ١٤٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (١/ ١٣٦).

(٥) «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص ٦٢).

(٦) «شرح علل الترمذي» ابن رجب (١/ ٣٤٩).

(٧) «الكفاية» للخطيب (ص ٦١).

وقال أبوزرعة الدمشقي: «سَمِعتُ أبا مسهر يسأل عن الرجل يغلط ويهم وَيُصَحِّف، فقال: بَيِّن أمره، فقلت: لأبي زرعة، «أترى ذلك غيبة؟» قال: لا»[(١)].

وروى أحمد بن مروان المالكي: ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: «جاء أبوتراب النخشبي إلَى أبي يقول: فلان ضعيف، وفلان ثقة، فقال أبوتراب: يا شيخ، لا تغتب العلماء، قال: فالتفت أبي إليه، قال: ويحك، هذا نصيحة ليس هذا غيبة»[(٢)].

وقال مُحَمَّد بن بندار السباك الجرجاني: «قلت لأحمد بن حنبل: إنه ليشتد عليَّ أن أقول: فلان ضعيف، فلان كذاب، قال أحمد: إذا سَكَتَّ أنت وَسَكَتُّ أنا فمن يعرف الجاهل الصحيح من السقيم»[(٣)].

وقال ابن المبارك: «المعلى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب، فقال له بعض الصوفية: يا أبا عبدالرحمن تغتاب؟ قال: اسكت، إذا لَم نبين كيف يعرف الحق من الباطل؟»[(٤)].

وقال يحي بن سعيد: «سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكًا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتًا فِي الحديث، فيأتيني الرجل فيسألني عنه، قالوا:

---

(١) المصدر السابق (ص ٩١).

(٢) المصدر السابق (ص ٦٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٦٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٦٣).

أخبر عنه أنه ليس بثبت»[١].

وقال حنبل: وحدثنا مُحَمَّد بن داود الحدائي قال: قلت لسفيان بن عيينة: «إن هذا يتكلم فِي القدر -يعنِي: إبراهيم بن أبي يَحيي- فقال سفيان: «عَرِّفُوا الناس أمره وسلوا الله لِي العافية»[٢].

وقال مُحَمَّد بن سهل البخاري: «كنا عند الفريابي فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل: لو حدثتنا كان أعجب إلينا، فغضب وقال: كلامي فِي أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة»[٣].

وقال عفان: «كنت عند إسماعيل بن علية فحدث رجل عن رجل بحديث، فقلت: لا تحدث عن هذا فإنه ليس بثبت، فقال: اغتبته، فقال إسماعيل: ما اغتابه ولكنه حكم عليه أنه ليس بثبت»[٤].

وقال أيضًا يحي القطان: «سألت سفيان وشعبة ومالك بن أنس عن الرجل الكذاب يتبين لِي أمره، قالوا: لا يسعك إلا أن تبين للناس أمره»[٥].

وقال النووي رَحِمَهُ الله: «لكن تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب. الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٧).

(٢) «تلبيس إبليس» ابن الجوزي (ص ٢١).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٣).

(٤) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ٢٣).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٢٣-٢٤).

واجب صونًا للشريعة، ومنها إذا رأيت متفقهًا يتردد إِلَى فاسق أو مبتدع»[١].

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ عند قول الترمذي: «وجوب الكلام فِي الجرح والتعديل»: «مقصود الترمذي رَحِمَهُ اللهُ أن يبين أن الكلام فِي الجرح والتعديل جائز. فقد أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لِما فيه من تمييز ما يجب قبوله من السنن مِمَّا لا يجوز قبوله، وقد ظن من لا علم عنده أن ذلك من باب الغيبة وليس كذلك، فإن ذكر عيب الرجل إذا كان فيه مصلحة، ولو كان خاصة كالقدح فِي شهادة الزور جائز بغير نزاع، فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولى»[٢].

قلت: وقد نظم ابن أبي شريف الستة الأمور المستثناة من الغيبة المحرمة فقال:

والقدح ليس بغيبة فِي ستة ... متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقًا ومستفت ومن ... طلب الإعانة فِي إزالة منكر[٣]

وانظر كتاب: «درء الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ.

ثُمَّ إن النصوص فِي تقرير هذا الأمر حقيقة كثيرة جدًّا وسأذكر بعضًا من النصوص الواردة عن السلف فِي التحذير من أشخاص بأعيانهم حَتَّى

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٤٢)، ورياض الصالحين (ص ٤٨٩)، تحقيق الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) «شرح علل الترمذي» (١/ ٣٤٨).
(٣) «سبل السلام» الصنعاني (٤/ ١٥٨٤).

تكون تقريرًا لِما ذكر آنفًا.

قال عبدالله بن المبارك وهو على رءوس الناس: "دعوا حديث عمرو بن ثابت؛ فإنه كان يسب السلف"(١).

وسئل ابن عون عن حديث لِشَهْرٍ وهو قائم على أسكفة الباب، فقال: "إن شهرًا نَزَكُوهُ، إن شهرًا نَزَكُوهُ".

قال مسلم بن الحجاج: يقول: أخذته ألسنة الناس، تكلموا فيه"(٢).

وقال شعبة: "هذا عباد بن كثير فاحذروه"(٣).

وقال ابن المبارك: "بَقِيَّةُ صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر"(٤).

وقال الشعبي: "حدثني الحارث الأعور الهمداني وكان كذابًا"(٥).

والنصوص فِي هذا الباب كثيرة، راجع مقدمة صحيح مسلم (١٦-٢٠).

بل قد قال الخطيب البغدادي: "وقد أنكر قوم لَم يتبحروا فِي العلم قول الحفاظ من أئمتنا وأولي المعرفة من أسلافنا أن فلانًا الراوي ضعيف وفلان غير ثقة وما أشبه هذا من الكلام، ورأوا ذلك غيبة لمن قيل فيه. وليس

(١) "مقدمة مسلم"، (١/١٦).
(٢) المصدر السابق (١/١٧).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق (١/١٩).
(٥) مقدمة مسلم (١/١٩).

الأمر على ما ذهبوا إليه؛ لأن أهل العلم أجمعوا على أن الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به، وفي ذلك دليل على جواز الجرح لمن لَم يكن صدوقًا فِي روايته مع أن سنة رَسُول الله ﷺ قد وردت مصرحة بتصديق ما ذكرنا وبضد قول من خالفنا»[١].

أما ثانيًا: إن كان مقصودكم بالسب والشتم المحرم والغيبة المحرمة الَّتِي وردت النصوص بالنهي عنها وذمها فَهذا يتنَزه عنه أهل السنة السلفيون؛ لأن ذلك ليس من أخلاق الإسلام أصلاً. فهم بحمد الله متبعون لِما فِي الكتاب العزيز والسنة المطهرة اللذين حرما ذلك، كما فِي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وما ثبت فِي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **ذكرك أخاك بِما يكره**، قيل: أفرأيت إن كان فِي أخي ما أقول؟ قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لَم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ**»[٢].

وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال فِي حجة الوداع وفيه: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فِي شهركم هذا فِي بلدكم هذا**»[٣].

---

(١) «الكفاية» للخطيب (ص ٥٤-٥٥).

(٢) مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الغيبة (٤/ ٢٠٠١).

(٣) البخاري، كتاب: العلم، باب: قول النَّبِي ﷺ: رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع (١/ ١٥٨) ومسلم، =

وثبت فِي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ وفيه: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» (١).

وثبت عند أبي داود من حديث سعيد بن زيد أن رَسُول الله ﷺ قال: «إن من أربى الربا الاستطالة فِي عرض المسلم بغير حق» (٢).

وثبت أيضًا عند أبي داود من حديث أنس أن رَسُول الله ﷺ قال: «لَمَّا عرج بي مررت بقوم لَهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فِي أعراضهم» (٣).

قلت: فهذه النصوص وغيرها مِمَّا تدل على تحريم الغيبة ولكن الذي قال هذه الأحاديث هو الذي قال الأحاديث المتقدمة الَّتِي تبين جواز غيبة الشخص للحاجة، فلا منافاة، والجمع على ما ذكر أولى ومقدم على إبطال أحد الدليلين مع العلم بأن ذلك موافق لِما أجمع عليه السلف.

وأيضًا فإن أهل السنة يترفعون عن السب، للنصوص الواردة فِي النهي عنه منها ما ثبت فِي البخاري من حديث أنس بن مالك قال: «لَم يكن النَّبِي ﷺ سبابًا ولا فاحشًا ولا لعانًا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما

= كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأراضي والأموال (٣/ ١٣٠٥-١٣٠٦).

(١) مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم، (٤/ ١٩٨٦).

(٢) سنن أبي داود كتاب: الأدب،، باب: فِي الغيبة (٥/ ١٩٣).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١٩٤) وصححها الألباني فِي صحيح أبي داود (٣/ ٩٢٣).

له ترب جبينه »[١].

قال الداودي: قوله "ترب جبينه" كلمة تقولها العرب جرت على ألسنتهم وهي من التراب، أي سقط جبينه للأرض وهي كقولهم: رغم أنفه، ولكن لا يراد معنَى قوله: "ترب جبينه" بل هو نظير ما تقدم فِي قوله "تربت يمينك" أي أنَّها كلمة تجري على اللسان ولا يراد حقيقتها"[٢].

وثبت عند البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود أن النَّبِي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[٣].

قال النووي: "السب فِي اللغة: الشتم والتكلم فِي عرض الإنسان بِما يعيبه، والفسق فِي اللغة: الخروج، والمراد به فِي الشرع: الخروج عن الطاعة، وأما معنَى الحديث: فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النَّبِي ﷺ"[٤].

وقال ابن حجر: "ففي الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق ومقتضاه "الرد على المرجئة"[٥].

وثبت فِي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث أبي موسى قال:

---

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: لَم يكن النَّبِي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (١٠/ ٤٥٢).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٥٣).

(٣) البخاري، كتاب: الإيْمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/ ١١٠) ومسلم، كتاب: الإيْمان، باب: بيان قول النَّبِي ﷺ سباب المسلم، فسوق وقتاله كفر (١/ ٨١).

(٤) شرح النووي (٢/ ٥٣-٥٤).

(٥) فتح الباري (١/ ١١٢).

قالوا: يا رَسُول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(١)].

وفي رواية لمسلم من حديث جابر: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(٢)].

قلت: هذه النصوص تنسف فرية أهل البدع فيما رموا به أهل السنة، وبذلك يبطل الوجه الأول من الشبهة الثالثة، فإلى الوجه الثاني من هذه الشبهة.

الوجه الثاني: ماذا يقصد بلفظة "العلماء"؟

أقول: إن أهل البدع والأهواء دائمًا يطلقون الكلام على عواهنه حَتَّى يُلَبِّسُوا على عامة الناس الذين لا يميزون شيئًا، فمن تلكم الإطلاقات قولهم بأن أهل السنة يسبون العلماء، وقد تقدم بطلان قضية السب، وأن كلام أهل السنة فيمن يستحق أن يتكلم فيه من باب النصيحة والبيان، ويبقى معنا قضية الكلام حول لفظة "العلماء" والإطلاق فيها فنقول لهؤلاء: ماذا تقصدون بلفظة "العلماء"؟

فإن أردتم بلفظ "العلماء" علماء السنة الذين ينتهجون منهج السلف في التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما ظاهرًا وباطنًا، فَهذا هو الكذب بعينه والافتراء برمته وسيكتب ما تفوهتم به، قال تعالى: ﴿مَا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا

---

(١) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل (١/ ٥٤) مسلم: كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١/ ٦٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٥).

لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

إن موقف أهل السنة من مثل هؤلاء العلماء هو كل حب وتقدير وتوقير، وعدم التنقص من قدرهم والدعاء لَهم وعدم تقليدهم فِي مخالفة الشرع واعتقاد أن ما أصابوا فيه لَهم أجران وما أخطئوا فيه لَهم أجر واحد مصداقًا لِما ثبت فِي الصحيحين من حديث عمرو بن العاص أن النَّبِي ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثُمَّ أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثُمَّ أخطأ فله أجر**»[1].

وهذه كتبهم وأشرطتهم شاهدة بذلك لأنَّهم متبعون للكتاب والسنة فِي الثناء عليهم كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن قيم الجوزية: "وهذا حصر لخشيته فِي أولي العلم"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣/ ٣١٨). ومسلم: كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣/ ١٣٤٢).

(٢) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٥١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فِي العلم المتضلعون منه"[(١)].

والآيات فِي هذا المقام كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث الَّتِي وردت فِي فضل علماء الدين والشريعة فهي كثيرة أيضًا نذكر منها: ما ثبت فِي الصحيحين من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه فِي الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حَتَّى يأتي أمر الله**»[(٢)].

قال ابن القيم: "وهذا يدل على أن من لَم يفقهه فِي دينه لَم يرد به خيرًا، كما أن من أراد به خيرًا فقهه فِي دينه، ومن فقهه فِي دينه فقد أراد به خيرًا"[(٣)].

وقال ابن حجر: "هذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام: أحدها: فضل التفقه فِي الدين"[(٤)].

وثبت أيضًا عند أبي داود من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٤).

(٢) البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه فِي الدين (١/ ١٦٤) ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة (٢/ ٧١٨).

(٣) "مفتاح دار السعادة" (١/ ٦٠).

(٤) فتح الباري (١/ ١٦٤).

طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من فِي السموات ومن فِي الأرض والحيتان فِي جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لَم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

والأحاديث فِي الباب كثيرة كلها تدل على فضل العلم وأهله، فكيف يظن بأهل السنة السلفيين السوء من سبهم لمثل هؤلاء العلماء الأجلة مع العلم بأنَّهم أولى الناس بالتزام الكتاب والسنة كما مر، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. هذا أولاً.

أما ثانيًا: فإن قصدتم بلفظة "علماء" علماؤكم من أهل البدع والضلالة الذين يلبسون الحق بالباطل ويزخرفونه للناس والذين يدعون إلَى الانتخابات والديمقراطية، فإن أهل السنة أيضًا لا يسبونَهم بالمعنى الذي تريدونه، وإنَّما يبينون ما وقعوا فيه من بدع وضلال ومخالفة للحق والصواب هذا الذي يقوم به أهل السنة، وأنتم سموه بِما شئتم، فإن كنتم ترونه سبًا فماذا نقول لعلماء الجرح والتعديل فِي نقدهم للرجال؟! ما تقولون لإمام أهل السنة الإمام المبجل أحمد بن حنبل فِي كتابه: "الرد على الزنادقة والجهمية"؟ وماذا تقولون أيضًا لغيره من علماء السلف الذين ألفوا كتبًا فِي

(١) سنن أبي داود كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم (٤/ ٥٧، ٥٨) وحسنه الألباني كما فِي صحيح الترمذي (٢/ ٦٩٤).

التصدي لأهل الأهواء والبدع ككتاب «الرد على بشر المريسي» للإمام الدارمي، وكتاب «الرد على الجهمية» للإمام ابن منده، وكتاب «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» للإمام ابن قيم الجوزية، وغيرها كثير وكثير جدًا؟

هل ستقولون بأنَّها كتب سب وغيبة أم نصيحة وبيان؟ فما تقولون فيها يلزمكم أن تقولوه فِي كتب وكلام أهل السنة فِي أقطابكم ومنظريكم سواء بسواء وإلا وقعتم فِي التناقض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

ثُمَّ اعلم أخي القارئ -بارك الله فيك-:

أن نصوص الشرع من الكتاب والسنة قد جاءت بالتحذير من أمثال هؤلاء العلماء -أعني: علماء البدعة والضلالة- وما ذاك إلا لشدة خطرهم على الدين.

فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ [القصص: ٤١].

وثبت فِي الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه وفيه: قلت: يا رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابَهم إليها قذفوه فيها**»[١].

وثبت أيضًا فِي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن

---

(١) سبق ذكر مصدره (ص٥٣) من هذا البحث.

رَسُول الله ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حَتَّى إذا لَم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (١).

وثبت فِي المسند من حديث أبي الدرداء أن النَّبِي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون» (٢). وهكذا سلفنا الصالح قد حذروا منهم.

فَهذا سفيان بن سعيد الثوري يقول: "من سمع من مبتدع لَم ينفعه الله بِما سمع"(٣).

وقال مالك بن أنس: "لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ مِمَّا سوى ذلك، وذكر منهم: ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلَى هواه"(٤).

وسبق نقل كلام النووي رَحِمَهُ الله المتقدم من أنه ليس من الغيبة فِي شيء أن تحذر من الشر وهو على وجوه منها: "إذا رأى متفقهًا يتردد على مبتدع".

وهذا مُحَمَّد بن سيرين يقول: "لَم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلَى أهل السنة فيؤخذ

(١) البخاري، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم (١/ ١٩٤) ومسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه (٤/ ٢٠٥٨).

(٢) المسند للإمام أحمد (٦/ ٤٤١) وصححه الألباني رَحِمَهُ الله فِي السلسلة الصحيحة (٤/ ١٠٩-١١١).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٣٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٣٩).

حديثهم، وينظر إِلَى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[(١)].

والنصوص عن السلف كثيرة توضح المسار والاتجاه السليم فِي تلقي العلم الشرعي، وصدق والله مفضل بن مُهَلْهَلٍ إذ يقول: "لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة فِي بدو مجلسه ثُمَّ يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك»[(٢)].

ثُمَّ اعلم أخي -وفقني الله وإياك للصواب-:

أن العلم الذي وردت النصوص بالحث عليه هو علم الكتاب والسنة لا علم الصناعات أو غيره كعلم الصيدلة أو الإعجاز العلمي أو ما شابه ذلك، وفي ذلك يقول العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين -يحفظه الله- "والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به: "علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى" فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزل الله فقط»[(٣)].

قلت: فالذي ينبغي لنا أن نقفو أثر سلفنا الصالح فِي المثابرة على التحصيل من هذا العلم الصافي، علم الكتاب والسنة، وأن نبرك على الركب فِي تحصيله من أهله العاملين به الذين جاء الثناء عليهم فِي النصوص الشرعية، والذين يقول فيهم الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: "بقايا

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).

(٢) سبق ذكر مصدره (ص٥٢) من هذا الكتاب.

(٣) "كتاب العلم" لابن عثيمين (ص ١١).

من أهل العلم يدعون من ضل إلَى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1].

والذين يقول فيهم الحافظ العلامة/ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

ارو الحديث ولازم أهله فهم الـ ... ناجون نصًّا صريحًا للرسول نمي

سامت منابرهم واحمل محابرهم ... والزم أكابرهم فِي كل مزدحم

اسلك منارهمو والزم شعارهم ... واحطط رحالك إن تنْزل بساحهم

هم العدول لحمل العلم كيف وهم ... أولو المكارم والأخلاق والشيم

هم الأفاضل حازوا خير منقبة ... هم الألى بِهم الدين الحنيف حُمي

هم الجهابذة الأعلام تعرفهم ... بين الأنام بسيماهم ووسمهم

هم ناصرو الدين والحامون حوزته ... من العدو بجيش غير منهزم

إلَى أن قال:

كفاهم شرفًا أن أصبحوا خلفًا ... لسيد الحنفا فِي دينه القيم

يحيون سنته من بعده فلهم ... أولى به من جَميع الخلق كلهم

إلَى أن قال:

فإن أردت رقيًّا نحو رتبتهم ... وَرُمْتَ مجدًا رفيعًا مثل مجدهم

فاعمد إلَى سلم التقوى الذي نصبوا ... واصعد بعزم وَجُدَّ مثل جدهم

(١) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص ٦).

واعكف على السنة المثلى كما عكفوا حفظًا مع الكشف عن تفسيرها ودم[(١)]

واحذر أخي من علماء السوء والبدعة من شيعة وصوفية وحزبية الذين يصدق فيهم قول الإمام أحمد أيضًا: "الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين"[(٢)].

قلت: وبذلك تبطل هذه الشبهة بحمد الله وتوفيقه، وإلى الشبهة الرابعة.



(١) "القصيدة الميمية من المجموع"، الشيخ حافظ حكمي (ص ٦-٨).

(٢) "الرد على الزنادقة والجهمية" (ص ٦).

الشبهة الرابعة:

اتهامهم أهل السنة بأنَّهم لا يهتمون بأحوال المسلمين

إن الاهتمام بأحوال المسلمين قد حثت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**». واللفظ للبخاري[(١)].

وأخرجا أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حَتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)].

وروى مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

---

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم (١٠/ ٤٣٨) ومسلم: كتاب: البر والصلة باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩، ٢٠٠٠).

(٢) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ٥٧) ومسلم، كتاب: الإيمان باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه (١/ ٦٧).

«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[(١)].

وهذا الذي عليه أهل السنة السلفيون تطبيقًا منهم لهذه النصوص وغيرها، فتراهم:

يُسَخِّرُونَ طاقاتِهم فِي تعليم الناس كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم مِمَّن تَرَسَّمَ خطاهم.

يعلمونَهم العقيدة الصحيحة السالمة من لوثات الشرك بنوعيه والبدع بأنواعها.

يعلمونَهم ما يجب اعتقاده فِي أسْماء الله وصفاته على الوجه اللائق به تعالى.

يعلمونَهم السنة الصحيحة فِي العبادات والمعاملات والسلوكيات والأخلاق.

يحذرونَهم من البدع سواء أكانت قولية اعتقادية أم فعلية عملية.

ويحذرونَهم من المعاصي كبيرها وصغيرها.

أفليس هذا هو عين الاهتمام بأحوال المسلمين؟!!

وهذا إن تحقق فسيستتب الأمن والأمان فِي أرجاء المعمورة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

---

(١) مسلم، كتاب: البر، باب: تراحم المؤمنين (٤/ ١٩٩٩).

إن الاهتمام بأحوال المسلمين حقيقة لا يعدو أهل السنة، أما أهل الافتراء من أهل البدع فأين اهتمامهم بالمسلمين؟ وهم إن نعقوا بخطبة أو خطبتين من فوق المنابر فما ذلكم إلا لأغراض حزبية أو كما يقال: ذر الرماد فِي العيون؛ ليتسنى لَهم ابتزاز الأموال من الناس باسم التبرع للمجاهدين تارة، وتارة باسم فقراء الحارة، وأخرى باسم كفالة اليتيم، ورابعة باسم دعم تحافيظ القرآن الكريم وهكذا، وهذا الكلام وإن كان مرًّا ولكن كما قيل: (الحق قد يكون مرًّا) فما أكثر ما شوه الإخوان المسلمون جمال الإسلام بباطل القول هذا حَتَّى أصبح ذلك سمة بارزة على دعاتِهم خصوصًا فِي شهر رمضان وعند النكبات، والله المستعان.

وقد جاءت الأحاديث الذامة لعادة التسول فمن تلكم الأحاديث:

ما ثبت عند البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النَّبِي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حَتَّى يأتي يوم القيامة ليس فِي وجهه مزعة لحم**». لفظ البخاري [(١)].

وفي مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «**من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنَّما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر**» [(٢)].

وثبت فِي المسند من حديث حُبْشِيِّ بن جُنَادَةَ قال: سَمِعتُ رَسُول الله

---

(١) البخاري، كتاب، الزكاة، باب: من سأل الناس تكثرًا (٣/ ٣٣٨) ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢٠).

(٢) مسلم، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢٠).

ﷺ يقول: «من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر»[(١)].

وثبت عند أبي داود من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنَّما يستكثر من النار»[(٢)].

وثبت عند الدارمي من حديث ثوبان مولى رَسُول الله ﷺ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «من سأل الناس مسألة وهو عنها غني كانت شيئًا في وجهه»[(٣)].

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله-: "ولم أر أحدًا أبصر فِي التلصص لاستخراج المال من الإخوان المفلسين، فهم يصورون للناس أن القضية الَّتِي يدعون إليها هي الإسلام، وإذا لَم يبذل المال فِي هذه القضية، انتصر الكفر على الإسلام، وهكذا القضية تلو القضية، وكلما انتهت تلك القضية ولم ير الناس لَهَا أثرًا فِي نصرة الدين، بل رُبَّما تكون عارًا على الإسلام، شغلوا الناس بقضية أخرى، فأين ثمرة تلكم المظاهرات الَّتِي يقلدون فيها أعداء الإسلام؟ وأين مؤتمر الوحدة والسلام؟ وأين ثَمرات الانتخابات الطاغوتية؟ نحن نقول هذا حزنًا على الدين، وتألُّمًا من قلب الحقائق، لا أننا نغبطهم على جمع الأموال، فهم سيُسْألون عنها يوم

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني رحمه الله فِي صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة (٢/ ٢٨١) وصححه الألباني فِي صحيح أبي داود (١/ ٣٠٧).

(٣) سنن الدارمي، كتاب: الزكاة، باب: التشديد على من يسأل وهو.. (١/ ٤٧٤) وقال الشيخ مقبل: هذا حديث صحيح، انظر ذم المسألة (ص ٢٧٣) من مجموع رسائل علمية.

لقيامة»[١].

قلت: صدق والله الشيخ -رعاه الله- فكلما انتهت قضية فِي العالم بادروا فتح أفواههم للقضية الأخرى، من الجهاد الأفغاني إلَى البوسنة والهرسك إلَى كوسوفو إلَى الشيشان إلَى المجاعة فِي إفريقيًا، إلى فلسطين، إلى أفغانستان مؤخرًا، وإلى العراق وهكذا، وكل هذا باسم الاهتمام بأحوال المسلمين زعموا، ولكن صدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ يقول: «كلمة حق أريد بِها باطل» ابتزازًا لأموال الناس باسم الاهتمام «بأحوال المسلمين» وباسم «والعاملين عليها» ثُمَّ تبني مقرات حزبية وأندية رياضية ومسابقات ثقافية.

وغيرها من التُّرَهَاتِ البدعية ولا يصل إلا الشيء اليسير للفقراء والمحتاجين فإلى الله المشتكى.

أهذا هو الاهتمام بأحوال المسلمين عندكم؟!

وقد يقول قائلهم: إننا بذلك نحث على الصدقة، وقد ثبت فِي مسلم من حديث جرير قال: كنا عند رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فِي صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فَتَمَعَّرَ وجه رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لِما رأى بِهم من الفاقة، فدخل ثُمَّ خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثُمَّ خطب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾. إلَى آخر الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾. والآية الَّتِي فِي الحشر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ

(١) «ذم المسألة للشيخ مقبل» (ص ٢١٦، ٢١٧) من مجموعة رسائل علمية.

مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾. تَصَدَّقَ رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، ومن صاع تمره، حَتَّى قال: «ولو بشق تمرة». قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثُمَّ تتابع الناس حَتَّى رأيت كومين من طعام وثياب. حَتَّى رأيت وجه رَسُول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذْهَبَةٌ.

فقال رَسُول الله ﷺ: «مَن سنَّ فِي الإسلام سنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بِها بعده مِن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فِي الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بِها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

أقول: يا ليتكم عملتم بِهذا الحديث، ولكن يصدق على حالكم معه ما قال القائل:

سارت مشرقة وسرت مغربًا   شتان بين مشرق ومغرب

ولبيان ذلك أقول:

أولاً: إن حث الرسول ﷺ على الصدقة لهؤلاء كان لداعٍ ولغرض وانقضى ذلك الأمر ولم يكن عادة له، بخلاف ما تقومون به من التسول بصورة وبأخرى كما تقدم ذكره.

ثانيًا: لَم يتضمن حثه ﷺ على الصدقة مخالفات شرعية كإلصاق الصور الَّتِي تحتوي على ذوات الأرواح، على جدران المساجد بل حَتَّى فِي داخل

---

(١) مسلم، كتاب: الزكاة باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢/ ٧٠٥).

بعضها، وفي المحلات العامة والطرقات وما شابه ذلك، وقد جاء النهي عن التصوير بالإضافة إلَى الأموال الطائلة الَّتِي تصرف فيها الَّتِي إن عاجلاً أو آجلاً ستسقط وتذهب هدرًا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثًا: إن الرسول ﷺ لا يبقي شيئًا من أموال الصدقة عنده بل يبادر لإخراجه، فقد ثبت عند البخاري من حديث عقبة قال: صليت وراء النَّبِي ﷺ العصر فسلم ثُمَّ قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلَى بعض حجر نسائه ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنَّهم عجبوا من سرعته فقال: «**ذكرت شيئًا من تبر -ذهب لَم يصف ولم يضرب- عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته**»[1].

بينما أنتم فأين تذهب الأموال الَّتِي تؤخذ من الناس؟ وكم تعطى منها للمستحقين؟ وكم من الوقت تقطع المعاملة لكي تؤخذ؟ وبتزكية من تؤخذ؟ وهكذا غيرها من التساؤلات المبهمة؟ فلهذه الوجوه وغيرها لا يتم لكم الاستدلال بِهذا الحديث على ما تقومون به من التسول.

ثُمَّ هم مع هذا يستدلون بحديث لا يثبت ويبنون عليه قصورًا وعلالي وهو: "من لَم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" كما استدل به عبدالمجيد الزنداني فِي شريطيه "الانتخابات وإرادة الأمة" حيث قال: "أين أنت من حديث رَسُول الله ﷺ: «**من لَم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[2]. إن أمر المسلمين من أهم أمورهم، أهل الشورى الذين سيشاورون الحاكم، الذين

---

(١) البخاري، كتاب: الأذان، باب: من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم (٢/ ٣٣٧).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة والموضوعة، للألباني رحمه الله (١/ ٣٢٢، ٣٢٣).

سيقولون له هذا صواب وهذا خطأ هذا صلاح وهذا فساد، هذا أهم أمرهم، فالإعراض عنه هو تقصير بالاهتمام بأمر المسلمين".اهـ

قلت: فانظر أخي القارئ إِلَى هذا، كيف يستدل بالباطل على الباطل ونسي أو تناسى أن أهم أمور المسلمين العقيدة والتحذير مِمَّا يضادها والدعوة إِلَى السنة والتحذير من البدع ولكن ماذا عسانا أن نقول؟ أترك الجواب للقارئ الكريم، وقد تم بحمد الله مناقشة هذا القول منه فِي كتاب "الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية" (ص ٢١٣-٢١٤) فلينظر.

إن الإخوان المسلمين يضيعون أوقاتَهم وجهودهم فِي أشياء تضر أكثر مِمَّا تنفع، فتراهم يتتبعون الصحف والمجلات والجرائد ونشرات الأخبار العربية والأجنبية حَتَّى ما يزيدهم ذلك إلا قساوة فِي قلوبِهم وابتعادًا عن مولاهم، فلا يستطيعون أن يميزوا بين الحق والباطل والضار والنافع، كل ذلك اهتمامًا بأحوال المسلمين، زعموا.

بينما أهل السنة السلفيون -بحمد الله- قد فقهوا عن الله وعن رَسُوله ﷺ دينه وشرعه فأخذوا يصلحون من القاعدة وذلك بنشر العقيدة الصحيحة فِي ربوع الدنيا حَتَّى انتشر الخير، فَهذا هو الشيخ مقبل الوادعي -حفظه الله- له قرابة العشرين سنة فِي اليمن أقام دعوة نقية تدعو إِلَى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ فتوافد إليه الطلبة من الداخل والخارج لينهلوا مِمَّا حباه المولى عزَّ وجلَّ من علم وهدى ثُمَّ يعودون إِلَى أمصارهم الَّتِي ينبغي الاهتمام بِها لإخواننا المسلمين؟! أليس هذا من أهم بل أهم الأحوال

إن أهل السنة لا يألون جهدًا من بذل ما لديهم من نفس ومال ودعاء وعلم لإخوانهم المسلمين، ولكنهم يعلمون قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. فيعلمون علم اليقين أن الأمة لن يعود لَهَا مجدها وسؤددها إلا بالرجوع الصادق للكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها".

وبما تقدم تدحض هذه الشبهة ويبطل هذا الافتراء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الشبهة الخامسة:

رميهم أهل السنة بعدم فقههم للواقع

إن مقصود أهل البدع من رميهم أهل العلم من أهل السنة بهذا البهتان هو قطع رابطة طلبة العلم عن علمائهم، وكسر حاجز الاحترام لَهم ولأقوالهم والتعلق بأفراخ أصحاب الحركات المبتدعة حَتَّى يتسنى لَهم بث ما يشاءون فِي قلوبهم.

وحقيقة: إن محاولة التقليل من أهمية أهل العلم وما يحملونه من نور وهدى كانت منذ القدم.

فقد ذكر الشاطبي رحمه الله نقلاً عن عمرو بن عبيد أنه قال: «ألا تسمعون ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة»[١].

وما أشبه الليلة بالبارحة، فَهذا عمرو بن عبيد يقول ما قال ويأتينا اليوم بوجه آخر سفر الحوالي مقللاً من أهمية العلماء قائلاً: «علماؤنا يا إخوان كفاهم كفاهم لا نبرر لَهم كل شيء لا نقول هم معصومون... نحن نقول نعم عندهم تقصير فِي معرفة الواقع» اهـ[٢].

فهم أي العلماء فطاحلة فِي العلم الشرعي لكنهم عالة على غيرهم فِي فقه

(١) «الاعتصام» الشاطبي (١/ ٢٩٦) تحقيق الهلالي.

(٢) من شريط له بعنوان: ففروا إِلَى الله.

الواقع، فَهذا ملتقى كلام عمرو بن عبيد وسفر الحوالي، فانظر أخي القارئ إِلَى الأهواء كيف تجمع أصحابَها، اللهم رحماك.

إن مقصود من ينعق بِما يسمى بعلم الواقع هو تتبع الصحف والمجلات ونشرات الأخبار ووكالات الأنباء العالمية والداخلية والخارجية وإشغال الشباب بل المجتمع بأسره بِهذه التُّرَهَات، وإبعادهم عما ينفعهم وينفع مجتمعهم من تعلم كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ.

فأين هذا العلم من الكتاب والسنة؟

إننا لا نجد فِي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة السلف الصالح إلا الثناء على العلماء العاملين بالكتاب والسنة، أما ما يتعلق بتتبع أخبار السياسات فإن لَهَا رجالاً مختصين يقومون به ويكفوننا إياها.

وفي الحقيقة لا أطيل الكلام حول نقض هذه الشبهة فقد تعرض لنقضها علماء أجلاء وطلبة علم أفذاذ[١]. فأغناني عن التكرار، ولكني سأذكر كلامًا لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأردفه بكلام لشيخنا ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- يلخصان الرد على هذه الشبهة المتهافتة، والله المستعان.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومما يكثر فيه الكلام من مظاهر

---

(١) منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي فِي كتابه "أهل الحديث" (ص ٦٤) فما بعدها، ومنهم الشيخ أبوإبراهيم العدناني فِي كتابه "القطبية" (ص ١٠١)، فما بعدها. ومنهم الشيخ عبدالمالك الجزائري فِي كتابه "مدارك النظر" (ص ١٧٣)، فما بعدها. ومنهم الشيخ علي بن حسن الحلبي له كتاب فِي ذلك سماه "فقه الواقع بين النظرية والتطبيق" وغيرهم.

الجهل بالواقع اتّهام بعض أهل العلم والفضل بالجهل بأحوال المنافقين والعلمانيين، وهذا غير قادح إذ يوجد فِي الأمة منافق أو زنديق لا يعلمه العلماء ولا يعرفون حاله ولا يعد هذا الخفاء عيبًا فِي حقهم، قال الإمام الذهبي فِي ترجمة الحلاج: كان جماعة فِي أيام النَّبِي ﷺ منتسبون إلَى صحبته وإلى ملته وهم فِي الباطن مردة المنافقين قد لا يعرفهم نَبِي الله ولا يعلم بِهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾. فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم بعض المنافقين وهم معه فِي المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على أمته»[(١)].

وقال شيخنا ربيع المدخلي -حفظه الله-: "ولا يجوز أن ينال من العلماء والدعاة الذين تشغلهم واجباتُهم العلمية والدعوية عن متابعة الصحف والمجلات وتقارير المخابرات الأمريكية والإسرائيلية وغيرها مكتفين بمتابعة غيرهم لهذه الأمور، هذا ما يقتضيه العقل والشرع، لا العواطف العمياء فقد فرغ العلماء من بيان واجبات الأعيان...»[(٢)].

وبِهذا يظهر بطلان هذه التهمة، والحمد لله.



(١) "وجوب طاعة السلطان فِي غير معصية الرحمن" العريني (ص ٤٤-٤٥).

(٢) "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية" ربيع المدخلي (ص ٦٦).

الشبهة السادسة:

اتهامهم أهل السنة بالعمالة لأعداء الله وأنَّهم من علماء السلطة

إن أهل السنة السلفيين تاريخهم زاهر وساحتهم بيضاء نقية من هذه التهمة الجائرة، فكيف يرمون بالعمالة لأعداء الله وهم يدعون صباحًا ومساءً للكتاب والسنة على ما كان عليه الصحابة الكرام؟ فهم لا يجدون فِي القرآن إلا قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ويقرءون قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]. ويتلون قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وغيرها من الآيات.

وهكذا النصوص الكثيرة من السنة المحذرة من سلوك طريق اليهود والنصارى منها: ما ثبت فِي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حَتَّى لو دخلوا فِي جحر ضب لاتبعتموهم**، قلنا يا رَسُول الله اليهود والنصارى. قال: **فمن**»(١). واللفظ لمسلم.

---

(١) البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (فتح ٦/ ٤٩٥) ومسلم: كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى (٤/ ٢٠٥٤).

قال الشيخ عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم: "وهذا اللفظ وإن كان خبرًا فمعناه النهي عن متابعتهم"(١).

فكيف تستقيم هذه الدعوة وهم يحذرون من مكائد اليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة والملاحدة، وذلك بدعوة الناس إلَى دين الله القويْم الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أقول حقيقية: إن هذا الافتراء استعراضه يكفي فِي رده وفي بيان سذاجة قائله وحقده على دعوة الإسلام؛ لأن الدعوة إلَى السلفية تمثل -كما تقدم- الدعوة إلَى دين الإسلام الخالص الموروث عن نبينا مُحَمَّد بن عبدالله -صلوات الله وسلامه عليه-.

وإني أقول: هذه كتب السلفيين وأشرطتهم يصيحون بِها وينشرونَها فِي أقطار الأرض لدعوة الناس إلَى الخير والرقي فأين العمالة فيها؟

هل تعتبرون ما قاله الله وما قاله الرسول عمالة لأمريكا؟!

هل تعتبرون دعوة الناس إلَى العقيدة الصحيحة والسنة النبوية المطهرة من العمالة؟!

هل ترون أن التحذير من الشرك والبدع وسائر أنواع الشرور من العمالة؟

هل هل.... إلخ من العمالة؟ فإن كان كذلك فأهلاً وسهلاً بِهذه العمالة

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص ١٧٨).

الَّتِي من هذا النوع، لأن هذه بضاعة أهل السنة السلفيين، بضاعة الرسول الكريم.

قال ابن القيم:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

أم هو الحقد المستقر فِي أفئدتكم على أهل السنة ودعوتهم؟!

يا قوم: اتقوا الله ربكم فيما تتلفظونه وتنطقون به، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

إن هذه التهمة لا تعدو أهل البدع والضلالة من أصحاب المناهج الدخيلة على ديننا الإسلامي الحنيف، فلو قلبنا النظر إِلَى "لندن" بريطانيا لرأينا فيها رءوسًا من أولئك الذين يتباكون على الإسلام وهم فِي الحقيقة أدوات لأمريكا وبريطانيا تلعب بِهم كيفما شاءوا: كالمسعري ومحمد سرور ومن كان على درب هؤلاء فِي البدعة والضلالة شعروا أو لَم يشعروا، ضاقت عليهم أرض الإسلام بِما رحبت فلم يجدوا مأوى لَهم إلا فِي بلد الكفر والنفاق ينشرون من هناك ما يطيب لأصحاب أولئك الديار باسم الدين والسنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمن فِي الحقيقة العميل لأعداء الله؟ هذا أولاً.

أما ثانيًا: قولهم بأن أهل السنة علماء سلطة وما شابه ذلك.

نقول لَهم: من الذي يجاري الحكام فِي مجلس النواب بمدح الدستور وفيه من المخالفات الشرعية ما تقدم ذكر بعضها؟

ومن الذي رشح علي عبدالله صالح فِي الانتخابات الرئاسية؟[1].

ومن الذي يفتي بجواز الديمقراطية والانتخابات ويجعلها من الدين؟

ومن الذي يطبل ويزمر للميثاق الوطني؟

ومن الذي يجيز التعددية السياسية والحزبية؟

ومن الذي يحضر حفلات تحتضن الرقص والموسيقى؟

ومن الذي يقف للسلام الجمهوري رافعًا يديه تمويهًا أمام الناس؟

ومن... ومن... ومن... إلخ.

ومن الذي يقدم تلكم التنازلات تلو التنازلات من باب إرضاء القيادة فِي معصية الله؟

أليس هذا كله عندكم يا دعاة الديمقراطية؟

أما أهل السنة والجماعة: فإنَّهم لا يتنازلون عن مسألة شرعية لأغراض دنيوية ولا يداهنون أحدًا فِي حدود الله وبيانِها مع استخدام النصيحة الَّتِي ورد الشرع بِها من غير إحداث فتن وقلاقل واضطرابات واغتيالات ومظاهرات وما شابه ذلك، بل يرون السمع والطاعة لولي الأمر فِي المنشط والمكره والعسر واليسر وعلى الأَثَرَةِ كذلك، ولا ينازعون الحاكم سلطته بل

(١) مع العلم بأن أهل السنة يرضونه رئيسًا من غير انتخابات والحمد لله، ولا يرون الخروج عليه مع الدعاء له بالصلاح والهداية، وبذل المناصحة له وفق منهج السلف الصالح.

يعينونه على الخير، ويناصحونه إذا حاد عن جادة الصواب مع الدعاء له بالتوفيق والصلاح والسداد لكل خير، هذا ما عليه أهل السنة، فأين هذا من زعمكم أنَّهم عملاء ومخابرات ونحو ذلك؟! لكن مكمن الداء عندكم أنكم تريدون أن تصرفوا الناس خصوصًا الشباب منهم عن علماء أهل السنة بكل وسيلة قدرتم عليها، ولكن الله ناصر جنده وعلى الباغي تدور الدوائر قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].



الشبهة السابعة:

اتهامهم أهل السنة بأنَّهم فرقوا المسلمين

أقول: ثبت فِي البخاري من حديث جابر بن عبدالله فِي قصة الملائكة الذين جاءوا إلَى الرسول ﷺ وهو نائم وفيه قال بعضهم: «**ومحمد فرق بين الناس**».

فَهذا الحديث يُبين أن الرسول ﷺ فرق الله بمجيئه بين الحق والباطل بين التوحيد والشرك حَتَّى أصبح الولاء والبراء فِي ذات الدين لا غير، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. الآية.

قال ابن كثير: "قال سعيد بن عبدالعزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾. إلَى آخرها فِي أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر"[1].

وقال الشيخ السعدي: "لا يجتمع هذا وهذا، ولا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا إذا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان، وموالاته، وبغض من لَم يقم به، ومعاداته،

(١) تفسير ابن كثير المسمى بتفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥٢).

ولو كان أقرب الناس إليه، وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه»[١].

إن الذين يرمون أهل السنة بأنَّهم يفرقون بين المسلمين ويصدعون الصف من الداخل نقول لَهم: نعم إن أردتم ما ذكر من التفريق بين الحق والباطل والهدى والضلال، فهم بدعوتِهم على الكتاب والسنة يتميز بذلك السني من البدعي، ويظهر صاحب العقيدة الصحيحة من الفاسدة، وما هذا إلا تطبيقًا منهم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمر بمعروف ونَهي عن منكر وهو من أفضل الأعمال الصالحة»[٢]. وهو أيضًا من باب قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهذا رسولنا قد سمى عمر بن الخطاب بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، فقد جاء فِي الطبقات لابن سعد أن أبا عمرو ذكوان قال: قلت لعائشة: «من سمى عمر بالفاروق؟ قالت: النَّبِي ﷺ»[٣]. وقد ورد فِي ذلك حديث ولكنه مرسل، فعن أيوب بن موسى قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق به بين**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن فِي تفسير كلام المنان» (٥/ ١٩٩).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٥٣).
(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٢٧١).

الحق والباطل»[(١)].

أما إن كان قصدكم أنهم فرقوا الناس بِمعنَى يدعون إلَى الفرقة والاختلاف المنهي عنهما شرعًا، فَهذا هو الكذب الفادح، ذلك أن دعوتهم بحمد الله تقفو أثر الرسول ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، فإن كان هؤلاء دعاة فرقة واختلاف بالمعنى الذي عنيتموه فنحن كذلك والعكس بالعكس.

إني أقول: إن أهل السنة السلفيين كما تقدم يهتمون بالتصفية ثُمَّ التربية على هذا الصفاء، فهم لا يرضون أن ينضم معهم وبينهم الشيعي والصوفي والبعثي والناصري والاشتراكي والحزبي بدون نصيحة لَهم، بل يناصحون هؤلاء بالكتاب وبالسنة فمن قبلها فَحَيَّ هَلَا ومن لَم يقبلها فلا لقاء بيننا وبينه.

لذلك أصبحوا غرباء بين الناس، فهم بين الفرق الإسلامية كالإسلام بين بقية الأديان فِي الغربة، والله المستعان، بينما أهل البدع والأهواء خصوصًا الإخوان المسلمون هَمُّهُمُ الأكبر اللفلفة والتجميع على غير صفاء على قاعدة حسن البنا: "نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه".

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٧٠) وضعفه الألباني فِي ضعيف الجامع (ص ٢٢٨)، ولكن العبارة الأولى وهي: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، صحيحة فقد أخرجها أبوداود فِي سننه كتاب الخراج، باب: فِي تدوين العطاء (٣/ ٣٦٥) وصححها الألباني فِي صحيح الجامع (١/ ٣٥٨) وانظر المشكاة (٣/ ١٧٠٤).

وما قاله أيضًا: "وتستطيع أن تقول -ولا حرج عليك- إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية"[١].

قال الشيخ بكر أبوزيد عن قاعدة حسن البنا: "نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه": "هذا تقعيد حادث فاسد إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام فإنه بإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد"[٢].

لذا فإننا نرى التنازلات تلو التنازلات من قيادات هذه الأحزاب، كل ذلك لأجل الإسلام ونصرته -زعموا- وهل ينصر الإسلام بضده وبما يخدشه؟!

فظهر مِمَّا تقدم ذكره أن أهل السنة دعاة ائتلاف واجتماع لا فرقة واختلاف.

والحمد لله على توفيقه.



---

(١) "مجموع رسائل حسن البنا" (ص ١٥٦).

(٢) سبق ذكر مصدره (ص٧٩) من هذا البحث.

الشبهة الثامنة:

قولهم عن أهل السنة [السلفيين] بأنَّهم مرجئة مع الحكام خوارج مع الدعاة

أقول: إن هذه الشبهة تناقش من مقامين:

المقام الأول: قولهم "مرجئة مع الحكام".

المقام الثاني: قولهم "خوارج مع الدعاة".

أما المقام الأول: فنقول لَهم: ماذا تقصدون بكلمة مرجئة؟

فإن كان مقصدكم بذلك بدعة الإرجاء الَّتِي هي: تأخير العمل عن مسمى الإيْمان وأنه لا يضر مع الإيْمان معصية، فَهذا من أبطل الباطل وأكذب الكذب عنهم، وهذا معلوم لدى القاصي والداني مِمَّن قَلَّتْ بضاعته فِي العلم الشرعي فضلاً عن أهله، وها هي كتبهم شاهدة بنقيض ذلك بل فيها التشنيع والنكير على هذه البدعة النكراء.

قال سعيد بن جبير: "مثل المرجئة مثل الصابئين"[١].

وقال شريك عن المرجئة: "هم أخبث قوم وحسبك بالرافضة خبثًا،

(١) "السنة" للإمام عبدالله بن أحمد (١/ ٣١٨).

ولكن المرجئة يكذبون على الله»[١].

وقال منصور بن المعتمر: «هم أعداء الله: المرجئة، والرافضة»[٢].

والأقوال عن السلف فِي ذم المرجئة وبيان سوء مذهبهم أكثر من أن تحصر حَتَّى أن الإمام الخلال عقد مجلدًا فِي كتابه «السنة» للرد على المرجئة وهو الجزء الرابع والخامس.

وما تكاد تقرأ كتابًا من كتب العقيدة والسنة إلا وقد تعرض بالرد على هؤلاء المبتدعة.

ولكن القوم -أعني المفترين- يرمون أهل السنة به لأن موقفهم[٣] من الحاكم المسلم المتلبس بالظلم والفسق موافق للنصوص الشرعية وما عليه العمل عند السلف الصالح من عدم الخروج عليه وإثارة الفتن والقلاقل فِي أوساط المجتمعات؛ لأَنَّهم -أي: أهل السنة والجماعة- لا يكفرونه بل يرون السمع والطاعة فِي المعروف مع المناصحة الصادقة وفق هدي السلف.

بينما أهل البدع من أصحاب الحركات المشبوهة يكفرون الحكام قاطبة من غير تفصيل، استدلالاً منهم بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ونسوا أو تناسوا أن الكفر عند أهل العلم كفران: كفر اعتقادي: يخرج

---

(١) «السنة» للإمام الخلال (٤/ ٤١).

(٢) «السنة» للإمام اللالكائي (٥/ ٩٩٢).

(٣) أهل السنة، وهذا هو المقصود الآخر.

من الملة، وكفر عملي: لا يخرج من الملة[١] وعلى ذلك جاءت النصوص من الكتاب والسنة بتسمية بعض الأعمال كفرًا وهي غير ناقلة عن الملة بمجرد الفعل، منها:

ما ثبت فِي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٢].

وقد بَوَّبَ الإمام البخاري رحمه الله لِهذا الحديث فِي صحيحه بقوله: باب خوف المؤمن من أن يَحْبَطَ عمله وهو لا يشعر.

قال الحافظ بن حجر: "هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة... والمرجئة نسبوا إلَى الإرجاء وهو التأخير؛ لأنَّهم أخروا الأعمال عن الإيْمان، فقالوا: الإيْمان هو التصديق بالقلب فقط، ولَم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيْمان على الكمال، وقالوا: لا يضر مع الإيْمان ذنب أصلاً"[٣].

قلت: تأمل أخي القارئ قول الحافظ رحمه الله هذا يتبين من خلاله أن الذين يرمون أهل السنة السلفيين بالإرجاء هم أولى بِهذه التسمية منهم كما سأبينه بمشيئة الله فِي نِهاية هذه الشبهة.

وقال الحافظ أيضًا: "قوله: «**قتاله كفر**» إن قيل: هذا وإن تضمن الرد على المرجئة لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي،

(١) على تفصيل سيأتي من كلام ابن القيم (ص١٦٤) من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه (ص١٢٧) من هذا الكتاب.

(٣) فتح الباري (١/ ١١٠).

فالجواب: إن المبالغة فِي الرد على المبتدع اقتضت ذلك، ولا متمسَّك للخوارج فيه؛ لأن ظاهره غير مراد، ولكن لَمّا كان القتال أشد من السباب، لأنه مفضٍ إلَى إزهاق الروح، عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر الَّتِي هي الخروج عن الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة فِي التحذير معتمدًا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة، مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر...»[١].

وقال النووي: "وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرًا يخرج به من الملة كما قدمناه فِي مواضع كثيرة إلا إذا استحله..."[٢].

قلت: ومن الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال يطلق عليها من باب الزجر والتهويل كفر وليست ناقلة عن الملة، ما ثبت فِي الصحيحين من حديث جرير أن النَّبِي ﷺ قال له فِي حجة الوداع: استنصت الناس فقال: « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** »[٣].

وما ثبت أيضًا فِي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٤).

(٣) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الإنصات للعلماء (١/ ٢١٧) ومسلم كتاب: الإيمان، باب: معنَى قول النَّبِي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض (١/ ٨١-٨٢).

قال: «اثنتان فِي الناس هما بِهِم كفر: الطعن فِي النسب، والنياحة على الميت»[(١)].

قال النووي: "وفيه أقوال أصحها: أن معناه: هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، والثاني: أنه يؤدي إلَى الكفر، والثالث: أنه كفر النعمة والإحسان، والرابع: أن ذلك فِي المستحل، وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن فِي النسب والنياحة"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، حَتَّى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيْمان يصير مؤمنًا حَتَّى يقوم به أصل الإيْمان"[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: "هاتان الخصلتان كفر ولا يلزم من وجود خصلتين من الكفر فِي المؤمن أن يكون كافرًا كما لا يلزم من وجود خصلتين فِي الكافر من خصال الإيْمان كالحياء والشجاعة والكرم أن يكون مؤمنًا"[(٤)].

وقال الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله رَحِمَهُ اللَّهُ: "ودرجة الكفر

---

(١) مسلم، كتاب: الإيْمان، باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن فِي النسب والنياحة (١/ ٨٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٧).

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢١١).

(٤) "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" (٢/ ٢١٦).

المذكور فِي الحديث صغرى؛ لأنه -والله أعلم- من الكفر الذي لا ينقل عن الملة فقد أخبر الرسول ﷺ أن هاتين الخصلتين: الطعن فِي النسب والنياحة على الميت كفر؛ لأنَّهما من أعمال الكفار فِي الجاهلية»[١].

قلت: ومن هذا القبيل ما ثبت أيضًا فِي مسلم من حديث جرير أنه سمع رَسُول الله ﷺ يقول: «**أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حَتَّى يرجع إليهم**»[٢].

وما ثبت أيضًا فِي مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رَسُول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما المؤمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**»[٣].

قلت: ومما يؤيد أن المراد بالكفر هنا كفر النعمة ما جاء فِي رواية مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**ألم تروا إلَى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بِها**

---

(١) "الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد" (ص٢١٠-٢١١).

(٢) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تسمية العبد الآبق كافرًا (١/ ٨٣).

(٣) البخاري، كتاب: الأذان، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم (٢/ ٣٣٣) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (١/ ٨٣-٨٤).

كافرين، يقولون: الكواكب وبالكواكب»[(١)].

والنصوص فيما يشاكل هذه الأحاديث كثيرة، لذا جاء كلام السلف موافقًا لِما تضمنته هذه الأحاديث.

فقد قال الإمام مُحمَّد بن نصر المروزي: "... الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبِما قال، فذلك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبِما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل"[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وها هنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد. فكفر الجحود: أن يكفر بِما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا، من أسْماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيْمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلَى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النَّبِي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعًا، ولا يمكن أن يُنفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رَسُول الله ﷺ ولكن كفر عمل لا كفر اعتقاد"[(٣)].

وقال أيضًا: "فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود فِي النار، والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد

---

(١) مسلم، المصدر السابق (١/ ٨٤).

(٢) "تعظيم قدر الصلاة" (٢/ ٥١٧-٥١٨).

(٣) "حكم تارك الصلاة" (ص ٣٥-٣٦).

دون الخلود....»[١].

وقد بَوَّبَ ابن بطة فِي كتابه "الإبانة" بابًا قال فيه: باب ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلَى كفر غير خارج عن الملة، وساق نصوصًا فِي ذلك[٢].

قلت: وبعد أن تقرر هذا الأصل وهو أن الكفر كفران، نأتي إلَى قول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. فننظر هل الحكم بغير ما أنزل الله من الأكبر أو الأصغر وما هي أقوال أهل العلم فِي ذلك، وقبل أن نبين ذلك يحسن بنا أن نفهم أصلاً قد يخفى على كثير من الناس ألا وهو «**فهم سلفنا الصالح لنصوص الكتاب والسنة**» فإننا إن أخذنا بفهمهم لنصوص الوحي أصبنا الطريق وإن تنكبنا فهمهم ضللنا سواء السبيل، وقد ذكرت بعض الأدلة على وجوب اتباعهم فِي الفصل "السابع" فلينظر.

إذا تقرر ذلك فلنتأمل جيدًا في كلام السلف حول هذه الآية حَتَّى نعمل وفق عملهم بِها:

قال ابن عباس: هي به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وعن طاوس مثله.

وقال أيضًا: ليس بكفر ينقل عن الملة.

---

(١) "مدارج السالكين" (١/ ٣٦٤).

(٢) انظر هذه النصوص (٢/ ٧٢٣) فما بعدها من الإبانة.

وقال عطاء: كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق.

وقال سفيان: أي ليس كفرًا ينقل عن الملة.

وعن علقمة ومسروق: أنَّهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال: "هي من السحت، قال: فقالا: أفي الحكم؟ قال: ذلك الكفر، ثُمَّ تلا هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾"[1].

قلت: يقال لمن يستدل بهذه الآية على تكفير الحكام مطلقًا من غير تفصيل، هل التعامل بالرشوة من الكفر المخرج عن الملة؟ فإن قال: نعم، قلنا: فقد وقعت فِي مذهب الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة، وإن قلت: لا، يقال لك: ما يقال فِي الرشوة يقال فِي غيرها. وإلا ناقضت نفسك بنفسك.

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد اختلف أهل التأويل فِي تأويل الكفر فِي هذا الموضع فقال بعضهم: نحو ما قلنا من ذلك من أنه عنى به اليهود الذين حرفوا كتاب الله وبدلوا حكمه.... وقال آخرون: بل عنى بذلك كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق... وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات فِي كفار أهل الكتاب لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات نزلت فيهم وهم المعنيون بِها، وهذه الآيات فِي سياق الخبر عنهم فكونُها خبرًا عنهم أولى، فإن قال قائل: فإن

---

(١) انظر هذه الأقوال فِي كل من "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" ابن بطة العكبري (٢/ ٧٣٣، ٧٣٧) وكتاب "تعظيم قدر الصلاة"، للمروزي (٢/ ٥٢١، ٥٢٣) وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٦٤).

الله -تعالى ذكره- قد عم بالخبر بذلك عن جَميع من لَم يحكم بِما أنزل الله فكيف جعلته خاصًا؟ قيل: إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به فِي كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنَّهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون وكذلك القول فِي كل من لَم يحكم بِما أنزل الله جاحدًا به هو بالله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله فِي كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نَبِي»[1].

قلت: والغريب أن هؤلاء الذين يكفرون الحكام المتلبسين بالظلم والفسق يجهلون أو يتجاهلون أن الحكم فِي الآية عام فيتناول كل من لَم يحكم بِما أنزل الله سواء أكانوا أمراء أم مشايخ القبائل الذين يتحاكمون بالعادات وسوالف البادية ويتناول أيضًا مشايخ الطرق الصوفية والأحزاب المبتدعة ونحو ذلك بل حَتَّى على نطاق رب البيت مع رعيته، فلماذا يقتصرون فِي حكمهم على حكام المسلمين فقط؟!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن من لَم يعتقد وجوب الحكم بِما أنزل الله على رسوله فهو كافر. فمن استحل أن يحكم بين الناس بِما يراه هو عدلاً من غير اتباع لِما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل فِي دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إِلَى الإسلام يحكمون بعاداتِهم الَّتِي لَم ينْزل الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا،

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٦/ ٢٥٢، ٢٥٧).

ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لَهم الَّتِي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بِما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً كمن تقدم أمرهم»[١].

وقال ابن القيم: «والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين: الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بِما أنزل الله فِي هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فَهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فَهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فَهذا مخطئ له حكم المخطئين»[٢].

وقال ابن الجوزي: «وفصل الخطاب أن من لَم يحكم بِما أنزل الله جاحدًا له وهو يعلم أن الله أنزله كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لَم يحكم به ميلاً إلَى الهوى من غير جحود فهو ظالِم وفاسق وقد روى علي بن طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر وإن أَقَرَّ به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم»[٣].

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: «وهنا أمر يجب أن يُتَفَطَّن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة وقد يكون معصية

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٣٠).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٦٥).
(٣) «زاد المسير» (٢/ ٣٦٦-٣٦٧).

كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرًا: إما مجازيًا وإما كفرًا أصغر على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بِما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فَهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بِما أنزل الله، وعلمه فِي هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فَهذا عاص ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه فِي معرفة الحكم وأخطأه، فَهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور»[1].

وقال الإمام الشوكاني: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ يقول: جحد الحكم بِما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالِم فاسق»[2].

وقال الشيخ السعدي: «فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر، قد استحق من فعله العذاب الشديد»[3].

وقال الشيخ مُحمَّد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن تحرير المقام فِي هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق فِي الشرع مرادًا به المعصية تارة والكفر المخرج عن الملة أخرى، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٦٣، ٣٦٤).
(٢) «فتح القدير» (٢/ ٤٥).
(٣) «تيسر الكريم الرحمن» (١/ ٤٨٨).

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معارضة للرسول وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معتقدًا أنه مرتكب حرامًا فاعل قبيحًا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»[(١)].

وقال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «والحكام بغير ما أنزل الله أقسام، تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين وهكذا من يُحَكِّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ويرى أن ذلك جائز ولو قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحل ما حرم الله، أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعًا للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه أو لأسباب أخرى وهو يعلم أنه عاص لله بذلك وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله فَهذا يعتبر من أهل المعاصي والكبائر ويعتبر قد أتى كفرًا أصغر وظلمًا وفسقًا أصغر كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن طاوس وجماعة من السلف الصالح وهو المعروف عند أهل العلم»[(٢)].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «نعود الآن إلَى هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فما المراد بالكفر فيها؟ هل هو الخروج عن الملة أو غير ذلك؟ هنا الدقة فِي فهم هذه الآية، فإنَّها قد تعني الكفر العملي وهو الخروج بأعمالهم عن بعض أحكام الإسلام، ويساعدنا فِي هذا

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ٨١).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٤/ ٤١٦).

الفهم حبر الأمة وترجمان القرآن ألا وهو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لأنه من الصحابة الذين اعترف المسلمون جميعًا إلا من كان من تلك الفرقة الضالة، على أنه إمام فِي التفسير، وكأنه طرق سمعه يومئذ ما نسمعه اليوم تمامًا أن هناك أناسًا يفهمون الآية على ظاهرها دون تفصيل، فقال رضي الله عنه: "ليس الكفر الذي تذهبون إليه إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة هو كفر دون كفر" ولعله يعني بذلك الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ثُمَّ كان من عواقب ذلك أنَّهم سفكوا دماء المؤمنين، وفعلوا فيهم ما لَم يفعلوا بالمشركين، فقال: ليس الأمر كما قالوا، أو كما ظنوا وإنَّما هو كفر دون كفر، هذا الجواب المختصر الواضح من ترجمان القرآن فِي تفسير هذه الآية هو الذي لا يمكن أن يُفْهَم سواه من النصوص الَّتِي ألمحت إليها آنفًا... إلخ الفتوى"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: "من لَم يحكم بِما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا له أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق، أو مثله فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة. ومن لَم يحكم بِما أنزل الله لا استخفافًا بحكم الله ولا احتقارًا ولا اعتقادًا أن غيره أصلح وأنفع للخلق أو مثله، وإنَّما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فَهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم...".

وقال أيضًا: "وهذه المسألة -أعني: مسألة الحكم بغير ما أنزل الله- من

(١) نقلاً من "فتنة التكفير والحاكمية" (ص ٣١) للشيخ/ مُحَمَّد بن عبد الله الحسين.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معارضة للرسول وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معتقدًا أنه مرتكب حرامًا فاعل قبيحًا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»[١].

وقال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «والحكام بغير ما أنزل الله أقسام، تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين وهكذا من يُحكِّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ويرى أن ذلك جائز ولو قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحل ما حرم الله، أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعًا للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه أو لأسباب أخرى وهو يعلم أنه عاص لله بذلك وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله فهذا يعتبر من أهل المعاصي والكبائر ويعتبر قد أتى كفرًا أصغر وظلمًا وفسقًا أصغر كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن طاوس وجماعة من السلف الصالح وهو المعروف عند أهل العلم»[٢].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «نعود الآن إلى هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فما المراد بالكفر فيها؟ هل هو الخروج عن الملة أو غير ذلك؟ هنا الدقة في فهم هذه الآية، فإنَّها قد تعني الكفر العملي وهو الخروج بأعمالهم عن بعض أحكام الإسلام، ويساعدنا في هذا

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ٨١).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٤/ ٤١٦).

المسائل الكبرى الَّتِي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع فِي الحكم عليهم بِما لا يستحقونه حَتَّى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم"[(١)].

قلت: فهذه أقوال أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين استناروا بنور الوحي فأبانوا الحق فِي هذه المسألة الخطيرة الَّتِي حقيقة هي مزلة قدم كثير مِمَّن ينتسبون إلَى حياض الدعوة إلَى الله تعالى فضلاً عن غيرهم، فماذا يقال عن كل هؤلاء الأخيار؟ أيقال أنَّهم مرجئة مع الحكام؟ قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

إن الواجب أن نقفو أثر هؤلاء الأبرار حَتَّى نسعد -إن شاء الله- فِي الدنيا والآخرة إن الحقيقة الَّتِي ينبغي أن تعلم أن الذين يستحقون أن يوصموا بالإرجاء هم أهل البدع وعلى رأسهم الإخوان المسلمون، وقد كنت بينت ذلك فِي أثناء تعليقي على البركان (ص٥٩-٦١) ولا بأس بنقله برمته هنا حَتَّى تتم الفائدة فأقول:

أ- إن المرجئة يرون السيف كالخوارج وقد تقدم معنا أن الإخوان المسلمين يرون الخروج على الحكام بالإنكار العلني وإثارة العامة عليهم من خلال دعوتِهم للمظاهرات والمسيرات، قال سفيان: "أما المرجئة فيقولون وذكر من أقوالهم: وهم يرون السيف على أهل القبلة"[(٢)].

وقال أحمد بن سعيد الرباطي: "قال لِي عبدالله بن طاهر: يا أحمد إنكم

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/ ١٦١، ١٦٢).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" اللالكائي (٥/ ٩٩٩).

يبغضون هؤلاء القوم جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة، أولاً: إنَّهم لا يرون للسلطان طاعة»[١].

ب- جزمهم لأقطابِهم بالشهادة بدون استثناء، كقولهم: الشهيد حسن البنا، أو الشهيد سيد قطب، وهكذا.

يقول الشيخ الفاضل ابن عثيمين -حفظه الله-: «إن تقييد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه إنه شهيد، فَهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النَّبِي ﷺ أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك، وقد ترجم البخاري رحمه الله لِهذا بقوله باب: لا يقال فلان شهيد، قال الحافظ فِي الفتح (٦/ ٩٠): أي على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي»[٢].

وترك الاستثناء فِي الإيْمان وما يتبعه هو أصل الإرجاء.

قال عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله: «أول الإرجاء ترك الاستثناء»[٣].

وقال أيضًا: «إذا ترك الاستثناء فهو أصل الإرجاء»[٤].

ج- إن من أصول المرجئة قولهم: «لا يضر مع الإيْمان ذنب» والإخوان المسلمون عندهم أصل مأخوذ من هذا الأصل ألا هو: «لا يضر مع الحزبية ذنب» وبيان ذلك، أنك مهما تبين من أحوال منظريهم وأقطابِهم فيما وقعوا فيه من البدع والضلال لا يرون ذلك شيئًا ما داموا فِي الحزب ومن

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» الصابوني (ص٨٤).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ١١٦).

(٣) «السنة» للخلال (٣/ ٥٩٨).

(٤) «الشريعة» للآجري (ص ١٣٩).

المنافحين عنه، فإذا قلت: هذا قائد حزبكم المدعو "حسن البنا" قد حذر منه العلماء وبينوا أنه صوفي خرافي قبوري أشعري تقريبي وغير ذلك من الطوام الَّتِي واحدة منها كفيلة بإخراجه من دائرة أهل السنة والجماعة، بادروا بالاستنكار وقالوا: هذا سب للعلماء!! وإذا بينت حال سيد قطب وطعنه فِي نَبِي الله موسى عليه السلام وبعض الصحابة الكرام وما عنده من بدع وضلالات وحذرت من كتبه قالوا: هذا تجنٍّ ورموك بالعمالة والجاسوسية(١).

فالمهم أنَّهم مرجئة فِي هذا، والله المستعان.

د- مشابهتهم للمرجئة فِي تركهم لبيان السنة والرد على المبتدعة والتحذير منهم.

قال ابن تيمية -بعد كلام له عن أهل التكفير-: "وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونَهم، بل لعلهم يذمون الكلام فِي السنة وأصول الدين ذمًا مطلقًا، ولا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وما يقوله أهل البدعة والفُرْقَةِ، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة، كما

---

(١) وإذا قلت: هذا القرضاوي يدعو إلَى نزع الحياء ويقول: بأن الحياة تتسع لأكثر من دين، ويقدم العقل على النقل، ويتجرأ على الله، ويبيح بيع الخمر ولحم الخنْزير فِي السوبر ماركت وله فتاوى قبيحة أخرى، قالوا: هذا القرضاوي مجاهد ومنافح عن الإسلام... وهكذا... انظر ما عند القرضاوي من طامات فِي كتاب شيخنا المفضال مقبل رحمه الله المسمى "إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبدالله القرضاوي".

يقر العلماء فِي مواضع الاجتهاد والتي يسوغ فيها النِّزاع وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة... وكلا هاتين الطريقتين (أي المكفرة والمرجئة) منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة»[١].

وبيان كون الإخوان المسلمين مرجئة فِي هذا، ما أصَّله حسن البنا قائد حزبِهم وهم على طريقته سائرون حيث قال: «فلنعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

ثُمَّ اعلم أخي القارئ: أن أهل السنة السلفيين هم أنصح الناس لعباده لكنهم يعرفون كيف يضعون الأمور فِي مواضعها؛ لأن الحاكم عليهم هو كتاب الله وسنة نبيهم ﷺ على فهم السلف الصالح فهم بعيدون عن العاطفة الهمجية والانفعالات الحماسية الَّتِي تُفْسِدُ أكثر مِمَّا تصلح، لذا فهم يقومون بواجب النصيحة للحاكم كما يقومون بِها للمحكوم سواء بسواء وكل بحسبه أخذًا بالأحاديث الثابتة فِي ذلك، ولكن بالطرق الشرعية الَّتِي سار عليها أئمة سلفنا الصالح، وقد بسطت القول فِي ذلك فِي كتاب: «الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية» (ص١٩١-١٩٨)، (ص٢٢٠-٢٢٣) فلينظر.

وبهذا البيان الساطع الذي لا يبقي أدنى ارتياب، تُنفَى التهمة الجائرة عن أهل السنة بأنَّهم مرجئة مع الحكام وهذا هو المقام الأول.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٤٦٧).

أما المقام الثاني من هذه الشبهة وهو: أن أهل السنة خوارج مع الدعاة: فأقول: ماذا تقصدون بلفظة خوارج؟

أتريدون أن أهل السنة يكفرون المسلمين بكبائر الذنوب؟

أم تعدون الرد على دعاتكم من أهل البدعة والضلال تكفيرًا لَهم؟

فإن كان الأول: فما أشبه الليلة بالبارحة، فبالأمس كان أعداء الدعوة السلفية ينقمون على الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله دعوته إِلَى توحيد الله الخالص من شوائب الشرك والبدع ويطلقون عليه وعلى مناصريه بأنَّهم خوارج، واليوم نسمع من دعاة الحزبية المقيتة من يرمي أهل السنة بذلك، وهكذا تتشابه قلوب أهل الباطل فِي القديم والحديث، قال تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۘ﴾.

وثبت فِي البخاري معلقًا بصيغة الجزم من حديث عائشة ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[1].

قال الخطابي: "يحتمل أن يكون إشارة إِلَى معنَى التشاكل فِي الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخيِّر من الناس يَحِنُّ إِلَى شكله والشرير نظير ذلك يميل إِلَى نظيره، فتعارف الأرواح بحسب الطباع الَّتِي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت"[2].

---

(١) البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة (٦/ ٣٦٩) ومسلم: كتاب: البر والصلة، باب: الأرواح جنود مجندة (٤/ ٢٠٣١).

(٢) "فتح الباري" (٦/ ٣٦٩).

ولقد أحسن القائل: "والطيور على أشكالها تقع".

قال ابن غنام ما حاصله: "وأشر الناس والعلماء إنكارًا عليه -مُحَمَّد بن عبدالوهاب- وأعظمهم تشنيعًا وسعيًا بالشر إليه: سليمان بن سحيم وأبوه مُحَمَّد، فقد اتُّهم فِي ذلك وأنجد، وجَدَّ فِي التحريش عليه والتحريض... وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي وأصحابه خوارج..."[١].

وإن كان الثاني: فَهذا وشأنكم أما نحن فلا نعده تكفيرًا وإنَّما بيانًا ونصيحة ورحمة على المردود عليه، وقد فصلنا القول فِي ذلك بِما لا يدع للجدل مكانًا فِي الرد على الشبهة الثالثة، فلتنظر.

وكما قيل فِي الإرجاء وأنه ألصق بأهل البدع منه بأهل السنة، يقال هنا أيضًا: إن صفة الخروج لا تعدو أهل البدع، وبيان ذلك أن يقال:

قال أيوب السختياني عن أبي قلابة: "ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف"[٢].

وقال سلام بن أبي مطيع: "كان أيوب يسمى أهل الأهواء كلهم خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا فِي الاسم واجتمعوا على السيف"[٣].

وكلام هذين العالمين هو ما أطبق عليه السلف حيث تناقلوه خلفًا عن

---

(١) "روضة ابن غنام" (١/ ٣١-٣٢) نقلاً من كتاب عقيدة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب السلفية لشيخنا صالح العبود (ص ٣٩٣-٤٩٤).

(٢) "الشريعة" للآجري (ص٦٤).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/ ١٤٣).

سلف فِي كتبهم المعتمدة ككتاب: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" لللالكائي، وكتاب "الشريعة" للآجري، وغيرهما، بل النَّبِي ﷺ أخبر باستمرار خروج مثل هؤلاء الخوارج.

فقد ثبت ذلك عند ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعًا، «ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع». قال ابن عمر: أكثر من عشرين مرة: «حَتَّى يخرج فِي أعراضهم الدجال»[1].

فَهذا زندانيهم على سبيل المثال يشجع على مذهب الخوارج كما فِي شريطه: "أَدِّ الأمانة ولا تَكُ صفرًا" قائلاً فيه: "والأمة واجبها أن تقيم ذلك الحاكم وأن تشاوره وأن تعاونه وأن تطيعه وأن تعزله إذا فسد وأفسد".

وقال أيضًا: "ويصل الأمر إلَى عزله إذا انحرف أوظلم" اهـ.

قال النووي: "وأما الخروج عليهم -الولاة- وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بِمعنَى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق"[2].

وقال عبدالمجيد الزنداني: أيضًا فِي شريط له بعنوان "الغلاء الأمريكي اليهودي" وهو يدعو فيه إلَى المظاهرات الَّتِي تسبب الخروج على حكام المسلمين المتلبسين بالظلم والفسق، مستدلاً بفعل الكفرة من الفرنسيين: "من حق الشعب أن يحرك المظاهرات ومن حق الشعب أن يحرك المسيرات

---

(١) سنن ابن ماجه المقدمة باب: ١٢ (١/ ٦١-٦٢) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٨٢) تحت عنوان: استمرار خروج الخوارج.

(٢) "شرح النووي على مسلم" (١٢/ ٢٢٩).

للإعلان عن رأيه فِي الرفض لأي سياسة ولأي منهج، ويجب على الدولة أن تحمي ذلك الحق، وأن تحمي تلك المسيرات، وأن تحمي تلك المظاهرات، ماذا فعل الفرنسيون عندما قررت الحكومة رفع الضرائب عليهم؟ ماذا فعلوا؟ قاموا بإضرابات ثُمَّ سدوا الطرقات بسياراتِهم ثُمَّ عطلوا جَميع الحركة فِي البلد ثُمَّ أرغموا تلك الحكومة تحت أقدامهم أن تتراجع عن موقفها...".

قلت: وقد تم بحمد الله بيان ضلال هذين القولين فِي كل من كتاب: "الأدلة الشرعية" (ص ١٨٥-١٩٩) وكتاب: "رسالتان فِي الرد على أهل البدع والأهواء" (ص ٣٤-٤٣).

وهذا مُحَمَّد سرور بن زين العابدين يعظم فعل قوم لوط أكثر من تعظيمه للشرك الذي كان عليه قوم لوط وما ذاك إلا تأثرًا بفكر الخوارج فِي تكفيرهم لمرتكبي الكبائر حيث قال: "فليس من المستغرب أن تكون مشكلة إتيان الذكران من العالمين أهم قضية فِي دعوة لوط عليه السلام لأن قومه لو استجابوا له فِي دعوته إِلَى الإيْمان بالله وعدم الإشراك به لما كان لاستجابتهم أي معنَى إذا لَم يقلعوا عن عادتِهم الخبيثة الَّتِي اجتمعوا عليها ولم يستتروا فِي فعلها..."[1].

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: "فِي الرد على هذا القول فِي شريطه "أهمية التوحيد": "وأما قوله إن قوم لوط لو وحدوا الله ولم يتركوا اللواط فهم كفار، هذا كلام باطل لأن اللواط لا شك أنه جريمة وأنه كبيرة من

---

(١) "منهج الأنبياء فِي الدعوة إِلَى الله" مُحَمَّد سرور (١/ ١٥٨).

كبائر الذنوب ولكن لا يصل إِلَى حد الكفر فمن تاب إِلَى الله عزَّ وجلَّ من الشرك ولم يقع منه شرك ولكن وقع فِي جريمة اللواط هذا يعتبر قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يكفر فلو أن قوم لوط وحدوا وعبدوا الله وحده لا شريك له، ولكن بقوا على جريمة اللواط لكانوا فسقة مرتكبين كبيرة من كبائر الذنوب يعاقبهم الله عليها إما فِي الدنيا وإما فِي الآخرة أو يعفو عنهم سبحانه وتعالى لكن لا يكفرون. الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «**إن الله -سبحانه وتعالى- يأمر يوم القيامة أن يخرج من النار من كان فِي قلبه مثقال أو أدنى مثقال حبة من خردل من إيْمان**». ويراد به أهل التوحيد الذين عندهم معاصي ودخلوا بِها النار يعذبون ثُمَّ يخرجون من النار بتوحيدهم وعقيدتِهم، فالموحد -وإن دخل النار- لا يخلد فيها وقد يعفو الله عنه ولا يدخله النار أصلاً. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فهذه الكلمة كلمة جاهل أو كلمة -أحسن ما نحملها عليه الجهل، والجهل داء وبيل والعياذ بالله، وهذه آفة كثير من الدعاة اليوم الذين يدعون إِلَى الله على جهل يقعون فِي مثل هذا، ويكفرون الناس بدون سبب ويتساهلون فِي أمور التوحيد، انظروا هذا الجاهل يتساهل فِي العقيدة ويعظم أمر اللواط، أيهما أشد؟ هل الشرك أشد أو اللواط أشد؟ نسأل الله العافية.

وقال شيخنا **مُحَمَّد أمان بن علي الجامي** رَحِمَهُ الله: موضحًا كلام سرور فِي شريطه "ليس من النصيحة فِي شيء" معناه: أن الإنسان الذي هو مقيم وملازم لكبيرته فلم يتب لا ينفعه الإيْمان لو آمن، لو كان كافرًا أو مرتكبًا

لكبيرة كفاحشة الزنا واللواط ومع ذلك استجاب للداعية فآمن ما نفعه إيْمانه هذا طالما هو مرتكب لتلك الكبيرة، أي: إن الكبيرة تتنافى والإيْمان، أي: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن، هذه عقيدة من؟ عقيدة الخوارج، وهذا الداعية الذي فِي لندن يقول: إنه داعية هو وأصحابه، إلَى أي شيء يدعون؟ إلَى عقيدة الخوارج، يعني يريدون أن يقيموا دولة على عقيدة الخوارج، وإلا ماذا يريدون، أو لا يدري ماذا يقول هذه عقيدة الخوارج، والاعتقاد بأن صاحب الكبيرة لو مات على كبيرته قبل أن يتوب هو كافر لا ينفعه إيْمانه عقيدة الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وكفروه...» وهذا سفر الحوالي يقول كما فِي كتابه "وعد كسينجر" (ص ١٣٨): "لقد ظهر الكفر والإلحاد فِي صحفنا وفشا المنكر فِي نوادينا ودعي إلَى الزنا فِي إذاعتنا وتلفزيوناتنا واستبحنا الربا حَتَّى أن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله الحرام إلا خطوات معدودات..."[1].

وهكذا غيرهم كثير وكثير -لا كثرهم الله- مِمَّن يتبنى فكر الخوارج شعر بذلك أو لَم يشعر، والله المستعان.

وبذلك تنفى هذه الشبهة المفتراة على أهل السنة، والحمد لله على توفيقه.



---

(١) انظر: "القطبية" للعدناني (ص ٩٠)، واستمع إلَى شريط شيخنا مُحَمَّد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ والذي هو بعنوان: "نصيحة إلَى سفر الحوالي"، فقد أجاد وأفاد فجزاه الله خيرًا وغفر الله له ورحمه آمين.

الشبهة التاسعة:

اتهامهم أهل السنة بأنَّهم يفصلون الدين عن الدولة

بادئ ذي بدء ينبغي أن يفهم المقصود من هذا المبدأ الخطير "فصل الدين عن الدولة..." بمعناه الحقيقي، ثُمَّ ينظر ما غرض المفترين على أهل السنة برميهم به فأقول:

إن هذا المبدأ العلماني الذي يحمل فِي طياته الكفر والزندقة والإلحاد يعني "أن ما لله وما لقيصر لقيصر" هذا هو المعنى لِهذا المبدأ الخبيث، وغرض من يرمي أهل السنة به أن يبين أن أهل السنة السلفيين يشتغلون بأمور الدين بعيدين كل البعد عما يتعلق بأمور الحكم وأنظمته وفي هذا إجمال يحتاج إِلَى تفصيل.

فإن كان المقصود: أن أهل السنة بعيدون عما يتعلق بأنظمة الحكم من تدبير شئون الدولة ومرافقها ووضع ما يناسب منها فِي المكان المناسب، وتدبير شئون الجيوش وسد الثغور وحماية بيضة المسلمين والأخذ على يد الظالم وإقامة الحدود وما شابه ذلك مِمَّا هو من اختصاص الراعي. فنقول: نعم هم كذلك بل يعدون التدخل فِي مثل هذه الأمور من منازعة الأمر أهله مع قيامهم بالنصيحة والتسديد إن حصل من ولي الأمر خطأ أو تقصير.

أما إن كان المقصود: أن أهل السنة بعيدون عما يتعلق بالولاة من حيث النصيحة لَهم وبيان الشروط المعتبرة فيمن يصلح للإمامة منهم مِمَّن لا يصلح، وبيان كيفية انعقاد الإمامة فِي الشرع لَهم، والإنكار عليهم بالطرق الشرعية والوسائل المرعية عند السلف، وما شابه ذلك، فَهذا من أبطل الباطل ومن الكذب الفادح عليهم، فها هي كتبهم ناطقة بذلك من أمثال "الأحكام السلطانية" للماوردي و"الأحكام السلطانية" لأبي يعلى، و"السياسة الشرعية" و"الحسبة" لشيخ الإسلام ابن تيمية و"السياسة الشرعية" للسعدي، وكتاب "حقيقة الشورى فِي الإسلام" و"للجزيرة العربية خصوصية فلا تنبت الديمقراطية"، لشيخنا مُحَمَّد أمان الجامي، وكتاب "الآداب الشرعية" لابن مفلح فِي مواضع منه، وما يتعلق بالجهاد وتجهيز الجيوش فِي كتب الفقه وغيرها، كلها توضح اهتمام أهل السنة بِهذا الجانب ولكن القوم -أعني أهل الافتراء- قد أعمى الله بصرهم وبصيرتَهم عن هذه الكتب وحالهم مع أهل السنة كما قال القائل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدي المساويا

فتراهم يرون تعامل أهل السنة السلفيين مع الحاكم المسلم المتلبس بالظلم أو الفسق منهجًا انْهزاميًا من عدم الخروج عليه ومنابذته بالسيف وطاعته فِي المعروف مع المناصحة الهادفة حسب ما هو مقرر عند السلف، ولكن ليقولوا ما شاءوا، فإن كلامهم فِي أهل السنة لا ولن يثنيهم -إن شاء الله- عما هم عليه من علم وعمل والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة، وحقيقة القول إن هذه التهمة لا تعدو القوم لأنَّهم من دعاة الانتخابات الطاغوتية والدعوة إلَى الانتخابات دعوة إلَى فصل الدين عن الدولة؛ لأن

مفادها أن الأمور الدينية كالعبادات وما شابهها تكون لله وما سوى ذلك من مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها فهي من خصوصيات الشعب، فالنظام الانتخابي يحمل فِي طياته بل من أسسه أن مصدر السلطة سواء أكانت شرعية أم قضائية أم تنفيذية هو الشعب لا دخل للكتاب والسنة فيها.

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله- فِي شريط "لقاء مع صحفي بصنعاء": "... فالسياسة هي من الدين والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة أو فصل السياسة عن الدين يحاولون هدم كثير من الإسلام، ففصل الدين عن السياسة معناه هدم قدر ثلث الإسلام أو أكثر، فنحن لا نحارب السياسة لذاتها، نحارب السياسية بِمعنَى الكذب والخداع والخيانة هذه نحاربُها، أما فصل الدين عن السياسة فَهذا أمر نحن نحاربه ونحذر منه والله المستعان..."[1].

وبذلك يظهر أن من يرمي أهل السنة بِهذه التهمة الجائرة يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

---

(١) وفي كلام الشيخ هذا رد على تجني المدعو عبدالرحمن بن صالح الإبي فِي مقال نشره فِي مجلة معين فِي عددها (٢٣١ يوليو ٢٠٠٠م) حيث قال بالحرف الواحد: أما بالنسبة للأدلة على أن الشيخ مقبلًا وأتباعه فقط دون غيرهم يشجعون العلمانية من حيث لا يدرون ويجذرونَها فِي المجتمع المسلم، فهي على النحو الآتي:

١- تَهرب الشيخ مقبل وأتباعه من السياسة والحكم أو ذكرهما حتَّى من بعيد... إلخ!

الشبهة العاشرة:

قولهم بأن دعوة أهل السنة لا تخرج عن حيِّز المساجد

اعلم أخي القارئ: أن المساجد الَّتِي هي بيوت الله لَهَا من المكانة والحرمة ما ليس لغيرها، وقد أضافها الرب -جل فِي علاه- إلَى نفسه إضافة تشريف وإجلال فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

قال الشيخ السعدي: "﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: يدخل فِي ذلك الصلاة كلها فَرْضُهَا ونَفْلُهَا وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغير ذلك، من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه والمذاكرة فيها والاعتكاف وغير ذلك من العبادات الَّتِي تُفْعَلُ فِي المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لَهَا، وعمارة بذكر اسم الله من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين"[١].

قلت: تأمل أخي القارئ قول السعدي: "وتعلم العلم وتعليمه والمذاكرة

---

(١) "تيسير الكريم الرحمن" (٣/ ٤٠٣).

فيه» يتبين أن المساجد هي معاقل العلم الَّتِي تخرج منها الرجال الأفذاذ من العلماء الربانيين الذين نفع الله بِهم الأمة.

وقال الشيخ صالح الفوزان: «فقد كانت المساجد فِي العهد الأول مواطن العبادة ومعاهد العلم ومنطلق المجاهدين والرابطة القوية بين المؤمنين، كانت فِي غير أوقات الصلوات لا تخلو من المتعبدين والمعتكفين ولا من الدارسين المتفقهين»[١].

فنقول لهؤلاء المفترين: من أين تخرج أصحاب رَسُول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وغيرهم من صحابة رَسُول الله ﷺ؟ ألم يتلقوا العلم فِي مسجد رَسُول الله ﷺ؟

فَهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي يقول فيه ﷺ: «**معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة بِرَتْوَةٍ**»[٢]. أي: بخطوة.

ويقول فيه أيضًا ﷺ: «**أَعْلَمُ أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل**»[٣].

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حفظ مِن فِيْ الرسول ﷺ سبعين سورة فقد أخرج ابن سعد عن إبراهيم قال: قال عبدالله: «أخذت مِن فِيْ رَسُول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة»[٤].

---

(١) «الخطب المنبرية» (٢/ ٣٤٣).

(٢) أخرجها ابن سعد فِي «الطبقات» (٢/ ٣٤٧) وصححها الألباني فِي «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٢٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٣٤٢).

وثبت عند ابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رَسُول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**»[(١)].

وهذا أبوهريرة رضي الله عنه حافظ الصحابة كما صرح بذلك الحافظ بن حجر فِي تقريبه[(٢)].

فقد أخرج البخاري عنه رضي الله عنه أنه قال: "وإن أبا هريرة يلزم رَسُول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون"[(٣)].

وهكذا فِي عصر التابعين فمن بعدهم حَتَّى قال القائل:

إذا قيل: من فِي العلم سبعة أبحر ... روايتهم عن العلم ليست خارجه

فقل: هم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبوبكر سليمان خارجه

فهؤلاء الصحابة الكرام وغيرهم من أئمة السلف من أين تخرجوا؟ وما هي العلوم الَّتِي تلقوها حَتَّى سادوا العالم؟

أتراهم تخرجوا من معاقل الأندية الحزبية أم من المساجد الشرعية؟

أتراهم درسوا ما يسمى بعلم فقه الواقع والقواقع من الانشغال بالسياسات العالمية والنظر فِي المجلات والجرائد وما شابه ذلك من الأمور الَّتِي لا تمت للإسلام بصلة أم أنَّهم درسوا كتاب ربِّهم وأحاديث رَسُولهم

---

(١)سنن ابن ماجه المقدمة باب: فضل عبد الله بن مسعود (١/ ٤٩) وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤).

(٢)"تقريب التهذيب" (ص ١٢١٨) ت (٨٤٩٣).

(٣)البخاري، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم (١/ ٢١٣، ٢١٤).

ﷺ؟ إن الصحابة الكرام قد تلقوا العلوم النافعة ثُمَّ قاموا بعد ذلك بواجبهم من تعليم الناس ما ينفعهم، فَهذا معاذ بن جبل وأبوموسى رضي الله عنهما حيث بعثهما الرسول ﷺ إِلَى اليمن كي يعلما الناس التوحيد وفرائض الدين وهكذا حَتَّى انتشر الخير فِي أرجاء المعمورة، وهكذا سار العلماء من بعدهم يتلقون العلم من المشايخ فِي بيوت الله، فالناظر فِي تراجم هؤلاء الأعلام يرى أنَّهم رحلوا إِلَى كثير من البلدان لتلقي العلم فِي بيوت الله خصوصًا إِلَى الحرمين الشريفين، وهكذا اقتفى أثرهم علماء الدعوة السلفية فِي هذا العصر الحاضر حَتَّى انتشر العلم والخير فِي أقطار الدنيا والفضل فِي هذا لله وحده ثُمَّ لجهود علماء الدعوة السلفية ولنأخذ لذلك مثالاً حيًّا عندنا باليمن. فها هو الشيخ المحدث الوالد/ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله- قام بالدعوة فِي بلدته دماج صعدة قبل عشرين سنة وأخذت الدعوة تنتشر رويدًا رويدًا هنا وهناك حَتَّى توافد على الشيخ طلبة العلم من داخل اليمن وخارجه ونَهلوا من معينه الصافي النابع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حَتَّى استفادوا ورجعوا إِلَى أهاليهم وأقوامهم ينشرون ما تعلموه فنفع الله بِهم الأمة، والواقع أكبر برهان على ذلك[1].

وإنني أقول: إننا نعايش بفضل الله نَهضة علمية لا مثيل لَهَا فِي عصرنا الحاضر وذلك بتوفر الكتب النافعة الَّتِي كان يعجز الشخص فِي السابق عن الحصول عليها وهذا إن دل على شيء إنَّما يدل على اضمحلال هذه الفرية الجائرة، بينما نقول لهؤلاء المفترين أين هي دعوتكم للكتاب والسنة؟ فإننا لا

---

(١) انظر شيئًا من آثار دعوة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي فِي أثناء تعليقي على البركان، حاشية (ص ٥٤-٥٦).

نرى من آثارها شيئًا، ذلك أنَّها أصلاً لَم تقم لا فِي المساجد ولا فِي غيرها وإنَّما نرى ونلمس آثارًا لدعوتكم الحزبية من تدنيس لبيوت الله بنشر الباطل فيها من التحزبات المقيتة والدعوة إلَى الديمقراطية والانتخابات الطاغوتية، بل وصل الحال ببعض الحزبيين من الإخوان المسلمين عندنا باليمن إلَى إدخال جهاز الفيديو فِي المساجد من باب مشاهدة أشرطة إسلامية، زعموا، وما ذاك إلا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [مُحَمَّد: ٢٥]. فأين هي دعوتكم يا أيها المفترون؟!

وقد يقول متحذلقهم: إننا نقوم بتدريس وتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين.

فأقول: إن تدريسكم للقرآن ليس خالصًا حقيقة لله فِي الغالب، حسب الظاهر، وإنَّما هو لأهداف حزبية تستطيعون من خلال ذلك نشر أباطيلكم وخزعبلاتكم والله المستعان.

ولقد أحسن بعض مشايخنا حين قال عن هذه التحافيظ: ما هي إلا مصيدة للإخوان المسلمين يصيدون بِها أبناء المسلمين لحزبِهم وتنظيمهم، فاحذر أخي -رعاك الله- من الدراسة عند هؤلاء -أعني: أهل البدع- وإن كان قرآنًا؛ فإن السلف حذروا من ذلك أيما تحذير!

فَهذا مُحَمَّد بن سيرين دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر؛ نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، ثُمَّ قال: "تقومان عني وإلا قمت؟" فقام الرجلان فخرجا. فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرآ آية. قال: "إني كرهت أن يقرآ آية

فيحرفانها فيقر ذلك فِي قلبي»[(١)].

وهذا أبوقِلَابَة يقول لأيوب السختياني: «يا أيوب، احفظ عني أربعًا: لا تقل فِي القرآن برأيك وإياك والقدر وإذا ذُكِرَ أصحاب مُحَمَّد ﷺ فأمسك ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا»[(٢)].

وهذا ابن طاوس عندما جاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، فأدخل ابن طاوس أصبعيه فِي أذنيه، وقال لابنه: «أي بني، أدخل أصبعيك فِي أذنيك واشدد لا تسمع من كلامه شيئًا» قال معمر: يعني أن القلب ضعيف[(٣)].

وهذا مسلم بن يسار يقول: «لا تمكن صاحب بدعة من سمعك فيصب فيها ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك»[(٤)].

وهذا أيضًا سفيان الثوري يقول: «من سمع من مبتدع لَم ينفعه الله بِما سمع».

والآثار فِي هذا الأمر كثيرة ذكرنا بعضها حَتَّى نرى وندرك مدى حرص السلف على دينهم وقلوبِهم.

ثُمَّ إنني أقول: لو نظرنا إلَى أرض الحرمين وما حباها الله من خير عظيم

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» اللالكائي (١/ ١٣٣).

(٢) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٤٥).

(٣) المصنف للإمام عبدالرزاق (١١/ ١٢٥)، واللالكائي فِي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٥).

(٤) «الإبانة» لابن بطة العكبري (٢/ ٤٥٩).

الشبهة الحادية عشرة:

قولهم بأن أهل السنة: يتركون الأعداء ويشتغلون بالدعاة

مناقشة هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: قولهم: «بأن أهل السنة يتركون الأعداء».

الوجه الثاني: قولهم: «بأن أهل السنة ينشغلون بالدعاة».

أما ما يتعلق بالوجه الأول: وهو قولهم عن أهل السنة بأنَّهم يتركون الأعداء.

فأقول: هذا كلام ليس عليه ثمة دليل، فإن أهل السنة السلفيين منذ القدم وهم يدعون الناس للإسلام الصافي ويحذرون من الشرك والمشركين وهذا هو سبب التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

وهو أيضًا سبب لنُزول الرعب والخوف في قلوب أعداء الله، فقد ثبت في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث جابر بن عبدالله أن النَّبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لَم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر... الحديث»[1].

---

(١) البخاري، كتاب: التيمم، باب: حديث نزول آية التيمم، (١/ ٤٣٦) ومسلم: كتاب: المساجد=

من تواجد علماء السنة وانتشار كتب السنة حَتَّى كان ذلك مدعاة لتوافد طلبة العلم من أنحاء العالم يتلقون العلم فِي الحرمين الشريفين وفي جامعاتها الشرعية كالجامعة الإسلامية، ومعاهدها الَّتِي يقرر فيها مذهب السلف، لأثلج ذلك صدورنا وقرت أعيننا من انتشار الخير الصافي فِي أنحاء العالم بواسطة من يتخرجون من هذه الأماكن وينشرون العلم هنا وهناك.

قال شيخنا مُحَمَّد أمان الجامي فِي شريط "ليس من النصيحة فِي شيء":
"إن العقيدة الإسلامية بِهذه الكتب الَّتِي بين أيدينا انتشرت فِي العالم انتشارًا عظيمًا لا فِي الدول العربية فقط بل ولا فِي الدول الإسلامية فقط بل حَتَّى فِي أوربا وأمريكا منتشرة، لنا طلاب فِي تلك الديار يأتون فِي الحج زائرين ويتصلون بنا ويقدمون الأسئلة فيأخذون الأجوبة فينتشرون هناك فِي أوربا وأمريكا، طلابنا من الجامعة الإسلامية...".

قلت: وبذلك يظهر بحمد الله تَهافت هذه الشبهة ودحضها.



قال الحافظ ابن حجر: «"مسيرة شهر"، فالظاهر اختصاصه به مطلقًا وإنَّما جعل الغاية شهرًا؛ لأنه لَم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حَتَّى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال»(١).

وهكذا قلب الإنسان إذا امتلأ بالعلم والإيمان فإن صاحبه لا يخشى أحدًا إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

ثبت في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار، وقالها مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"(٢).

ومعلوم أن الله تعالى كاف عبده المؤمن الذي يسعى في رضوانه وتقاه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

= (١/ ٣٧٠-٣٧١).

(١) "فتح الباري" (١/ ٤٣٧).

(٢) البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ...﴾ (٨/ ٢٢٩).

قال ابن كثير: "يحرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين"[١].

وهذا الكلام من ابن كثير رحمه الله مصداق لقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فالعبرة بالكيف لا بالكم، فأهل السنة بدعوتهم للعقيدة الصحيحة والسنة النبوية المطهرة ومحاربتهم للشرك والبدع يبنون بذلك جيلاً عريقًا قويًا ذا دين متين يستطيع بإذن الله أن يَدُكَّ حصون الكفرة والملاحدة تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولما ثبت في مسلم من حديث عقبة بن عامر قال: سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[٢].

قال الشيخ السعدي: "﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. أي: ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مِمَّا يعين على قتالهم"[٣].

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٣٣٧).

(٢) مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي (٣/ ١٥٢٢).

(٣) "تيسير الكريم الرحمن" (٢/ ٢٠٢).

قلت: ومما يدخل فِي القوة: القوة الإيمانية، بل تعتبر من أهمها كيف لا، وهي السبب الحقيقي للنصر والتمكين.

قال الشيخ الفوزان: "فجهاد الكفار بالمال والسلاح، وجهاد المنافقين بالحجة والجدال"[١].

فحين أن كان الصحابة كلهم على عقيدة واحدة انتصروا وفتح الله على أيديهم المشارق والمغارب كما أخبر بذلك النَّبِي ﷺ حيث جاء فِي مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال: «**إن الله زوى لِي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربَها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لِي منها، وأعطيت الكنْزين: الأحمر، والأبيض**»[٢].

قال النووي: "أما زوى فمعناه جمع، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ"[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: "والأمة الإسلامية وصلت من المشرق إلَى السند والهند وما وراء ذلك ومن المغرب إلَى ما وراء المحيط"[٤].

ولكن حينما تُرِك التمسك بِجَادَّةِ الدين عند كثير بل أكثر الناس سيطر علينا الأعداء وأصابنا الذل، والله المستعان، مصداقًا لِما ثبت عند أبي داود من حديث ابن عمر أنه قال: سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**إذا**

---

(١) "الخطب المنبرية" (١/ ١٧٣).

(٢) مسلم، كتاب: الفتن، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥).

(٣) "شرح النووي على مسلم" (١٨/ ١٣).

(٤) "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" (١/ ٤٨٦).

تبايعتم بِالعِيْنَةِ وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاًّ لا ينْزعه حَتَّى ترجعوا إِلَى دينكم »[(١)].

وجاء فِي البخاري معلقًا بصيغة التمريض وعند أحمد موصولاً من حديث ابن عمر قال: قال رَسُول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بين يدي الساعة بالسيف حَتَّى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري »[(٢)].

إن أعداء الله لا يألون جهدًا فِي القضاء على الإسلام الصافي ودعاته المخلصين؛ لأنَّهم يعلمون مدى الخطورة عليهم فِي بقاء دعاة الحق والسنة، ففي بقائهم يحفظ -بإذن الله- هذا الدين ويظهر، وتدك حصونُهم وتبطل فأخذوا يحاولون بشتى الوسائل والقدرات على النيل من هذا الدين الحنيف، وما ذاك إلا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

فكان من مخططاتِهم اللعينة أن أدخلوا فِي صفوفنا أناسًا من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولكنهم يحملون أفكارهم، فأخذوا يبثون هذه الأفكار

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: البيوع والإجارات، باب: النهي عن العينة (٣/ ٧٤٠-٧٤١) وصححه الألباني فِي السلسلة الصحيحة (١/ ١٥).

(٢) البخاري، كتاب: الجهاد، باب: ما قيل فِي الرماح (٦/ ٩٨) وأحمد فِي المسند (٢/ ٥٠، ٩٢) وصححه الألباني فِي الإرواء (٥/ ١٠٩).

الشيطانية فِي صفوف المسلمين حَتَّى تأثر بِهم من تأثر من دعاتنا الأغرار ولا حول ولا قوة إلا بالله، نتيجة لقلة الباع عندهم فِي الناحية العلمية والمنهجية وغلبة العاطفة الهمجية، حَتَّى انطلى عليهم تلبيس أعداء الله، والله المستعان.

وما قصة عبدالله بن سبأ اليهودي عنا ببعيدة، حيث تظاهر بالإسلام والتشيع لآل البيت ثُمَّ أخذ ينشر أفكاره الخبيثة مِمَّا نتج عن ذلك الفتنة بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ الَّتِي انفتح بعدها كل بلاء وشر إلَى يومنا هذا.

وبذلك ينتفي اتِّهام المفترين من أن أهل السنة يتركون الأعداء، وهذا هو الوجه الأول.

أما الوجه الثاني: وهو قولهم: بأن أهل السنة ينشغلون بالدعاة، فأقول:

إن القول بأن أهل السنة ينشغلون بالدعاة هذا يعتبر منقبة لَهم؛ لأنَّهم ينطلقون من قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. ومن قاعدة التصفية فإنه معلوم لمن له أدنى معرفة أن ليس كل من دعا بدعوة واجتمع حوله من اجتمع من الناس فإن دعوته حينذاك تكون صحيحة لأن الأخذ بالكثرة ليس ميزانًا لمعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

فالرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله، ورضي الله عن عبدالله بن مسعود إذ يقول: "الجماعة ما وافق الحق

وإن كنت وحدك»[(١)].

لذا فإن أهل السنة يطهرون المجتمع من لوثات هؤلاء المندسين على الإسلام والمسلمين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، حَتَّى يصبح دين الله سليمًا قويمًا خالصًا مِمَّا علق به وشوه جماله، والله حسيبهم فِي ذلك.

ولذلك فإن السلف أدركوا خطر أهل البدع حَتَّى أُثِرَ من كلامهم ما يفيد بأن أهل البدع قد يكون خطرهم أكبر من الكفرة وما ذاك إلا لِمَا يتظاهرون به من نصرة للإسلام وغيرة عليه وفي ذلك يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين أي الخوارج، كالذين قاتلهم الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا مع أمر رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقتالهم فِي الأحاديث الصحيحة، وما روي من أنَّهم «**شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه**» فِي الحديث الذي رواه أبوأمامة، رواه الترمذي وغيره، أي أنَّهم شر على المسلمين من غيرهم فإنَّهم لَم يكن أحد شرًا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى، فإنَّهم كانوا مجتهدين فِي قتل كل مسلم لَم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لَهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة»[(٢)].

وقال أيضًا: «إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد

---

(١) سبق ذكر مصدره (ص٥٣) من هذا الكتاب.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٤٧، ٢٤٨).

استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»[1].

وقال الشيخ بكر أبوزيد: «مواجهة التصدع الداخلي فِي الأمة بفشو فرق وَنِحَلٍ طاف طائفها فِي أفئدة شباب الأمة... إذ التصدع الداخلي تحت لباس الدين يمثل انكسارًا فِي رأس المال: المسلمين، وقد كان للسالكين فِي ضوء الكتاب والسنة الطائفة المنصورة الحظ الوافر والمقام العظيم فِي جبر كسر المسلمين، بردهم إلَى الكتاب والسنة، وذلك بتحطيم ما قامت عليه تلك الفرق من مآخذ باطلة فِي ميزان الشرع»[2].اهـ

ومن أمثلة أولئك الذين يتظاهرون بنصرة الإسلام من أرض الكفر والإلحاد المدعو مُحَمَّد سرور بن زين العابدين فانظر إليه وهو يطعن فِي كتب العقيدة السلفية فِي كتابه المسمى بـ«منهج الأنبياء فِي الدعوة إلَى الله» وحُقَّ له أن يسمى بمنهج الخوارج فِي الدعوة إلَى الله، حيث قال: «نظرت فِي كتب العقيدة فرأيت أنَّها كتبت فِي غير عصرنا وكانت حلولاً لقضايا ومشكلات العصر الذي كتبت فيه، رغم أهميتها ورغم تشابه المشكلات أحيانًا، ولعصرنا مشكلاته الَّتِي تحتاج إلَى حلول جديدة ومن ثَمَّ فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف؛ لأنه نصوص وأحكام ولِهذا أعرض معظم الشباب عنها وزهد فيها»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٢).

(٢) «حكم الانتماء» (ص٥٤).

(٣) «منهج الأنبياء فِي الدعوة إلَى الله» (١/ ٨).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا غلط عظيم كلها جفاء، أعوذ بالله، كتب العقيدة الصحيحة ما هي بجفاء قال الله، قال رسوله، فإذا كان يصف القرآن والسنة بأنه جفاء هذا ردة عن الإسلام، نسأل الله العافية... هذه عبارة سقيمة خبيثة، ثُمَّ قال الشيخ: إن كان فِي هذا "أي الكتاب" لا يجوز بيعه يجب تمزيقه"[1].

وقال الشيخ الفوزان: "إن هناك أناسًا يزهدون فِي تدريس العقيدة ويزهدون فِي كتب السلف، ويزهدون فِي مؤلفات أئمة الإسلام، ويريدون أن يصرفوا الناس إلَى مؤلفاتِهم هم وأمثالهم من الجهال ومن دعاة الضلال، هذا القائل من دعاة الضلال، نسأل الله العافية فيجب علينا أن نحذر من كتابه هذا وأن نحذر منه، وأذكر لكم أن الشيخ مُحَمَّد أمان الجامي -وفقه الله-، قد أملى شريطًا كاملاً فِي الرد على هذه الكلمة، على كلمة كتب العقيدة نصوص وأحكام جافة كما يقول، رد عليه ردًّا بليغًا"[2].

وهكذا أيضًا ما ينشره من سموم البدعة فِي مجلته المسماة بـ "السنة" وحق لَهَا أن تسمى بالبدعة، فمن تلك السموم طعنه فِي علماء السنة فِي أرض الحرمين ونجد حيث قال فِي عددها الثالث والعشرين: "ولا ينقضي عجبي من الذين يتحدثون عن التوحيد وهم عبيد عبيد عبيد عبيد العبيد وسيدهم الأخير نصراني"[3].

---

(١) شريط "آفات اللسان".

(٢) شريط "أهمية التوحيد".

(٣) القطبية (ص٨٩).

وهكذا المسعري وقبله جمال الدين الأفغاني الماسوني وغيرهم مِمَّن نجح الأعداء فِي دسهم بين صفوف المسلمين لطعن الإسلام من ظهره.

المهم أن أعداء الله قد نجحوا فِي مخططاتِهم الأثيمة حَتَّى استطاعوا أن يزرعوا بذور الفرقة والاختلاف فِي صفوف المسلمين، فهاهم استطاعوا أن ينشروا الديمقراطية فِي بلادنا اليمن، بواسطة من كان يظن بِهم نصرة الإسلام والتصدي لأعداء الله، ألا وهم الإخوان المسلمون المتمثلون عندنا بحزب التجمع اليمني للإصلاح، فأخذوا يروجون للنظام الديمقراطي بكل ما أوتوا من قوة بل وصلت الجرأة بِهم إلَى أن ينسبوها للإسلام وأخذوا يلوون أعناق النصوص لذلك والله المستعان.

فاسمع أخي القارئ إلَى شريط عبدالمجيد الزنداني المسمى "الانتخابات وإرادة الأمة" وهو يحاول بكل طريقة لأن يجعل النظام الانتخابي الديمقراطي من الإسلام، فلما حصل منهم ذلك قامت إسرائيل بمدح حزب الإصلاح[1]. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وما ثبت فِي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حَتَّى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم**، قلنا: يا رَسُول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن**»[2].

---

(١) انظر (ص٩٤) من هذا الكتاب، ووثيقة ذلك موجودة فِي كتاب البركان (ص٢٠) من ملحق الوثائق.

(٢) سبق ذكر مصدره (ص١٤٩) من هذا الكتاب.

إنني أقول أيها القراء الكرام: أرأيتم لو كان السد الذي يجعل للماء الجاري ركيكًا وغير صلب أتراه يثبت لو طم وعم عليه السيل الغزير؟ أم أنه سيطغى عليه السيل، بخلاف ما إذا كان السد متينًا وصلبًا؟ كذلك يقال هنا. إذا كنا جميعًا على كلمة سواء من عقيدة ومنهج واحد وتمسكنا بالسنة الغراء واقتفينا أثر سلفنا الصالح فإننا حينئذ نستطيع أن نتغلب على أعدائنا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

أما أننا نهتم باللفلفة والتجميع من غير نظر إِلَى عقائد القوم ولا التصفية لَهم ونريد أن نواجه ونهزم الأعداء فَهذا لا ولن يكون أبدًا والواقع أكبر برهان على ذلك.

والناظر فِي أحوال المسلمين اليوم إلا ما رحم ربك، يتفطر القلب لأحوالهم، فَهذا صوفي وآخر قبوري خرافي وثالث حزبي هالك ورابع شيعي وخامس دنيوي وهكذا ولم ينج من هذا البلاء إلا طائفة وهم أهل السنة الذين تمسكوا بالكتاب والسنة، فهلَّا رجوعًا إِلَى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح حَتَّى نستحق الخيرية الَّتِي ذكرها الله بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فحينئذ يتم النصر والغلبة على الأعداء بإذن الله.

وبذلك تدحض هذه الشبهة، والحمد لله على توفيقه.



الشبهة الثانية عشرة:

رميهم أهل السنة بتكفيرهم للمسلمين

اعلم أخي القارئ -بارك الله فيك-:

أن التكفير مسألة خطيرة جدًّا لا ينبغي للشخص أن يتسرع بالحكم بِها على الناس، لذا فإن أهل السنة والجماعة السلفيين يسلكون فِي ذلك مسلك التفصيل، حسب ما كان عليه السلف بخلاف أهل البدع كالخوارج ومن كان على دربِهم من المراهقين السياسيين اليوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال الشافعي: لأن أتكلم فِي علم يقال فيه: أخطأت أحب إلي من أن أتكلم فِي علم يقال لِي فيه: كفرت، فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا ومن مَمَادِح أهل العلم أَنَّهم يخطئون ولا يكفرون"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: "أهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس"[(٢)].

لذا فإني ناقل كلامًا لبعض أعلام السنة يتبين من خلاله بطلان هذه الفرية.

---

(١) "منهاج السنة النبوية" (٥/ ٢٥١).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٥٨).

قال الإمام الطحاوي: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لَم يستحله»[(١)].

وقال ابن حزم الأندلسي: «صح أنه لا يكفر أحد حَتَّى يبلغه أمر النَّبِي ﷺ فإذا بلغه فلم يؤمن به فهو كافر... فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهدًا فيما لَم يتبين له وجه الحق فِي ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة...»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إني من أعظم الناس نَهيًا عن أن ينسب معين إلَى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية الَّتِي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ فِي المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية»[(٣)].

وقال أيضًا: «إن التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار، فَهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه... فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حَتَّى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إيْمانه بيقين لَم يزل ذلك عنه بالشك،

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٥٥).

(٢) «الفصل فِي الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٣٤-٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[١].

وقال ابن قيم الجوزية: الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لَهَا بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فَهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حَتَّى تقوم حجة الرسل»[٢].

وقال شيخنا مُحَمَّد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ: «وعلى كل حال فإن أهل العلم يفرقون بين التكفير العام وبين تكفير شخص معين، والتكفير العام يطلق فيقال: كل من ارتكب شيئًا من المكفرات كإنكار الصفات مثلاً فهو كافر، ويعتبر هذا قاعدة للتكفير، أما تكفير المعين فيختلف باختلاف أحوال الأشخاص وما يقوم بنفوسهم مِمَّا يستدل عليه بالقرائن والسياق، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا ضال كافرًا عند أهل السنة»[٣].

وأخيرًا: سئلت اللجنة الدائمة فقال السائل: «ما هو الكفر فِي الصفات وهل هناك فرق بين العالم المعاند والمتأول فِي ذلك؟».

الجواب:

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٤٩٨، ٥٠١).

(٢) طريق الهجرتين (٤١٢).

(٣)

أولاً: الكفر فِي صفات الله تعالى هو إنكار ما علم ثبوته منها بعد البلاغ أو الإلحاد فيه بتحريفه عن المقصود بدون شبهة يعذر بمثلها.

ثانيًا: من خالف فِي ذلك متأولاً لشبهة يعذر بمثلها فهو مخطئ معذور ويؤجر على اجتهاده»[١].

قلت: أبعد هذا التصريح بالتفصيل من هؤلاء النخبة من علماء السنة يصح نسبتهم إلَى التكفير المطلق؟ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

وحسبنا عند سماعنا لكلامهم المتقدم أن نقول ما قاله حافظ حكمي رحمه الله:

بل قولنا قول أئمة الهدى   طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

ثُمَّ اعلم أخي وفقني الله وإياك:

أن هذا الكلام منهم[٢]. مستند إلَى أدلة من كتاب الله ومن سنة رَسُول الله ﷺ وأقتصر هنا حَتَّى لا يطول بي الحديث على آية وحديث وفقهها من كلام أهل العلم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال ابن كثير: «إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد

---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» رقم (٩٢٧٢) (١/ ١٢٨).

(٢) من أهل السنة.

قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه»[١].

وقال السعدي: «والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدًا حَتَّى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثُمَّ يعاند الحجة، وأما من انقاد للحجة أو لَم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه»[٢].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «إن الله -جل وعلا- لا يعذب أحدًا من خلقه لا فِي الدنيا ولا فِي الآخرة حَتَّى يبعث إليه رسولاً ينذره ويحذره فيعصي ذلك الرسول»[٣].

وثبت فِي البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه قال سَمِعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله، إذا أنا مت فاجمعوا لِي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيها نارًا، حَتَّى إذا أكلت لحمي وخلصت إلَى عظمي، فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثُمَّ انظروا يومًا راحًا فاذروه فِي اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له: لَم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى وإنكار معاد الأبدان، وإن تفرقت كفر، لكنه مع

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ١٠٠).

(٣) «أضواء البيان» (٣/ ٤٧١).

(٤) البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٦/ ٤٩٤).

إيْمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك ضالًّا فِي هذا الظن مخطئًا، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح فِي أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى ذلك أن يكون شاكًّا فِي المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره. وهو بين فِي عدم إيْمانه بالله تعالى، ومن تأول قوله "لئن قدر الله علي" بِمعنَى قضى، أو بِمعنَى ضيق، فقد أبعد النُّجْعَةَ وحرف الكلم عن مواضعه، فإنه إنَّما أمر بتحريقه وتفريقه لئلا يجمع ويعاد، وقال: "إذا أنا مت فاحرقوني ثُمَّ اسحقوني ثُمَّ ذروني فِي الريح فِي البحر، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا" فذكر هذه الجملة الثانية بحرف الفاء عقيب الأولى يدل على أنه سبب لَهَا، وأنه فعل ذلك لئلاً يقدر الله عليه إذا فعل ذلك، فلو كان مُقِرًّا بقدرة الله عليه إذا فعل ذلك كقدرته عليه إذا لَم يفعل لَم يكن فِي ذلك فائدة له"(١).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: "فَهذا إنسان جهل إلَى أن مات أن الله عزَّ وجلَّ يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله، وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه، أن معنَى: "لئن قدر الله علي"، إنَّما هو: ضيق الله علي كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾. فَهذا تأويل باطل؛ لأنه كان يكون معناه حينئذ: لئن ضيق الله علي ليضيقن علي، وأيضًا لو كان هذا لَما كان لأمره بأن يحرق ويذر رماده معنَى ولا شك فِي أنه إنَّما أمر بذلك ليفلت من عذاب الله تعالى"(٢).

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٩، ٤١٠).

(٢) "الفصل فِي الملل" (٣/ ٢٥٢).

سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هذا السؤال:

من هم الذين يعذرون بالجهل وهل يعذر الإنسان بجهله فِي الأمور الفقهية أم فِي أمور العقيدة والتوحيد؟ وما هو واجب العلماء نحو هذا الأمر؟

الجواب: دعوى الجهل والعذر به فيه تفصيل وليس كل أحد يعذر بالجهل، فالأمور الَّتِي جاء بِها الإسلام وبيّنها الرسول ﷺ للناس وأوضحها كتاب الله وانتشرت بين المسلمين فإن دعوى الجهل بِها لا تُقْبَل ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة وأصل الدين، فإن الله عزَّ وجلَّ بعث نبيه ﷺ ليوضح للناس دينهم ويشرحه لَهم، وقد بلغ البلاغ المبين وأوضح للأمة حقيقة دينها وشرح لَهَا كل شيء وتركها على البيضاء ليلها كنهارها، وفي كتاب الله الهدى والنور، فإذا ادعى بعض الناس الجهل فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وقد انتشر بين المسلمين، كدعوى الجهل بالشرك وعبادة غير الله عزَّ وجلَّ أو دعوى الصلاة غير واجبة، أو أن صيام رمضان غير واجب أو الزكاة غير واجبة، أو أن الحج مع الاستطاعة غير واجب، هذا كله لا يقبل؛ لأن هذا أمر معلوم بين المسلمين وقد علم بالضرورة من دين الإسلام وقد انتشر بين المسلمين فلا تقبل الدعوى فِي ذلك... فالواجب على أهل العلم فِي جَميع البلاد الإسلامية وفي الأقليات الإسلامية وفي كل مكان أن يُعَلِّمُوا الناس توحيد الله وأن يُبَصِّرُوهم بِمعنَى عبادة الله وأن يحذروهم من الشرك بالله عزَّ وجلَّ الذي هو أعظم الذنوب وقد خلق الله الثقلين ليعبدوه وأمرهم بذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. وعبادته بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وإخلاص

العبادة له وتوجيه القلوب إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. أما المسائل الَّتِي قد تخفى مثل مسائل المعاملات وبعض شئون الصلاة وبعض شئون الصيام فقد يعذر فيها الجاهل... أما الأمور الأصولية وأصول العقيدة وأركان الإسلام والمحرمات الظاهرة فلا يقبل من أحد،... لكن لو كان فِي بعض البلاد البعيدة عن الإسلام أو فِي مجاهيل أفريقيا الَّتِي لا يوجد حولها مسلمون، قد يقبل منه دعوى الجهل وإذا مات على ذلك يكون أمره إلَى الله ويكون حكمه حكم أهل الفترة والصحيح أنَّهم يمتحنون يوم القيامة فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة وإن عصوا دخلوا النار، أما الذي بين المسلمين ويتعاطى أنواع الكفر بالله ويترك الواجبات المعلومة، فَهذا لا يعذر؛ لأن الأمر واضح والمسلمون بحمد الله موجودون يصلون ويصومون ويحجون ويعرفون أن الزنا حرام وأن الخمر حرام وأن العقوق حرام كل هذا معروف بين المسلمين وفاشٍ بينهم فدعوى الجهل دعوى باطلة والله المستعان»[(١)].

أقول: بِهذا البيان الساطع والبرهان الواضح تتهافت أمامه شبهة أعداء الدعوة السلفية من أنَّهم يُكَفِّرُونَ المسلمين بالإطلاق، وحقيقة القول إن هذا الوصف لا يعدو من أشرب فكره بمذهب الخوارج وقد تقدم معنا كلام فِي غاية الدناءة للمدعو/ مُحَمَّد سرور فِي تسميته لعلماء الدعوة السلفية بالعبيد، وكذلك تعظيمه لجريمة اللواط حَتَّى أوصلها إلَى درجة الكفر عياذًا بالله.

---

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (ص ٢٤٨، ٢٥١).

وهكذا شيخه فِي البدعة والضلالة وأخوه من الرضاعة [1] المسمى سيد قطب الذي شهد عليه أبناء جماعته وحزبه بفكره التكفيري للمجتمعات فضلاً عن بيان أهل السنة لذلك، فقد شحن كثيرًا من مؤلفاته بالتكفير فمن ذلك قوله: "وأخيرًا يدخل فِي إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات الَّتِي تزعم لنفسها أنَّها مسلمة" [2].

ويقول أيضًا: "وحين نستعرض وجه الأرض كله اليوم، على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام، لا نرى لِهذا الدين وجودًا..." [3].

وقال أيضًا: "لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلَى البشرية بـ"لا إله إلا الله". فقد ارتدت البشرية إلَى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن، لا إله إلا الله، دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية الَّتِي يدعيها العباد لأنفسهم وهي مرادف الألوهية... إلا أن البشرية عادت إلَى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لِهؤلاء العباد خصائص الألوهية ولم تَعُدْ توحد الله وتخلص له الولاء" [4].

ويقول أيضًا: "فأما اليوم فماذا؟ أين هو المجتمع المسلم الذي قرر أن

---

(١) ذلك أنَّهما رضعا من ثدي البدعة والضلالة فارتويا منه.

(٢) معالم فِي الطريق انظر كتاب "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره" لشيخنا ربيع المدخلي (ص ٧١).

(٣) "العدالة الاجتماعية" (١٨٣، ١٨٤).

(٤) "ظلال القرآن" (٢/ ١٠٥٧).

تكون دينونته لله وحده، والذي رفض بالفعل الدينونة لأحد من العبيد والذي قرر أن تكون شريعة الله شريعته والذي رفض بالفعل شريعة أي تشريع لا يجيء من هذا المصدر الشرعي الوحيد؟ لا أحد يملك أن يزعم أن هذا المجتمع المسلم قائم موجود"(١).

وقال أيضًا: "إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي"(٢).

قلت: وهكذا في غير ما موضع من كتاباته، وقد شهد على فكره التكفيري أحد ضلال(٣) الإخوان المسلمين وهو يوسف بن عبدالله القرضاوي حيث قال: "في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد(٤) سيد قطب الَّتِي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره والتي تنضح بتكفير المجتمع... ويتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير "ظلال القرآن" في طبعته الثانية، وفي "معالم في الطريق" ومعظمه مقتبس من الظلال وفي "الإسلام ومشكلات الحضارة" وغيرها..."(٥).

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٧٣٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢١٢٢).

(٣) انظر كتاب "إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبدالله القرضاوي" للشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي.

(٤) انظر في إبطال إطلاق كلمة شهيد على سَيِّدٍ رسالتي "فتح المتعال في كشف تلبيس صاحب المقال".

(٥) أولويات الحركة الإسلامية (ص١١٠).

قال شيخنا ربيع بن هادي المدخلي: "وبالجملة فَسَيِّدٌ سلك مسلكًا فِي تكفير الناس لا يُقِرُّهُ عليه عالم مسلم، يرسل الكلام على عواهنه فِي باب الحاكمية ويكفر عامة الناس بدون ذنب وبدون إقامة حجة وبدون تفصيلات العلماء فِي هذا الباب..."[1].

وهكذا غير هؤلاء مِمَّن تفقه على الصحف والمجلات وكتب الحركيين فإننا نراهم يتسابقون إلَى التكفير من غير ضوابطه المعلومة عند أهل العلم.

أما أهل السنة فكلامهم بحمد الله مدون مكتوب فِي القديم والحديث ومسموع فِي الحديث من خلال الأشرطة، فلن يستطيع أحد أن يثبت عنهم ولو حرفًا واحدًا يُشَمُّ منه رائحة التكفير.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية عند أن كان يناظر أهل الكلام قال لَهم: "لو كنت أنا مكانكم لحكمت على نفسي بالكفر ولكنكم جهال"[2].

ولقد أحسن ابن القيم حيث يقول فِي نونيته:

الكفر حق الله ثُمَّ رسوله ... بالنص يثبت لا بقول فلان

من كان رب العالمين وعبده ... قد كفراه فذاك ذو الكفران

أقول: إن الأمر واضح وبَيِّنٌ ولكنها قلوب مريضة أُشْرِبَت بالحقد، وأبصار عميت عن نور الحق بالهوى.

ولقد أحسن من قال:

---

(١) "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره" (ص ٧٤).

(٢) نقلاً عن كتاب "الصفات الإلهية" لشيخنا مُحَمَّد أمان (ص ٣٥٥).

إذا لَم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر
ومـن يتبـع لهـواه أعمـى بـصيـرة ومن كان أعمى بالدجى كيف يبصر

ولله در القائل أيضًا:

فـــدعني مـن بنيـات الطريـق فَهذا الحـــق ليس به خفاء

وقول القائل:

ويأبى الفتى إلا اتبـــاع الهوى ومـــنهج الحـــق لـه واضـح

والحمد لله على توفيقه.



الشبهة الثالثة عشرة:

رميهم أهل السنة بظاهرة الإرهاب

إن ظاهرة الإرهاب قد شغلت الشرق والغرب حَتَّى أصبحت عندهم شغلهم الشاغل الذي يسعون ليلاً ونَهارًا لمحاولة القضاء عليه أو على الأقل التقليل من حدته، ولكن أعداء الله ينظرون بمنظار العداء للإسلام فِي كيفية القضاء على هذه الظاهرة فأخذوا يحيكون العداء للإسلام ويعقدون المؤتمرات والندوات للطعن فِي الإسلام باسم الإرهاب، ولكن مِمَّا يزيد الطين بلة أن نرى تصرفات همجية من بعض الفصائل المحسوبة على الدعوة الإسلامية تحسب أنَّها بأعمالها التخريبية تحسن صنعًا وهي فِي الحقيقة تَهدم من حيث تزعم أنَّها تريد أن تبني. وتطعن فِي الإسلام من حيث إنَّها تدعي نصرته، فشوهت بذلك جمال الإسلام ومحاسنه، بل أصبحت يدًا فِي محاربة الإسلام الصافي سواء أشعرت بذلك أم لَم تشعر، فطعن أعداء الإسلام فيه بسبب أعمالهم الغوغائية الَّتِي لَم تقم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتتمثل هذه الفصائل بالحركات الإسلامية المعروفة بالفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، كفرقة التكفير والهجرة وفرقة الجهاديين وفرقة الإخوان المسلمين والسروريين وغيرها من فرق البدعة والضلال.

وحقيقة القول فيها أنَّها ليست وليدة العصر الحديث بل تعتبر من مخلفات الفرق الَّتِي ظهرت فِي صدر الإسلام ونخرت فيه كالخوارج والمعتزلة

وما شاكلهما من فرق الضلالة والبدعة، فتلبست لباس الدعوة إِلَى الله وهي ليست من فرسان هذا الميدان العظيم، ذلك أَنَّها تَنَكَّبَتْ طريق السلف الصالح فِي تلقي منهاجها من الكتاب والسنة الصحيحة فضلت وأضلت كثيرًا مِمَّا أدى إِلَى ما لا يحمد عقباه من أنواع التخريبات والاغتيالات والتفجيرات والمظاهرات والانقلابات على الحكومات الإسلامية الواقعة فِي بعض المخالفات الشرعية، وكل ذلك باسم الدين والغيرة عليه وباسم الدعوة إِلَى الله -زعموا- والإسلام بريء من هذه الأعمال كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام فكان هذا الإرهاب الحسي منهم نتيجة حتمية للإرهاب الفكري سواء بسواء. فليحذر كل من تراوده نفسه فِي الانضمام والانخراط فِي إحدى تلك الفرق من سوء العاقبة وعليه بالرجوع إِلَى أهل العلم والإيمان من أهل السنة السلفيين حَتَّى يوقفوه على معالم دينه، ومن أمثلة الإرهاب ما قام به بعض طوائف أهل البدع وهم المعروفون بجماعة الحرم بقيادة جهيمان.

قال الشيخ زيد بن مُحَمَّد بن هادي المدخلي حفظه الله: "وما الحركة الإرهابية المشئومة الَّتِي قامت بِها عصابة شر غالية متطرفة أصحاب منامات سخيفات وأماني كاذبات إلا صورة واضحة من صور الإرهاب الذي حاق بأهله سوء العذاب، وكان من خبر هذه الزمرة أَنَّهم دخلوا البيت الحرام يوم الثلاثاء أول يوم من شهر الله المحرم عام (١٤٠٠هـ) ومعهم مهديهم المدعو: مُحَمَّد بن عبدالله القحطاني يرافقه ويشجعه وينطق بلسانه: جهيمان ابن سيف العتيبي، ومعهم أسلحة وذخيرة فطالبوا المسلمين بمبايعة المهدي المزعوم تحت وطأة الضغط والقتل والترويع للمسلمين عمومًا ولأهل الحرم خصوصًا، ويا لله كم سفكوا من الدماء ظلمًا وعدوانًا، وناداهم العلماء لينْزلوا

على حكم شريعة الله فيهم، فأبوا إلا مواصلة السير فِي الشر والفساد والفسوق والعصيان...»[١].

قلت: ثُمَّ قيض الله من الرجال الأبطال من يتصدى لَهم بالقوة حَتَّى أراح الله الإسلام والمسلمين من شرهم، والحمد لله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وكذلك من صور الإرهاب ما حدث فِي الجزائر من مذابح دموية للإخوة السلفيين هناك ولكل من له علاقة بالحكومة، بل من كل من أظهر ذنبًا لا يصل إلَى حد الكفر، مِمَّن كل هذا؟ من أناس يتزيون بزي الإسلام -زعموا- ولكنهم تشبعوا بفكر الخوارج والإرهاب فِي قلوبِهم حَتَّى أظهروه فِي واقعهم ويتمثل ذلك فِي كل من الجماعة الإسلامية المسلحة وجبهة الإنقاذ هناك الَّتِي يرأسها المدعو/علي بن حاج، فقد صرح هذا القائد بأنه لا فرق بين كلا الجماعتين قائلاً: "... ولم أفرق بين الجماعة المسلحة ولا جيش الإنقاذ، لأن النظام الكافر وقوة المكر فِي الخارج تريد أن تفرق بين الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ وهذا قمة المكر»[٢].

قال الشيخ عبدالمالك الرمضاني: "ويأتيك الآن تصريحه (ابن حاج) المفصل الذي يدلك على أن علي بن حاج وراء الكثير من عمليات التحريق للمؤسسات العلمية والشركات التجارية والوزارات والنكسات الاقتصادية

---

(١) "الإرهاب وأثره على الفرد والمجتمع" (ص ١٥-١٦).

(٢) "مدارك النظر فِي السياسية" لعبدالمالك الجزائري (ص ٣٥٩-٣٦٠).

والاغتيالات للأجانب وغيرهم... قال فِي هذه الرسالة فِي ق (٣) "والنظام الكافر فِي الجزائر أقسى الضربات عليه هي ضرب القوات الأمنية كسلطة لا كأشخاص وكذا عملاء بغ... -كلمة ممسوحة من الأصل- التثبت الشرعي! وضرب الأجانب خاصة من فرنسا وضرب الاقتصاد وضرب السياحة، هذه مقاتل النظام وهنا تقع النكاية، ولا شك أن المسلمين يضربون هذه الأهداف وفي ذهنهم التخطيط للإعمار والبناء إذا انتصروا! وليس هذا من التخريب!"[١] .اهـ

ومن صور الإرهاب ما حدث عندنا -باليمن- من حصول الاختطاف للأجانب السُّيَّاح وقتل بعضهم كما حصل من أبي الحسن المصري المحضار ومجموعة معه بتخطيط من رئيسهم المدعو/ أبي حمزة المصري المستوطن فِي بريطانيا، بل إن المحرك الرئيسي لكل هؤلاء وغيرهم من جماعة الجهاد هو أسامة بن لادن الذي ملأ الدنيا بالأسلحة بواسطة أمواله الطائلة، ومعلوم أن من يدخل البلاد الإسلامية من السُّيَّاح يكون قد أعطي الأمان من الدولة وعليه فلا يجوز الاغتيال والاختطاف لَهم أو ضربُهم وما شابه ذلك من أنواع الاعتداء وكذلك الشأن مع المُعَاهَد والذمي، لأن أنفس هؤلاء مع أنَّها كافرة، ولكنهم ليسوا محاربين؛ أصبحت محرمة لِما ثبت فِي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قيل: يا رَسُول الله، وما هُنَّ؟ قال -وذكر منها-: **وقتل النفس الَّتِي حرم الله إلا بالحق**»[٢].

---

(١) "مدارك النظر" (ص ٣٦٠).

(٢) البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ...﴾ (٥/٣٩٣) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (١/٩٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والنفس المحرمة أربعة أنفس هي: نفس المؤمن، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، فالمؤمن لإيمانه والذمي لذمته، والمعاهد لعهده، والمستأمن لتأمينه،... الذمي هو الذي بيننا وبينه ذمة أي عهد على أن يقيم فِي بلادنا وأن نحميه مع بذل الجزية، وأما المعاهد فيقيم فِي بلاده لكن بيننا وبينه عهد أن لا يحاربنا وأن لا نحاربه، وأما المستأمن -بكسر الميم- طالب الأمان فهو الذي ليس بيننا وبينه عهد، لكننا أمناه فِي وقت محدود كرجل حربي دخل إلينا بأمان للتجارة أو ليفهم الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1] .اهـ

بل قد ورد النص الصريح بتحريم قتل المعاهد، فقد ثبت عند البخاري من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قتل معاهَدًا لَم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[2].

وثبت عند أبي داود من حديث أبي بكرة قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قتل معاهدًا فِي غير كنهه حرم الله عليه الجنة**»[3].

وثبت عند النسائي من حديث رجل من أصحاب النَّبِي صلى الله عليه وسلم أن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لَم يجد ريح الجنة وإن**

---

(١) القول المفيد (٢/ ١٥).

(٢) البخاري، كتاب: الجزية باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم (٦/ ٢٦٩، ٢٧٠).

(٣) سنن أبي داود، كتاب: الجهاد، باب: فِي الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته (٣/ ١٩١) وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (٢/ ١١٠٢).

ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»[(١)].

وغيرها من النصوص الَّتِي تبين الوعيد الشديد فِي قتل هذه الأنفس الأربع المحرمة إلا بالحق، مِمَّا يوجب القتل مثل الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة.

ومن صور الإرهاب ما قام به المدعو/ أبوعبدالرحمن الجزائري مِن قَتْلِ ستة من رجال الأمن فِي محافظة لحج -اليمن- تقربًا إِلَى الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا ما حصل من انتهاك لبيت من بيوت الله فِي مدينة تعز من قبل قوات الأمن هناك بتحريض من الإصلاحيين "الإخوان المسلمين" حَتَّى أسفر الحادث عن مقتل شخص وإصابة عدد من الجرحى[(٢)]. وكذلك ما حصل من تفجير فِي صرح مسجد الخير الكائن فِي مدينة صنعاء بير عبيد، بعد صلاة الجمعة حَتَّى أسفر التفجير عن مقتل عدد من المصلين وجرح كثير منهم، وكذلك ما حصل لأخينا الشيخ مُحَمَّد بن عبدالله المطري رَحِمَهُ اللهُ القائم على مركز السَّوَّادِيَّة لواء البيضاء حيث اعتدى عليه شخص مجرم حاقد فِي العشر الأواخر من شهر رمضان لعام ١٤٢٠هـ بعد انقضاء صلاة الظهر فِي المسجد، وَصَوَّبَ هذا المجرم عليه آلِيَّه وأطلق عليه عددًا من الرصاص حَتَّى أرداه قتيلاً ثُمَّ قَتَل بعد ذلك نفسه.

---

(١) سنن النسائي كتاب: القسامة، باب: تعظيم قتل المعاهد (٨/ ٢٥) وصححه الألباني كما فِي غاية المرام (ص ٢٦٠).

(٢) وثيقة ذلك موجودة فِي كتاب "الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية" (ص ٢٦٨، ٢٦٩).

وما حدث أيضًا فِي الحديدة من اعتداء عدد من الإخوان المسلمين "الإصلاحيين" على بعض إخواننا السلفيين وضربهم بأسلاك الكهرباء فِي أحد المساجد[١] هناك، وكذلك ما حدث من تفجير شنيع بجوار مسجد الرحمن بعدن عند إلقاء الشيخ مقبل محاضرة هناك، وما حدث مؤخرًا من إرهاب شنيع من قبل الإخوان المسلمين "الإصلاحيين" فِي مسجد المدينة السكنية "الحضرية" بسعوان حيث تجمع عدد هائل من الإخوان المسلمين فِي يوم الخميس الموافق ٢٦ ربيع الأول لعام ١٤٢١هـ بعد صلاة المغرب بِما يقرب من مائتي شخص وتكالبوا على ضرب أربعة من الإخوة السلفيين[٢] وما حدث ويحدث من منع السلفيين من إقامة الدروس العلمية من قبل الإخوان المسلمين وغيرهم بل يصل الحال بِهم إلَى التشويه والتحذير والله المستعان، كل ذلك ما هو إلا صور من صور الإرهاب الحسي الناتج عن الإرهاب الفكري.

وأيضًا لا ننسى ما حدث فِي ولاية كُنَرَ بأفغانستان الَّتِي أقام دعائمها على التوحيد الشيخ جميل الرحمن رحمه الله فما كان من أعداء الدعوة هناك المتمثلين بالأحزاب السبعة إلا أن تكالبوا عليها وأبادوها ونتج عن ذلك مقتل الشيخ جميل الرحمن.

---

(١) واسم المسجد، مسجد سعد بن أبي وقاص، الكائن فِي حارة الخليل، الحديدة، وخلاصة الحادث أن الإخوان المسلمين (الإصلاحيين) جلبوا معهم من قطاع الصلاة لإعانتهم على الإخوة السلفيين وكان عدد الإخوة السلفيين خمسة عشر رجلاً بينما الإصلاحيون ومن معهم يزيدون على هذا العدد أضعافًا مضاعفة، فإلى الله المشتكى.

(٢) انظر وقائع هذه الحادثة فِي جريدة الشموع السبت ٢٨ ربيع الأول عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٧/١م العدد (٨١) السنة الخامسة (ص ٤-٥) تحت عنوان: الفتنة نائمة.

ومن صور الإرهاب ما تقوم به تلك الفئة الضالة (الخوارج) مؤخرا في السعودية من تخريب وترويع للآمنين ومضاهرات وتفجيرات ونحو ذلك من الأمور التي ينهى عنه شرعًا والله المستعان، وهكذا صور الإرهاب فِي العالم أكثر من أن تحصر فخلاصة القول فِي ذلك أن يقال:

إن الإرهاب حقيقة يمارسه أهل البدع على مختلف أصنافهم، ذلك أن الإرهاب الحسي لا يكون إلا نتيجة للإرهاب الفكري، أما أهل السنة السلفيون فها هي دعوتُهم منذ عصر النبوة إلَى يومنا هذا قائمة وظاهرة لا يستطيع أحد أن يذكر حالة واحدة من حالات الإرهاب عندهم، وما ذاك إلا لأن منطلقهم هو الكتاب والسنة اللذان يحذران من الفتن، فقد ثبت عند أبي داود من حديث المقداد بن الأسود قال: سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فَوَاهًا**»(١).

فلو نظرنا إلَى عصرنا الحاضر وما يقوم به علماء السنة السلفيون من نشر لدين الله وتحذير من الشرك والبدع وتعليم الناس أحكام دينهم لكان ذلك أكبر برهان على ما ذكرت، فها هم علماء السنة من هيئة كبار العلماء وغيرهم فِي أرض الحرمين ونجد "السعودية" يقومون خير قيام بالواجب المناط بِهم فانتشر الخير وعم داخل السعودية وخارجها من غير إثارة فتن وانقلابات ومظاهرات وما شابه ذلك من أساليب الكفرة.

---

(١) سنن أبي داود كتاب: الفتن والملاحم، باب: فِي النهي عن السعي فِي الفتن (٤/ ٤٦٠) وصححه الألباني رحمه الله كما فِي صحيح الجامع (١/ ٣٣٧).

وها هو الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله من كل سوء ومكروه- ومن معه من علماء السنة فِي اليمن قائمون بنشر السنة المطهرة حَتَّى علم الناس الحق وناصروه فامتحى الشرك فِي كثير من الأماكن وأميتت البدع فِي أكثر المناطق وتعلم كثير من الناس السنة وعضوا عليها بالنواجذ وميزوا السنة من البدعة والحزبي من السني من غير إثارة فوضى واغتيالات ومظاهرات، وكذا الشيخ الألباني رحمه الله كم نفع الله به فِي أنحاء العالم من تحقيقاته ومؤلفاته النافعة الَّتِي طارت فِي أرجاء المعمورة فما من مكتبة علمية لأدنى طالب علم بل حَتَّى ولغيرهم من بعض العوام إلا وتوجد فيها بعض مؤلفات الشيخ الألباني، وهكذا انتشر خيره وعم من غير مظاهرات وانقلابات وما شابه ذلك من أسباب الفتن، وهكذا غيرهم من علماء السنة وطلبة العلم السلفيين فِي أنحاء العالم يدعون إلَى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بعيدين كل البعد عما يفسد أكثر مِمَّا يصلح ويهدم ولا يبني، والسبب فِي ذلك كما ذكر هو تمسكهم بكتاب ربِّهم وسنة نبيهم على منهج السلف الصالح.

لذا كانت آثارهم ظاهرة ومناراتُهم سامية عالية ونورهم ساطع بنور الوحي فِي أقطار الأرض ينشرون العلم فِي أوساط المجتمعات ويحثونَهم على العمل ولسان حالهم يقول:

بكى صاحبي لِما رأى الدرب دونه ... وأيقين أنا لاحقين بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنَّما ... نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

أما إن قصدتم برميكم للسلفيين بالإرهاب: لأنَّهم يدعون للتوحيد ويحاربون الشرك ويغيرونه بالوسائل الشرعية ويحاربون البدع والخرافات،

فمن باب أولى وأولى أن تصموا الأنبياء والرسل بالإرهاب لأن أساس دعوتهم لا تخرج عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والكلام في هذا معلوم، ولكن ماذا نقول عن أناس مرضى القلوب يسمون هدم المشاهد الَّتِي على القبور أمورًا هامشية، فقد صرحت بذلك صحيفة الصحوة الناطقة بلسان حزب الإصلاح فِي عددها (٤٣٢) الخميس الموافق ٨/ ٩/ ١٩٩٤م بذلك بعد أن قام بعض الإخوة السلفيين فِي عدن بهدم المشاهد الَّتِي كانت على بعض القبور هناك فقد جاء فيها: "إن التجمع اليمني للإصلاح يستنكر ويدين بشدة هذه الممارسات البعيدة عن جوهر الدين وقيم الإسلام، والتي لا هدف لَهَا سوى إثارة الفتن وشغل الناس والمجتمع بقضايا هامشية..."[(١)].

فانظر أخي القارئ كيف ينطق الشيطان على لسان هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم سيقودون المجتمع ويعيدون للأمة مجدها، اللهم رحماك.

وبعد هذا البيان تتبرأ ساحة أهل السنة السلفيين من هذه التهمة الأثيمة ولمزيد من التفصيل حول هذه الكلمة وما ترمي إليه انظر كتاب الشيخ الفاضل: زيد بن مُحَمَّد بن هادي المدخلي المسمى "الإرهاب وأثره على الفرد والمجتمع" فقد أفاد فيه وأجاد فجزاه الله خيرًا.



(١) وثيقة ذلك فِي كتاب "الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية" (ص ٢٦٦).

الشبهة الرابعة عشرة:

رميهم أهل السنة بعدم الإنصاف والعدل

إن من ينعق بهذه التهمة ضد أهل السنة السلفيين لا يريد من ورائها سوى الدفاع عن أهل البدع والأهواء من رافضية وصوفية قبورية وحزبية مقيتة وغيرها وإلا لِم لَم يستعملوا هذا المبدأ[1] مع أهل السنة يوم أن كنا نسمع التهم المتوالية ضدهم من أنَّهم مخابرات وعملاء وتارة لا يفقهون الواقع وأخرى يكتبون التقارير ومرجفون فِي المدينة وعبيد وأصحاب الحواشي وعلماء محنطون يعيشون فِي غير عصورهم وما شابه ذلك من الطعونات، نسمعها ونقرأ فِي مؤلفات وأشرطة هؤلاء الأحداث "أهل البدع" فالله تعالى يرفع من شأن العلماء "السنة" وهؤلاء يقللون من أهميتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وممن تولى كبر هذه الدعوى أحمد بن عبدالرحمن الصويان فِي كتابه "منهج أهل السنة والجماعة فِي تقويم الرجال ومؤلفاتِهم" وهشام بن إسماعيل الصيني فِي رسالته "منهج أهل السنة والجماعة فِي النقد والحكم على الآخرين" وسلمان العودة فِي كتابه الذي كان شريطًا "أخلاق الداعية" وزيد الزيد فِي رسالته "ضوابط رئيسية فِي تقويم الجماعات الإسلامية" وعقيل المقطري فِي

(١) العدل والإنصاف.

"قواعد الاعتدال لمن أراد تقويم الجماعات والرجال" وعبدالرحمن عبدالخالق فِي كتابه "الرد الوجيز" الذي قام بتفنيده شيخنا ربيع المدخلي، وغيرها، كلهم يميعون قضية الجرح فِي أهل البدع ويجعلون الخلاف بين الجماعات "الفرق" من قبيل التنوع لا التضاد ويلزمون من ينتقد أهل البدع ويبين ما هم عليه من ضلال أن يذكر حسناتِهم وأن من لَم يقم بذلك يعد ظالمًا متعديًا، وأخذوا يستدلون بِمتشابه القول ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، مصداقًا لِما رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾. الآية.

قالت: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»(١). لفظ مسلم.

وكأني بِهم لَم يفرقوا بين ما يكون فِي مقام الترجمة للمترجم له فيذكر ما له وما عليه وبين ما يكون فِي مقام النقد والبيان فلا يلزم ذكر ما له من حسنات حَتَّى لا يستهان ببدعته، وكلا الأمرين جاء عن السلف، فانظر مثلاً إِلَى عمل الإمام الذهبي رحمه الله فِي كل من كتابه "السير" وكتابه "الكاشف"، ففي السير يذكر ما للمترجم وما عليه لأن المقام مقام ترجمة وأما فِي كتابه "الكاشف" فلا يذكر الراوي إلا بالنقد.

---

(١) البخاري، كتاب: التفسير آل عمران، باب: منه آيات محكمات (٨/ ٢٠٩) ومسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/ ٢٠٥٣).

لذا قال رافع بن أشرس رحمه الله: «كان يقال: من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه، وأنا أقول: من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه»[(١)].

فَهذا نص من هذا الإمام فِي محل النِّزاع، وعلى هذا جرى العلماء قاطبة فِي القديم والحديث، وقد انبرى شيخنا الفاضل الذي جعله الله شوكة فِي حلوق المبتدعة فِي هذا الزمان ألا وهو الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- للرد على هؤلاء فِي كتابين له الكتاب الأول: «منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف» والكتاب الثاني: «المحجة البيضاء فِي حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء».

أبان فيهما -وفقه الله- بطلان هذا المبدأ وخطورته فجزاه الله خيرًا على هذا الدفاع والبيان فأغناني عن تكلف الرد على هذه الفرية.

وقد جاء كلام أهل العلم فِي هذا العصر موافقًا تمامًا لِما سطره الشيخ/ ربيع، فمن ذلك:

أن سئل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله فقال السائل: فيه أناس يوجبون الموازنة: أنك إذا انتقدت مبتدعًا ببدعته لتحذر الناس منه يجب أن تذكر حسناته حَتَّى لا تظلمه؟

فأجاب الشيخ رحمه الله: «لا، ما هو بلازم ما هو بلازم، ولِهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت المراد التحذير اقرأ فِي كتب البخاري «خلق أفعال العباد» فِي كتاب الأدب فِي الصحيح، كتاب السنة لعبدالله بن أحمد،

---

(١) «شرح علل الترمذي» لابن رجب (١/ ٣٥٣).

الشبهة الخامسة عشرة:

رميهم أهل السنة بالجفاء وضعف التعبد

باديء ذي بدء نقول لمن يرمي السلفيين بِهذه التهمة الجائرة ما قاله تبارك وتعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

فهل اطلعتم على ما يقوم به أهل السنة من عبادات؟

ثُمَّ ما الحامل لكم على طعنكم عليهم بِهذا الجفاء؟

أَلِأَنَّهُم يشتغلون بكتاب الله قراءة وإقراءً، وتفسيرًا وعملاً وبسنة رَسُول الله ﷺ اعتناءً وتحقيقًا ونشرًا؟

أم لأنَّهم يُحَذِّرُونَ من الشر بمختلف أنواعه من شرك وبدعة ومعصية؟

نبئونا بعلم أيها المفترون، وعلى كلا الأمرين فهم كذلك.

إن هذه التهمة تصدر مِمَّن لَم يعرف حقيقة أهل السنة وما هم عليه من صدق التمسك بالسنة الغراء فحرموها واشتغلوا بغيرها من المنامات والهواجس والأذكار المبتدعة وبقراءة الصحف والمجلات وشغل أغلب الوقت بِهذه التُّرَهَات لذلك لَم يعرفوا قدر هذه النعمة الَّتِي عليها أهل السنة ويصدق عليهم قول من قال: "رمتني بدائها وانسلت" فانظر مثلاً إِلَى مُحَمَّد سرور كيف يطعن فِي كتب العقيدة ويقول عنها بأن فيها كثيرًا من الجفاف، ثُمَّ يبرر هذه التهمة بقوله لأنَّها نصوص وأحكام، ويأتي سلمان

العودة مؤازرًا لأستاذه سرور قائلاً عن أهل الحديث: "قد يصحب ذلك شيء من الجفاء أو ضعف التعبد".

قال شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-: معلقًا على كلام سلمان: "فهل تجد فِي الدنيا مثل الشيخ ابن باز والعثيمين والشيخ عبدالعزيز السلمان والفوزان وحمود التويجري والغديان وعبدالرزاق عفيفي، وآل الشيخ، وكثير وكثير من علماء هذا البلد وطلاب العلم منهم هل تجد مثلهم فِي الأخلاق والعقيدة والبذل فِي سبيل الله؟ لتأتينا الطوائف والأحزاب بأمثالهم، ولتأتينا بأمثال الشيخ الألباني وتلاميذه علمًا بالسنة وجهادًا فِي سبيل التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، ثُمَّ كيف ترميهم بضعف التعبد؟ فهل تريد منهم أن يعلنوا عن أنفسهم أنَّهم عباد؟ أتظن بِهم أن نصوص القرآن والسنة لا تحركهم إِلَى العبادة والتعبد إذا كانت خرافات ومنامات الصوفية تحرك غيرهم للعبادة؟

وأليس تعلم أن طلب العلم خصوصًا علم الكتاب والسنة أفضل أنواع العبادة[1]، وكذلك نشر العلم الصحيح عقيدة وشريعة عن طريق التدريس والدعوة ونشر الكتب من أفضل أنواع العبادات"[2].

---

(١) عقد ابن عبدالبر فِي كتابه "جامع بيان العلم وفضله" بابًا فِي ذلك، باب: تفضيل العلم على العبادة، أورد جملة أحاديث فِي بيان ذلك منها حديث حذيفة بن اليمان أن رَسُول الله ﷺ قال: «**فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع**» رواه البزار وصححه الألباني فِي صحيح الترغيب (١/١٠٣) وجاء عن المعافى بن عمران أن رجلاً سأله فقال يا أبا عمران: أيما أحب إليك أقوم الليل كله أو أكتب الحديث. فقال: حديث تكتبه أحب إلي من قيامك من أول الليل إِلَى آخره. "جامع بيان العلم وفضله" (١/٢٣-٢٤).

(٢) "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية" لشيخنا ربيع المدخلي (ص ٦٢-٦٣).

والناظر بإنصاف إلَى أحوال السلف الصالح من لدن الصحابة الكرام فمن بعدهم يرى أنَّهم مع علمهم وفضلهم أصحاب زهد وورع وعبادة ولو استعرضنا ما فِي التقريب لابن حجر من ذلك لطال بنا الحديث فمن ذلك على سبيل المثال:

آدم بن أبي إياس عبدالرحمن العسقلاني قال فيه الحافظ: "ثقة عابد"[(١)].

وثابت بن أَسْلَمَ البناني قال فيه أيضًا: "ثقة عابد"[(٢)].

وقال الحافظ فِي شعبة بن الحجاج العتكي: "ثقة حافظ متقن وكان عابدًا"[(٣)].

وغيرهم كثير وكثير فأين أنتم من تعبد وزهد السلف؟

فإن حالكم لا يبعد عن شأن الحارث المحاسبي ومن كان على شاكلته حيث استمع لكلامه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حَتَّى بكى من موعظته ثُمَّ حذر منه وما ذاك إلا لأنَّها على غير السنة.

فعن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: "قال لِي أحمد بن حنبل يومًا، يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي، يكثر السكون [(٤)] عندك، فلو أحضرته منْزلك وأجلستني من حيث لا يراني، فأسمع كلامه فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبدالله وسرني فِي هذا الابتداء من أبي عبدالله، فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة، فقلت: وتسأل أصحابك

(١) تقريب التهذيب (ص ١٠٢).

(٢) المصدر السابق (ص ١٨٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٤٣٦).

(٤) الخضوع: انظر مختار الصحاح للرازي (ص ٢٤٥).

أن يحضروا معك، فقال: يا إسماعيل، فيهم كثرة، فلا تزدهم على الكسب[(١)] والتمر، وأكثر منهما ما استطعت، ففعلت ما أمرني به وانصرفت إِلَى أبي عبدالله فأخبرته فحضر بعد المغرب، وصعد غرفة فِي الدار فاجتهد فِي ورده إِلَى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا ثُمَّ قاموا لصلاة العتمة، ولم يصلوا بعدها، وقعدوا بين يدي الحارث، وهم سكون لا ينطق واحد منهم إِلَى قريب من نصف الليل، فابتدأ وسأل الحارث عن مسألة فأخذ فِي الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رءوسهم الطير فمنهم من يبكي، ومنهم من يزعق، وهو فِي كلامه، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبدالله فوجدته قد بكى حَتَّى غشي عليه، فانصرفت إليه، ولم تزل تلك حالهم حَتَّى أصبحوا، فقاموا وتفرقوا فصعدت إِلَى أبي عبدالله وهو متغير الحال، فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبدالله؟ فقال: "ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سَمِعتُ فِي علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم، ثُمَّ قام وخرج"[(٢)].

وقال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: "شهدت أبا زرعة، وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب. هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: فِي هذه الكتب عبرة، فقال: من لَم يكن له فِي كتاب الله عبرة فليس له فِي هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب فِي

(١) الكسب: عصارة الدهن، مختار الصحاح (ص ٢٣٩).

(٢) "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٨/ ٢١٤، ٢١٥) و"ميزان الاعتدال" للذهبي (١/ ٤٣٠).

الخطرات والوساوس ما أسرع الناس إِلَى البدع!»[(١)].

وهكذا حال أهل السنة مع أهل البدع، حَتَّى أن سفيان الثوري دخل يومًا المسجد يوم الجمعة فإذا الحسن بن صالح يصلي.

فقال: "نعوذ بالله من خشوع النفاق، وأخذ نعليه فتحول، قال الثوري ذاك رجل يرى السيف على الأمة»[(٢)].

فانظر -رعاك الله- كيف أن أهل السنة لا يغترون بتصنع الزهد من أهل البدع، بل هم يزنون الناس بِميزان السنة لا غير.

فَكُلُّ خير ورد فِي الكتاب والسنة كان لأهل السنة السلفيين السبق إليه وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لَهَا هم أهل السعادة فِي كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، فإنَّهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بِما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول مِمَّا يجهله غيرهم أو يُكَذِّبُ به»[(٣)].

وبذلك يظهر بطلان هذا الافتراء، والحمد لله.

---

(١) "ميزان الاعتدال" الذهبي (١/ ٤٣١).

(٢) تهذيب التهذيب الحافظ ابن حجر (٢/ ٢٨٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦).

الشبهة السادسة عشرة:

رميهم أهل السنة بالتقليد

أقول: هذه الفرية تولى كبرها علامة البدعة والضلالة في هذا العصر، المفتون، أبوالحسن المصري الذي كاد بهذه الدعوة السلفية المباركة وجند لذلك بعض المرتزقة ويريد هو وأمثاله الضُّلَالُ بهذه الشبهة أن يطيحوا بأهل العلم السلفيين بدعوى أن من يأخذ بكلامهم فيه وأضرابه من أهل البدع يُعَدُّ مقلدًا، لذا استعنت بالله في دحض هذه الفرية، ووضع النقاط إن شاء الله على الحروف في كتاب أسميته «الرد القاضي على أبي الحسن السليماني وأذنابه من كل قاص ودان» وقد طبع بحمد الله، ثم بدا لي أن أفرد مبحثًا خاصًا منه ليضاف إلى حقل الافتراءات وأسميته بـ«القول الرشيد في دحض شبهة التقليد»: ويتضمن ستة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة على تحريم التقليد:

وردت آيات كثيرة في ذم التقليد منها:

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فمنعهم الاقتداء بآبائهم من قبول الاهتداء.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

والآيات في ذم التقليد في القرآن كثيرة.

قال ابن عبدالبر رحمه الله في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٠): "وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد".

ومن الأحاديث في الباب ما جاء في الصحيحين من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»

لفظ البخاري.

قلت: ومن هذه الأدلة فَقِهَ السلف حرمة التقليد فمما أثر عنهم في ذلك قولهم: "إذا صَحَّ الحديث فهو مذهبي"، وانظر إن شئت مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ ص(٤٦) فما بعدها.

ولقد أحسن من قال:

وقول أعلام الهدى: لا يعملُ ... بقولنا بدون نص يقبلُ
فيه دليل الأخذ بالحديثِ ... وذاك في القديم والحديثِ
قال أبوحنيفة الإمامُ[1] ... لا ينبغي لمن له إسلامُ
أخذا بأقواليَ حتى تعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرةِ ... قال وقد أشار نحو الحجرةِ
كل كلام منه ذو قبولِ ... ومنه مردود سوى الرسولِ
والشافعي قال إن رأيتمْ ... قولي مخالفا لما رويتمْ
من الحديث فاضربوا الجدارَ ... بقوليَ المخالف الأخبارَ
وأحمدٌ قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته بل أصل ذلك اطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعه ... واعمل بها فإن فيها مَنْفَعه
لقمعها لكل ذي تَعَصُّبِ ... والمنصفون يكتفون بالنبي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وليس لأحد أن يُنَصِّبَ للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله ﷺ وما اجتمعت

(١) انظر كتاب "نشر الصحيفة في الصحيح من أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة" للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ.

عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون". مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٦٤).

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعا ضلال وما توفيقي إلا بالله وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره" الاعتصام (٢/ ٨٧٢).

قلت: وهكذا النصوص والآثار المنقولة عن سلفنا تحرم التقليد وليس المقصود سرد ذلك فإنها معلومة بحمد الله تعالى لدى أصغر طلاب العلم فَضْلًا عن العلماء ولكن المقصود هو تبرئة ساحة من رماهم أبوالحسن المصري بالتقليد زورا وبهتانا حتى يعلم هو ومقلدوه أن أولئك بحمد الله يعلمون هذه النصوص ويعملون بها وفق منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ولا يخلطون بين التقليد المحرم والاتباع الصادق وعليه فإننا سنتحدث بمشيئة الله في المبحث الثاني عن معنى التقليد والاتباع والفرق بينهما حتى يتضح الأمر ويتجلى أكثر فأكثر.

المبحث الثاني: معنى التقليد والاتباع والفرق بينهما:

التقليد: في اللغة: قال الرازي في "مختار الصحاح" ص(٢٣٠).

"القلادة التي في العنق، ومنه التقليد في الدين وتقليد الولاة الأعمال وتقليد البدنة أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي".

أما في الاصطلاح: قال أبوعبدالله بن خويز منداد البصري المالكي: "**التقليد معناه في الشرع:** الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه".

وقال في موضع آخر: "كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده. والتقليد في دين الله غير صحيح" جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر صفحة (٢/ ١١٧).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "التقليد في الاصطلاح هو: العمل بقول الغير من غير حجة.

فيخرج العمل بقول الرسول ﷺ والعمل بالإجماع ورجوع العامي إلى المفتي ورجوع القاضي إلى شهادة العدول فإنها قد قامت الحجة في ذلك" إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول (٢/ ١٠٨١).

وقال العمريطي في نظم الورقات:

تقليدنا قبول قول القائلِ   من غير ذكر حجة للسائلِ

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "التقليد في اصطلاح الفقهاء هو: "قبول قول الغير من غير معرفة دليله". (مذكرة أصول الفقه صفحة ٣١٤).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "التقليد اتباع من ليس بحجة، فخرج بقولنا **(من ليس بحجة)** اتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتباع أهل الإجماع واتباع الصحابة...". الأصول من علم الأصول (صـ٧٧).

أما الاتباع: قال أبوعبدالله بن خويز: "والاتباع ما ثبت عليه الحجة، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه، والاتِّباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع". "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبدالبر (٢ / ١١٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإن قيل: أنتم تقرون أن الأئمة المقلَدين في الدين على هدى فمقلِّدوهم على هدى قطعا لأنهم سالكون خلفهم، قيل: سلوكهم خلفهم مبطل لتقليدهم لهم قطعا فإن طريقتهم كانت اتباع الحجة والنهي عن تقليدهم... فمن ترك الحجة وارتكب ما نهوا عنه ونهى الله ورسوله عنه قبلهم فليس على طريقهم وهو من المخالفين لهم وإنما يكون على طريقتهم من اتبع الحجة وانقاد للدليل فلم يتخذ رجلا بعينه سوى الرسول ﷺ يجعله مختارا على الكتاب والسنة يعرضهما على قوله". إعلام الموقعين (٢/ ١٣١).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: "المكلف بأحكامها (الشريعة) لا يخلو من أحد أمور ثلاثة:

أحدها: أن يكون مجتهدا فيها، فحكمه ما أَدَّاهُ إليه اجتهاده فيها.

والثاني: أن يكون مقلدا صِرْفًا خَلِيًّا من العلم الحاكم جملة، فلا بدّ من قائد يقوده وحاكم يحكم عليه وعالم يقتدي به.

والثالث: أن يكون غير بالغ مَبْلَغَ المجتهدين لكنه يفهم الدليل وموقعه ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبرة في تحقيق المناط ونحوه". الاعتصام (٢/ ٨٥٨-٨٥٩).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى: "فالأخذ بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو بالإجماع لا يسمى تقليدًا؛ لأن ذلك هو الدليل نفسه". (المذكرة ٣١٥).

قلت: تأمل أخي القارئ -بارك الله فيك- إلى الكلام المتقدم خصوصًا كلام الإمام الشاطبي رحمه الله وهو يقرر أن هناك منزلة بين الاجتهاد والتقليد

ألا وهي (الاتباع) (وأهله يسمون أهل الاتباع وهم طائفة ليست عندها القدرة على الاستقلال في البحث وفهم الأدلة واستنباط الأحكام منها ولكنها في الوقت نفسه تفهم الحجة وتعرف الدليل فهي أعلى درجة من المقلِّدين وأدنى درجة من المجتهدين) مابين المعقوفتين من كلام شيخنا الألباني رحمه الله في مقال له بعنوان (عودة إلى السنة) انظر "بدعة التعصب المذهبي" لعيد عباسي ص٣٤.

فظهر من هذا وذاك الفرق البيِّن بين الاتباع المبني على الدليل والحجة وبين التقليد العاري عن الحجة والبرهان.

والسؤال الذي يوجه لأبي الحسن أن يقال:

أين ما رميت به من أخذ بكلام العلماء فيك بالأدلة والبراهين بعد أن اتضح بجلاء الفرق بين التقليد المذموم وبين الاتباع بالحجة والبرهان؟ فأنت بين أمرين أحلاهما مرّ:

فإما أن تنصاع للحق الذي لا مرية فيه وتتراجع عن ما رميتَ به الأبرياء من وصمة التقليد كما تراجعت في مسألة الحدادية[1] وإما أن تعاند وتكابر كما هو المعهود عنك:

فإن كان الأول: فسيظهر حينئذ أمرك وينكشف خبثك للقاصي والداني.

وإن كان الثاني: فنقول لك ما قاله ربنا تبارك وتعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

(١) على وهن واضح في التراجع.

ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

وكل هذا على التسليم بأن المسألة - فتنة أبي الحسن - تحتاج إلى نظر، أما وإن في المسألة إجماع من العلماء والمشايخ الذين لهم اطلاع وتأمل في قضية أبي الحسن فلا يقبل والحالة ما ذكر خلاف ما أرشدوا ووجهوا الأمة به من التحذير من الرجل وهجره وإلحاقه ومن يدافع عنه في زمرة المبتدعة.

المبحث الثالث: إيرادان والرد عليهما:

الأول: قد يقال: كيف يقرر أن في القضية إجماع وقد وجد المخالف؟

الجواب: نقول المخالِف لا يخلو من أحد رجلين:

إما أن يكون له أهلية المخالفة ومن العلماء الذين يرجع إليهم ويرتبط بهم، وإما أن يكون بعكس ذلك من بعض طلبة العلم الذين لم ترسخ أقدامهم في العلم الشرعي أو ممن لهم مصالح وأطماع.

فالقسم الأول: يلتمس له العذر الشرعي من كونه لم يطلع على المسألة تمام الاطلاع أو لُبِّسَ عليه من قبل مرضى القلوب كما قد لبس على غيره من أجلّة العلماء في مسألة الانتخابات، وهذا الصنف ينَزل عليه حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ".

فالمؤمل في مثل هذا العالم أنه إذا نظر في المسألة من جميع جوانبها أنه

لا يخالف - إن شاء الله - ما اتفق عليه أجلة العلماء والمشايخ الآخرين.

القسم الثاني: فيقال لهم بما قاله الأول:

وليس كل خلاف جاء معتبرًا   إلا خلافًا له حظ من النظر

فهؤلاء حقيقة لا ينظر لمخالفتهم أو لموافقتهم لأنهم ليسوا أهلاً لأن يكونوا مرجعية للأمة الإسلامية فالمرجعية حقيقة لأهل العلم الراسخين فيه الذابين عن حياض الدين، أما هؤلاء من أصحاب توريط الذمة وغيرهم ممن نحى منحاهم فإنهم إن وافقوا أهل العلم على ما قرروه بالأدلة والبراهين فلأنفسهم، وإن خالفوهم فإنما تجني بَرَاقِشُ على نفسها، والله المستعان.

فظهر مما تقدم أن العبرة بما أجمع عليه العلماء الناصحون، فقد ثبت عند ابن أبي عاصم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة**» حسنه الألباني في تحقيق السنة صفحة ٤١.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "عليكم بالجماعة؛ فإن الله لا يجمع أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ضلالة". **قال الألباني:** "إسناده جيد موقوف رجاله رجال الشيخين" انظر السنة صفحة ٤٢.

الإيراد الثاني: كيف تقولون إن المسألة فيها إجماع والإجماع هو: اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حكم شرعي وليس كل من نظر في القضية أهلاً للاجتهاد.

الجواب: نقول هو كذلك ولكن لا مانع من تجزئ الاجتهاد، فقد يكون الشخص مجتهدًا في مسألة من مسائل العلم دون غيرها، وهذا

المذكرة ص ٣١٢.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم الاجتهاد يتجزأ... فيكون مجتهدًا في مسألة من المسائل دون غيرها" أشرطة شرح نظم الورقات

قلت: إذا تقرر ذلك وجب المصير إلى ما أفتى به هؤلاء العلماء والمشايخ في شأن أبي الحسن المصري.

المبحث الرابع: أنواع التقليد:

إن الذي يذم ويَرْمِي من يأخذ بكلام أهل العلم في شأن أبي الحسن أو غيره من المبتدعة بالتقليد يجهل أو يتجاهل أن التقليد لا يذم على إطلاقه بل هو على التفصيل الذي عليه علماء الإسلام، قال ابن القيم: "وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والإفتاء به وإلى ما يجب المصير إليه ومنه ما يسوغ من غير إيجاب، فأما النوع الأول -يعني المحرم-: فهو ثلاثة أنواع:

أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.

الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد

وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه". إعلام الموقعين(٢/ ١٢٩).

قلت: هذا هو التقليد المذموم بالكتاب والسنة والمنقول عن سلف الأمة، فأين ما رميت به يا أبا الحسن من أخذ بكلام العلماء فيك من هذه

الأنواع؟!!!

فهل -بالله عليك- يكون من يأخذ بطعن العلماء فيك المدعم بالأدلة والبراهين معرضًا عما أنزل الله وهو يعمل بقول الله عز وجل ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ..﴾ الآية».

أم أنك ترى أن الذي طعن فيك ليس أهلا لأن يجرح أو يعدل؟

أم أنك ترميهم بالثالثة، والثالثة أبعد وأنأى فإنك وأذنابك لم ولن تستطيعوا أن تأتوا بما يبطل ما أُخذ عليك من الطوام والأصول الفاسدة إلا ما كان من قبيل الثرثرة والمن والطعن في العلماء كما فعلت في أوراقك المسماة بـ(القول الجلي في الرد على عبيد الجابري والسحيمي والمدخلي) ورميتهم بما يعجز القلم عن تسطيره، والله حسيبك.

إنني أقول: إن الأخذ بقول العلماء فيك وفي أمثالك من أهل البدع والأهواء لهو من قبيل الأنواع الأخرى من أنواع التقليد الذي يجب أو يسوغ المصير إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد" مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٣-٢٠٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر، والذكر هو القرآن والحديث الذي أمر الله نساء نبيه أن يذكرنه بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ فهذا هو الذكر الذي أمرنا الله باتباعه، وأمر من لا علم عنده أن يسأل أهله وهذا هو الواجب على كل أحد أن يسأل أهل العلم بالذكر الذي أنزله على رسوله ليخبروه به فإذا أخبروه به لم يسعه غير اتباعه". إعلام الموقعين (٢/ ٢٤١) نقلا عن كتاب الإقناع بما جاء عن أئمة الدعوة من الأقوال في الاتباع للشيخ محمد بن هادي المدخلي ص ١١٢.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على الصابوني لما قال عن تقليد الأئمة الأربعة: (إنه من أوجب الواجبات) قال الشيخ: "لا شك أن هذا الإطلاق خطأ إذ لا يجب تقليد أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم مهما كان علمه؛ لأن الحق في اتباع الكتاب والسنة لا في تقليد أحد من الناس، وإنما قصارى الأمر أن يكون التقليد سائغًا عند الضرورة لمن عُرِفَ بالعلم والفضل واستقامة العقيدة كما فَصَّلَ ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين، ولذلك كان الأئمة -رحمهم الله- لا يرضون أن يؤخذ من كلامهم إلا ما كان موافقًا للكتاب والسنة، فالذي يتمكن من الأخذ بالكتاب والسنة يتعين عليه أَلَّا يقلد أحدًا من الناس ويأخذ عند الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحق، والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسأل أهل العلم كما قال الله -عز وجل- ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. اهـ مجموع فتاوى ومقالات الشيخ (٣/ ٥٣).

قلت: هذا كلام العلماء المحققين، أما أبوالحسن فيريد من جميع الناس

أن ينظروا في كلام العلماء المبني على الحق والبرهان وكلامه المبني على الهوى والتلبيس والبطلان ثم يحكموا، فجعل العامة وطلبة العلم الذين لم ترسخ أقدامهم في العلم حُكَّامًا على العلماء، وهذا من قبيل إحقاق الباطل وإبطال الحق، وكأنه لم يقف على قول الإمام الشنقيطي رحمه الله حين قال: "**لم يخالف في جواز التقليد للعامي إلا بعض القدرية**" (المذكرة ٣١٥)، ولا على كلام الشاطبي والألباني في المبحث الثاني بل كأنه لم يقف على أن من التقليد ما هو سائغ من غير إيجاب للقادر على الاجتهاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلاف، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له، فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه وانتقل إلى بدله وهو التقليد كما لو عجز عن الطهارة بالماء" مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: "وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فَقَلَّدَ من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور" إعلام الموقعين (٢/ ١٣٠).

بل كأنه لم يقف على كلام **الإمام المبجل أحمد بن حنبل حيث قال**: "ومن زعم أنه لايرى التقليد ولا يقلد دينه أحدا فهو قول فاسق عند الله ورسوله ﷺ إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسنة والتفرد بالرأي والكلام والبدعة والخلاف" طبقات الحنابلة (١/ ٣١)

قلت: ولكن أَنَّى له بالعلم بهذا؛ والرجل لم يُعرف عنه البروك عند

أقدام العلماء للأخذ عنهم، هذا إن أحسنا به الظن؛ وإلا فالرجل محترف في التلبيس، والله المستعان، فظهر من ذلك بطلان ذم التقليد مطلقًا.

أقول: إننا إن أخذنا بما أفتى به العلماء في شأن أبي الحسن إنما نأخذ بأقوال جهابذة من أَجِلَّةِ أهل العلم كالشيخ ربيع والشيخ النجمي والشيخ الجابري والشيخ السُّحَيمِي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب البنا، والشيخ محمد المدخلي، والشيخ سليمان الرحيلي، والشيخ الوصابي، وغيرهم ممن نحى منحاهم وهذا منا يسمى اتباعًا لا تقليدًا مذمومًا لأن أولئك العلماء قد أدلوا بالأدلة والبراهين على أقوالهم فسلوك طريقهم مبطل لتقليدهم فإن طريقتهم كانت اتباع الحجة والنهي عن تقليدهم. كما تقدم ذلك عن ابن القيم صفحة (٢٤٠) من هذا البحث، وإن كان منا تقليدا لهم فهو من باب التقليد الذي يجب أو يساغ المصير إليه، ولكن الأمر حقيقة لا مدخل له في التقليد أصلا؛ لأن كلام أهل العلم في أبي الحسن من قبيل الرواية لا من قبيل الرأي حتى يرد بدعوى التقليد.

- **قال الإمام الشوكاني:** "وهل مسألة الجرح والتعديل يصح فيها التقليد؟

أقول: ينبغي أن يعلم السائل -عافاه الله- أن التقليد هو قبول رأي الغير دون روايته من دون مطالبة بالحجة، وتعديل الْمُعَدِّلِ للراوي ليس من الرأي في ورد ولا صدر بل هو من الرواية لحال من يعدله أو يجرحه لأنه ينقل إلينا ما كان معلوما لديه من حال الراوي وهذا بلا شك من الرواية لا من الرأي فلا مدخل لهذه المسألة في التقليد، وقد أوردها بعض المتأخرين بقصد التشكيك على المدعين للاجتهاد زاعما أنهم لم يخرجوا عن

التقليد من هذه الحيثية، وأنت خبير بأن هذا التشكيك باطل نشأ من عدم الفرق بين الرواية والرأي "**العذب النمير في جواب بلاد عسير**" ضمن "الفتح الرباني لفتاوى الشوكاني" (١/ ٢١٨-٢١٩).

قلت:: تأمل أخي القارئ الكريم كلام الشوكاني جيدا والذي يقرر فيه أن كلام الأئمة في الجرح والتعديل والأخذ به لا يسمى تقليدا لأنه من قبيل الرواية، ولكنه الجهل المطبق الذي يتمتع به أبوالحسن المصري، ولقد أحسن من قال: وكل إناء بما فيه ينضح.

وانظر كلاما نحوه لابن القيم في الإعلام (٢/ ١٩١) يبين فيه أن الرواية غير التقليد وأن من يجعل الرواية تقليدا لا يصدر إلا من مشاغب أو ملبس بقصد لبس الحق بالباطل.

قلت: ليهنك أحد الأمرين أبا الحسن.

أما أذناب أبي الحسن فإنهم والله لَهُمُ المقلدة له، ويصدق عليهم قول القائل:

إذا قالت حَذَامِ فصدقوها ... فإن القول ما قالت حَذَامِ

وقول القائل: عنز ولو طارت.

وقول دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غوت ... غويت وإن ترشد غَزِيَّةُ أرشد

أقول: إن القوم هداهم الله يعتبرون ببغاوات لأبي الحسن، فكل كلامهم منبعه من فِيِّ أبي الحسن فعند أن قال عن إخواننا بأنهم حدادية

قالوا بملء أفواههم بما قال وعند أن تراجع عنها[1] تراجعوا، والآن عندما قال عمن يأخذ بكلام العلماء فيه مقلدة طاروا بها شرقا وغربا، وهكذا كل ما يقوله هذا الرجل وإذ بالقوم يرددونه، أفليس هذا هو التقليد المذموم يا دعاة التأصيل؟!!

المبحث الخامس: النجاة من التقليد المحرم:

إن النجاة من التقليد المحرم لا يكون إلا بالرجوع للكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ هذا في شأن المنافقين، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

وثبت عند الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**». صحيح الجامع (١/ ٥٦٦) والأدلة في هذا الباب كثيرة.

---

[1] يصدق على تراجعه هذا قول القائل:

والمستغيث بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فتراجع عن هذه اللفظة عند أن لُزَّ وبمراوغة انتقل إلى رميهم بالغلاة، والله المستعان.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم" شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٤).

ولقد أحسن ابن أبي داود حين قال في حائيته:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلحُ
ودِنْ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرحُ

أقول: "الناس ثلاثة في الفهم والمعرفة فمنهم الجاهل وهو من سماه العلماء مقلدا ومنهم العالم الخبير وهو من اصطلح على تسميته مجتهدا ومنهم بين ذلك فليس بجاهل الذي لا يفقه ما يقرأ من أحكام ولا يستطيع معرفة ما يدل عليه الكلام بل عنده شيء من علم واطلاع وعقل وتفكير ولكنه لم يصل إلى درجة العالم الفقيه والمدقق البصير مما يدل عليه الكتاب والسنة وهؤلاء اصطلح على تسميته متبع وأهل الاتباع، فالواجب على أهل النوع الأول أن يقلد أي عالم بالكتاب والسنة ممن يوثق به في دينه وعلمه والواجب على أهل النوع الثاني أن يجتهد في معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة ويتبعه ويدل الناس عليه والواجب على أهل النوع الثالث أن يتبع على ما اطلع على دليله الشرعي من أقوال العلماء ومن استطاع الاجتهاد فلا يحل له التقليد والاتباع لغيره إلا عند الضرورة" بدعة التعصب المذهبي ١٤.

فهذه مراتب الناس في الفهم وهي المعمول بها؛ أما التقليد الذي بمعنى التعصب الأعمى فهذا مردود كما مر.

ولكن الرجل أعني أبا الحسن يريد أن ينشر ضلالاته وأصوله الفاسدة من خلال هذه الستارة (**التقليد**) حتى يسقط من خلالها هيبة العلماء وعدم الارتباط بهم، وما أشبه الليلة بالبارحة فبالأمس كان سفر وسلمان ومن على شاكلتهما يطعنون في علماء السنة كالشيخ ابن باز ومن نحى منحاه من علماء السنة بأنهم لا يفقهون الواقع، واليوم يأتينا أبوالحسن بوجه جديد وهو أن من يأخذ بكلام العلماء فيه وفي أمثاله من أهل الزيغ والضلال يعتبر مقلدا تقليدا محرما وينزل النصوص والآثار الذامة للتقليد فيمن هذا حاله وجهل أو تجاهل كلام العلماء السابق والتفصيل الآنف الذكر، والله المستعان.

المبحث السادس: الكلام على تفسير آيتين من كتاب الله:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١/ ٥٤٢): "قوله ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾: إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة".

قلت: وهذا كحال أصحاب وأذناب أبي الحسن عند أن أخرجوا

منشورًا سموه زورًا وبهتانًا براءة الذمة[١]، وحق له أن يسمى بتوريط الذمة، أسفروا فيه عن تعصبهم الأعمى لأبي الحسن مما يدل على جهلهم واحتياجهم إلى دورات علمية وأدبية، فطالبوا فيه لجنة التحكيم أن ينصروا أبا الحسن لكونه مظلومًا، وهذا منهم عمل أحمق وحزبي ذلك أنهم حَكَمُوا في القضية قبل تحقق الأمر.

ولقد أحسن الإمام الحسن البصري حين أن قال: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل" نقلاً عن "مدارك النظر" صفحة ٤.

وجاء في تهذيب تفسير الجلالين (٩١): "(ولو ردوه) أي الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به".

قلت: تأمل أخي القارئ إلى قوله: "**ذوي الرأي من أكابر الصحابة**" يتبين أن الذي يرد إليه من أولي الأمر أكابر الصحابة وليس كل الصحابة وهكذا الشأن في قضية أبي الحسن، فإن أصحاب توريط الذمة لو أنهم سكتوا حتى يتكلم العلماء لكان في ذلك درء مفسدة كبيرة وعظيمة ولكنها الحزبية المقيتة قاتل الله أهلها.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله (١ / ٤٩١): "قوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾: وهم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم أو هم الولاة عليهم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي

(١) وقد تراجع منهم من شاء الله له الهداية.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة". تفسير الكريم الرحمن (٣ / ٦٢).

قلت: تأمل أخي القارئ قوله: "**فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث**" فهل في الرجوع إلى أهل العلم تقليدا محرما أم تطبيقا عمليا لهذه الآية؟!!

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ولم يخالف في جواز التقليد للعامي إلا بعض القدرية والأصل في التقليد (أي في جوازه للعامي) قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيۡهِمۡ﴾، وقوله: ﴿فَسۡـَٔلُوٓا۟ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ المذكرة (٣١٥).

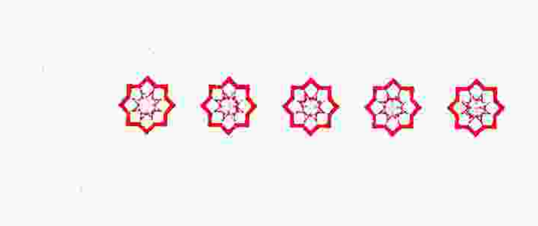
قلت: ثم تأمل رعاك الله قول الشيخ السعدي: "**وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم**" فهل بالله عليك من التعديل لأهل العلم محاولة إسقاطهم بكلمة حق أريد بها باطل بدعوى إبطال التقليد لهم مع العلم أن أهل العلم قد أدلوا بالأدلة والبراهين والحجج في هجرهم وتبديعهم لأبي الحسن تطبيقا منهم لقوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ ولكن القوم أي المتعصبة لأبي الحسن في سباتهم يعمهون، والله المستعان.

ومن عجيب أمر أصحاب هذه الحزبية الجديدة أنهم يريدون كل من في الأرض يتفق على الطعن في أبي الحسن وهجره والتحذير منه وما علم هؤلاء

أن الأمر فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ولكنه الهوى قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية ٢٣.

وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ القصص ٥٠.

وصدق رسولنا الكريم ﷺ حين أن قال: «**يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى مفصل إلا دخله**»، رواه ابن أبي عاصم من حديث معاوية وصححه الألباني في تحقيقه للسنة (١/ ٧).



الشبهة السابعة عشرة:

قولهم بأن التسمي بالسلفية بدعة

واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.

قال الشيخ سليم بن عيد الهلالي: "لَم تكن كلمة "السلفية" تطلق على عصر الرسول ﷺ وأصحابه، لأنه لَم يكن هناك حاجة، فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الصحيح، فلم يكن حاجة لكلمة السلفية لأنَّهم كانوا عليها سليقة وفطرة كما كانوا يتكلمون العربية الفصيحة دون لحن أو خطأ فلم يكن علم النحو والصرف والبلاغة حَتَّى ظهر اللحن فظهر هذا العلم الذي يضبط عوج اللسان، وكذلك لَمَّا ظهر الشذوذ والانحراف عن جماعة المسلمين بدأت تظهر كلمة "السلفية" على الواقع، وإن كان الرسول ﷺ نبه على معناها فِي حديث الافتراق بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

ولما كثرت الفرق وادعت كلها السير على الكتاب والسنة قام علماء الأمة بتمييزها أكثر فقالوا: أهل الحديث والسلف.

ولذلك تميزت "السلفية" عن جَميع الطوائف الإسلامية الأخرى بانتسابِها إلَى أمر ضمن لَهم السير على الإسلام الصحيح ألا وهو التمسك بِما كان عليه أصحاب رَسُول الله ﷺ المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

وهم أهل القرون المشهود لَهم بالخيرية»[١].

قلت: وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

فنقول: إن هذا الاستدلال يتم قبل حصول الافتراق وانتشار الفرق هنا وهناك أما بعد أن حصلت الفرق ووجدت كالشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة وما شابه ذلك من فرق الضلال، فلابد والحالة ما ذكر من أن يتميز أهل الحق عن غيرهم لأن الكل يقول إنه مسلم، بل ما من فرقة من فرق البدع حَتَّى فِي هذا العصر كالإخوان المسلمين والسرورية والتبليغ وغيرهم، إلا وهي تستدل بالكتاب والسنة على ما أَصَّلُوهُ من بدع، لذا كان الواجب الرجوع إلَى فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة حَتَّى يُفْهَمَا الفهم الصحيح المستقيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف: ولِهذا قال الإمام أحمد فِي رسالة عبدوس بن مالك: "أصول السنة عندنا التمسك بِما كان عليه أصحاب النَّبِي ﷺ"»[٢].

وبذلك يتمحص الحق من الباطل قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ

---

(١) "لماذا اخترت المنهج السلفي" (ص ٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٥).

وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]. فمن خلال ما ذكر يتبين أن التسمية بالسلفية تسمية شرعية ليست بدعية.

وحقيقة فإن الشبه والافتراءات كثيرة كما أسلفت ولكني أقتصر على ذلك سائلاً المولى جل فِي علاه أن أكون قد وفقت لدحض هذه الافتراءات عن أهل السنة السلفيين. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الفصل العاشر

مقارنة مختصرة
بين الدعوة السلفية ودعوتي: الإخوان المسلمين والتبليغ

إن الفرق المناوئة لأهل السنة والجماعة "السلفيين" كثيرة خصوصًا فِي زماننا هذا لذا أحببت أن أذكر مقارنة أختم بِها هذا الكتاب بين ثلاث دعوات تعتبر أكثر انتشارًا من غيرها فِي هذا العصر، وهي الدعوة السلفية والدعوة الإخوانية والدعوة التبليغية، وحقيقة لا ينبغي أن تقرن الدعوة السلفية بِهاتين الدعوتين المبتدعتين ولكن من باب أَنَّهما قد وجدتا فِي المجتمع وتأثر بِهما من تأثر، وإلا يصدق عليهما مع الدعوة السلفية قول القائل:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وقول القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقد رأيت أن تكون المقارنة من أحد عشر وجهًا أجملها ثُمَّ أذكرها بالتفصيل.

الوجه الأول: ماهية هذه الدعوات.

الوجه الثاني: فكرها.

الوجه الثالث: مؤسسها.

الوجه الرابع: أعلامها.

الوجه الخامس: فِي أي شيء يعقد الولاء والبراء فِي هذه الدعوات؟

الوجه السادس: أي هذه الدعوات تعتبر الفرقة الناجية؟

الوجه السابع: أي هذه الدعوات تستحق النسبة لأهل الحديث؟

الوجه الثامن: فيمن تتمثل هذه الدعوات؟

الوجه التاسع: أي هذه الدعوات أولى بالصواب؟

الوجه العاشر: معنَى حزبية هذه الدعوات؟

الوجه الحادي عشر: إلَى ماذا تسعى هذه الدعوات؟

فهذه وجوه مختصرة جدًا فِي المقارنة يظهر من خلالها أن الدعوة السلفية هي الَّتِي تمثل الحق والصواب والجماعة وما عداها فهي من الفرق المذمومة المنهي عنها شرعًا ومن أراد التفصيل فعليه أن يطلع على محتوى هذا الكتاب حَتَّى يتيقن من صدق ما قيل وما كتب.

ولا يفوتني أن أنبه إلَى أني استقيت هذه النقاط من شريطي أخينا الفاضل الشيخ مُحَمَّد بن هادي المدخلي المسمى "دعوة بين دعوتين" فجزاه الله خيرًا على بيانه، لذا فإني أنصح والحال ما ذكر إلَى الاستماع لهذين الشريطين ففيهما الغنية لمن أراد الحق، والحمد لله رب العالمين.

المقارنة بين ثلاث دعوات [السلفية - الإخوانية - التبليغية]

الوجه الأول: ماهية هذه الدعوات

الدعوة السلفية: دعوة إلَى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه سلف الأمة فهي دعوة إلَى منهج معصوم، وهو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل القرون المفضلة.

الدعوة الإخوانية: دعوة إلَى أشخاص فهيَ تنسب إلَى حسن البنا الصوفي، فهي إذن دعوة محدثة فعمرها لا يزيد عن سبعين سنة.

الدعوة التبليغية: دعوة إلَى أشخاص فهي تنسب إلَى مُحَمَّد إلياس الكاندهلوي الذي جمع أربع طرق صوفية: النقشبندية السهروردية، الجشتية، القادرية. فهي إذن محدثة لا تزيد عن تسعين سنة.

الوجه الثاني: فكرها

الدعوة السلفية: هم أهل سنة لأنَّهم يأخذون بسنة الرسول ﷺ لا يقدمون عليها رأي أحد كائنًا من كان وكتبهم شاهدة بذلك فانظر مثلاً السنة للخلال والسنة لعبد الله ابن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم وغيرها وهم الجماعة لأنَّهم مجتمعون على السنة.

الدعوة الإخوانية: دعوتُهم: مخلطة فهي دعوة سلفية (زعموا) وطريقة سنية (زعموا) وحقيقة صوفية (صدقوا)

الدعوة التبليغية: فِي الأصول على معتقد الأشاعرة الماتريدية وفي السلوك

على الأربع الطرق المذكورة فِي الوجه الأول.

الوجه الثالث: مؤسسها

الدعوة السلفية: الرسول مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ

الدعوة الإخوانية: حسن البنا الصوفي

الدعوة التبليغية: مُحَمَّد إلياس الكاندهلوي الصوفي

الوجه الرابع: أعلامها

الدعوة السلفية: أبوبكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وسعيد ابن زيد، وعائشة وحفصة، وأنس وأبوهريرة وأبوموسى وعبدالله بن مسعود وغيرهم ثُمَّ الحسن البصري وابن سيرين وسعيد بن جبير وابن المسيب وغيرهم ثُمَّ مالك والأوزاعي والشافعي، والقطان والبخاري ومسلم وأبوداود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وابن تيمية، وابن القيم وابن عبدالوهاب، وغيرهم وفي عصرنا هذا ابن باز والألباني والفوزان وابن عثيمين والوادعي والمدخلي وغيرهم مِمَّن سلك دربَهم.

الدعوة الإخوانية: حسن البنا، والتلمساني الذي يُهَوِّنُ من شأن دعاء القبور، والهضيبِي صاحب التقريب بين السنة والشيعة، وحامد أبوالنصر، والغزالي المعتزلي، وفتحي يكن الذي يطعن فِي السلفيين، ومصطفى السباعي الذي أنشد

قصيدة أمام قبر الرسول ﷺ يطلب منه الشفاء وصاحب دعوة التقريب أيضًا، وفي هذا العصر الزنداني الذي حضر مؤتمر وحدة الأديان والمنافح عن الديمقراطية.

الدعوة التبليغية: مُحَمَّد إلياس الكاندهلوي، وإنعام الحسن، والديوبنديون وغيرهم من المتصوفة.

الوجه الخامس: الولاء والبراء

الدعوة السلفية: كل من اعتقد معتقدهم ودان بِما سطروه فِي كتبهم عن رَسُول الله ﷺ فهو أخوهم وحبيب لَهم فِي أي بقعة كان على وجه الأرض، يرتفع الشخص عندهم بالتقوى ويوضع بمخالفته للكتاب والسنة.

الدعوة الإخوانية: يعقدون الولاء والبراء فِي ذوات أشخاصهم وقياداتِهم مهما عظمت مخالفتهم للكتاب والسنة فمن كان منخرطًا معهم فهو وهو من الألقاب الملمعة وإن كان من الخرافيين ومن كان ليس معهم فهو كذا وكذا من السباب وإن كان من العلماء الربانيين، ومن رأوه يدرس منهم عند أهل السنة فصلوه وحذروا منه بعد عدم استجابته لتلبيسهم.

الدعوة التبليغية: كذلك الشأن فِي جماعة التبليغ فَوَلاؤُهُم وبراؤهم فِي قياداتِهم بِغَضِّ النظر عن معتقدهم ومن حذر منهم قالوا عنه أنه محارب لإصلاح الفساد وما شابه ذلك.

الوجه السادس: أي هذه الدعوات تعتبر الفرقة الناجية؟

الدعوة السلفية: هذه الدعوة تعتبر هي الفرقة الناجية إن شاء الله، وذلك لأنَّها نجت فِي الدنيا من الوقوع فِي البدع والمحدثات وتنجو فِي الآخرة إن شاء الله من عذاب الله لصدق اتباعها للرسول ﷺ.

الدعوة الإخوانية: تعتبر من الفرق الضالة المخالفة لِما كان عليه الرسول ﷺ وذلك لِما ابتدعته فِي هذه الدنيا ويخشى عليها من عذاب الله فِي الآخرة.

الدعوة التبليغية: يقال فيها ما قيل فِي الإخوان المسلمين.

الوجه السابع: أي الدعوات تستحق النسبة لأهل الحديث؟

الدعوة السلفية: أصحاب الدعوة السلفية أحق بأهل الحديث من غيرهم؛ وذلك لأن أهل الحديث كان يطلق ويراد بِهم فِي عصر الإمام أحمد المشتغلون بالحديث رواية ودراية، لأن الغالب على عصر الإمام أحمد ذلك من أهل السنة، فكان يطلق ويراد أهل الحديث فِي مقابل أهل البدع أما فِي عصرنا فيقصد بِهم كل من اعتقد معتقد أهل الحديث فإن انضاف إلَى ذلك الانشغال بالحديث رواية ودراية فهو خير على خير.

الدعوة الإخوانية: لا يستحقون أن يطلق عليهم أهل الحديث لمخالفتهم أهل الحديث فِي أمور كثيرة من أصول الاعتقاد وأقصد

بذلك المنهج الذي يسيرون عليه مخالف لِما عليه أهل الحديث أما الأفراد فكل بحسبه.

الدعوة التبليغية: كذلك يقال فيهم ما يقال فِي الإخوان المسلمين.

الوجه الثامن: فيمن تتمثل هذه الدعوات؟

الدعوة السلفية: تتمثل هذه الدعوة فِي الطائفة المنصورة الَّتِي ورد تفسيرها عن الإمام أحمد بأنَّهم أهل الحديث وهم فِي هذا العصر من يعتقدون معتقد أهل الحديث الذي كان عليه رَسُول الله ﷺ وأصحابه فإن انضاف إلَى ذلك الانشغال بالحديث رواية ودراية فهو خير على خير.

الدعوة الإخوانية: تتمثل فِي كل من هب ودب من أشعرية وصوفية ورافضية ومفوضية وقبورية.

الدعوة التبليغية: تتمثل فِي الديوبنديين والخرافيين والصوفيين والقبوريين وغيرهم من أصناف أهل البدع

الوجه التاسع: أي هذه الدعوات أولى بالصواب

الدعوة السلفية: لا شك ولا ريب أنَّها أولى بالصواب وما ذاك إلا لأنَّها اتخذت الكتاب والسنة منهجًا لَهَا، وطريقة السلف نبراسًا يحتذى بِها، لذا كانت أولى بالصواب من غيرها.
انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤)

الدعوة الإخوانية: لَم يكن الصواب محالفًا لَهَا وما ذاك إلا لأنَّها أسست منهجها على البدع وعلى مخالفة ما كان عليه السلف

الصالح من الصحابة والتابعين.

الدعوة التبليغية: يقال فيها ما قيل فِي الدعوة الإخوانية.

الوجه العاشر: معنَى حزبية هذه الدعوات

الدعوة السلفية: الدعوة السلفية ليست حزبًا بالمعنى العصري من كونها قامت ولها عضوية ومجلس وأعضاء ومؤسسون ويعقد الولاء والبراء فِي بنود الحزب وما شابه ذلك وإنَّما المقصود أنَّهم حزب بالمعنى اللغوي أي أنَّهم جماعة اجتمعوا على الكتاب والسنة وَنَهْجِ سلف الأمة، فَهُمْ يمثلون حقيقة حزب الله قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] ويعقد الحب والبغض عندهم فِي ذات الله لا غير.

الدعوة الإخوانية: أي أنَّهم حزب بالمعنى الاصطلاحي المذموم الَّتِي وردت النصوص بالتحذير من إقامتها فهم لَهم مؤسسون غير الرسول وعضوية ومجلس وأعضاء وتنظيم سري وما شابه ذلك من عقد الولاء والبراء فِي بنود الحزب وفي ذوات أشخاصهم.

الدعوة التبليغية: يقال فيهم ما قيل فِي الدعوة الإخوانية.

الوجه الحادي عشر: إلَى ماذا تسعى هذه الدعوات؟

الدعوة السلفية: تسعى لإقامة دين الله تعالى فِي أرضه من عقيدة وعبادة وسلوك وتحكيم لشرعه واتباع لسنة رسوله ﷺ وبذلك

تقوم الدولة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور:٥٥]

الدعوة الإخوانية: ما قامت إلا للوصول للحكم فهي دعوة سياسية ولهذا تجمع تحتها كل من هب ودب في سبيل الوصول إلى غايتها الموهومة وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

الدعوة التبليغية: دعوة صوفية خالصة تسعى لتعليم الناس البدع والخرافة ثُمَّ هم مع غيرهم من أهل البدع جميعًا في خندق واحد ضد الدعوة السلفية وما حادثة كنر عنا ببعيد مع العلم أَنَّهم متناحرون فيما بينهم.

وبعد هذا الاستعراض المختصر لحالة هذه الدعوات الثلاث يظهر بكل وضوح أن الدعوة السلفية هي الَّتِي تمثل دعوة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- بدعوتها للإسلام الصافي من عقيدة وعبادة وشريعة وسلوك بخلاف دعوة الإخوان المسلمين فإن دعوتهم لا تهتم بالعقيدة الصحيحة ولا بالسنة النبوية المطهرة، بل همهم الأكبر اللفلفة والتجميع على غير عقيدة صحيحة وبخلاف أيضًا: جماعة "فرقة التبليغ" الَّتِي همها وبادئ دعوتها الاهتمام بالسلوك والأخلاق زعموا، من غير تصحيح للعقائد، وعليه فأنصح

إخواننا جميعًا بلزوم منهج السلف والابتعاد عما أحدثه سائر أهل البدع فما أكثرهم -لا كثرهم الله-، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وما أحسن ما قاله سفيان الثوري رحمه الله: "إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنة".

تنبيه: أما ما يتعلق بفرقة السرورية القطبية فهي تعتبر البوابة الخلفية للإخوان المسلمين، فما قيل في فرقة الإخوان يقال فيها، والله المستعان.



نصيحة ختامية

فإنه عملاً بِما جاء فِي مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

فإنِي أوجه نصيحتي هذه إلَى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الذين انتهجوا منهج السلف الصالح عقيدة وعبادة وسلوكًا، فأقول:

قال الشيخ مُحمَّد بن هادي المدخلي فِي شريطَيه الآنفَي الذكر:

"وبعد هذا فإن كان من كلمة أخيرة فهي الصبر والثبات، الثبات والحرص، الحرص على التمسك بِهذا المعتقد وبِهذا المنهج -منهاج النبوة- وبِهذه الطريقة -الطريقة السلفية- والأخذ بِها بقوة وعدم الهوان وعدم الذلة وعدم الخور أمام أعدائها وعدم التنازل عن أسسها وأركانِها بدعوى الجمع والتوحيد بين هؤلاء جميعًا حَتَّى تقوم دولة الإسلام، إياكم ثُمَّ إياكم وهذا فإن هذا والله هو باب الشر، هذه الدعوة أصحابُها متميزون معروفون بأنَّهم أثريون، معروفون بأنَّهم سلفيون، من كان معهم على هذا المنهج فهو منهم، ومن خالفهم فليس منهم ولو كان أقرب قريب وأصدق صديق

---

(١) سبق تخريجه (ص١١٥) من هذا الكتاب.

فإنَّهم يتبرءون منه، فلا تضعفوا لا تتوانوا ولا تستكينوا لهؤلاء واعلموا أنه مِمَّا يسليكم أنَّها واحدة، واثنتان وسبعون أعداؤها فالحق قليل أتباعه والشر أتباعه كثير،.... فالكثرة ليست معيارًا بل المعيار عند أهل السنة والجماعة -الجماعة السلفية- جعلنا الله وإياكم منهم -المعيار عندنا هو: الاتباع والابتداع، من كان متبعًا فَهذا منا، ومن كان مبتدعًا فليس منا ولو كان أقرب قريب».

الصنف الثاني: الذين انخرطوا وتورطوا فِي شباك التحزبات البدعية بالتلبيس والدجل عليهم فأقول لَهم:

إننا لا نشك -إن شاء الله- فِي حسن نواياكم، من حبكم للخير وغيرتكم على السنة ونصرتكم للإسلام، ولكن ما هكذا تكون نصرة الدين، ولقد أحسن من قال:

أوردها سعد وسعد مشتملْ ... ما هكذا تورد يا سعد الإبلُ

إن نصرة الدين -أحبتي الكرام- إنَّما تكون باقتفاء أثر السلف الصالح من الصحابة الكرام وتابعيهم مِمَّن اقتفوا أثرهم ونَهجوا منهجهم، فأفيقوا -إخواني الكرام- من سباتكم فإن الأمر خطير والواجب كبير ومازال أعداء الإسلام يخططون ليل نَهار لإبعادنا عن المنهج النبوي، منهج السلف الصالح خصوصًا فِي هذا الوقت الراهن الذي قَلَّ فيه العلماء، علماء السنة، وكثر فيه دعاة السوء وأرباب البدع والخرافة، والله المستعان.

إخوتاه: إن القضية عظيمة جدًّا فهي إما جنة عرضها السموات والأرض أعدت لمن انتهج منهج النبوة وتمسك به حقيقة لا دعوى.

وإما نار(١) تَلَظَّى وقودها الناس والحجارة أعدت لمن تنكَّب المنهج النبوي منهج السلف الصالح، وأعرض عنه واستبدله بمناهج دخيلة على الإسلام.

إخوتاه: اللهَ اللهَ، عليكم بالمنهج السلفي، تمسكوا به وعضوا عليه بالنواجذ، واحذروا هذه التحزبات البدعية الَّتِي ولدت شرورًا عظيمة على الفرد والمجتمع.

إخواني الكرام: اعرفوا لِهذا المنهج قدره ولدعاته حقهم، فإنه ما من آية من كتاب الله وحديث صحيح عن رَسُول الله ﷺ ورد فيهما الإشارة بالثناء على أهل العلم إلا وكان المقصود بذلك دعاة المنهج السلفي، لأنَّهم الداعون بحق للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة لا غير، فخذوا العلم عنهم واسألوهم عما أشكل عليكم، واسألوا الله أن يوفقكم لسلوك سبيلهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الصنف الثالث: قادات الأحزاب المبتدعة الذين يُلَبِّسُونَ على عامة الناس والسذج منهم، فأقول لَهم:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(١) ودخول النار فِي هذه الحالة على قسمين: الأول: إما مخلد وهذا للكافرين، الثاني: مؤقت، لأصحاب المعاصي والبدع الَّتِي لا تكون مكفرة من موحدي هذه الأمة فإن دخولها فبقدر ذنوبِهم ثُمَّ يكون مصيرهم الجنة، وهذا ما عليه أهل السنة.

اتقوا الله فِي عَوَامِّ الناس وأخص منهم شبابهم الذين هم عماد الأمة بإذن الله واتركوا التلبيس والتدجيل عليهم، ولا تغرنكم هذه الحياة الدنيا بزخارفها البراقة ومناظرها الخداعة فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

واعلموا أنكم غدًا بين يدي الجبار موقوفون، وعلى أعمالكم محاسبون ومن أوزار الذين أضللتم محمَّلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وأخرج مسلم من حديث جرير بن عبدالله قال: قال رَسُول الله ﷺ: «ومن سن فِي الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[(١)].

فَكُفُّوا ألسنتكم عن الكذب والتشويه لحقيقة المنهج السلفي ودعاته فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وعلى الباغي تدور الدوائر.

قلت: وبهذا يتم المقصود، سائلاً المولى -جل فِي علاه- أن يجعل عملي وقولي خالصًا له متابعًا فيه لسنة رَسُول الله ﷺ وأن ينفع بهذا المؤلف

(١) مسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢/ ٧٠٥).

كاتبه وناظره، ولا أقول بأني استوفيت البحث حقه، فالبحث يحتاج إلَى نَفَسٍ طويل وطلبة علم أفذاذ، ولكني أقول "ما لا يدرك كله لا يترك جله" فَهذا العمل مني طرق لبابه عسى الله أن يهيئ من يقوم بالاستيعاب والإكمال، فإن أصبت فيه فالحمد لله، وما توفيقي إلا بالله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأستغفر الله، ومن رأى فيه خللاً فلينصح، ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي[(١)].

والعصمة لمن عصمه الله وصدق رَسُول الهدى ﷺ إذ يقول: «المؤمن مرآة المؤمن »[(٢)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي مقدمة "القواعد الفقهية": "يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، ولكن المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء فِي كثير صوابه".

والحمد لله رب العالمين.



(١) هذا القول يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انظر سنن أبي داود (٥/ ٢١٨) تعليق.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: فِي النصيحة، (٥/ ٢١٧) وحسنه الألباني كما فِي صحيح الجامع (٢/ ١١٣٠) وانظر السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٣٢).

الخاتمة

لقد اتضح للقارئ الكريم مِمَّا سبق بيانه فِي هذا البحث المتواضع بفصوله العشرة ما يلي:

١) أن الانتساب للسلفية يعتبر انتسابًا للجادة وللإسلام الصافي.

٢) أن السلفية تتمثل فِي الصحابة وأعيان التابعين لَهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين.

٣) أن التسمية بالسلفية ظهرت بظهور الفرق المبتدعة فِي الدين.

٤) أن لفظة «السلفية» عند العلماء علماء السنة لا تطلق إلا على سبيل المدح والفخر.

٥) أن التأليف فِي المذهب السلفي اتخذ منهجين: الأول منهج العرض، الثاني: منهج الرد.

٦) أن الانتساب للسلفية ليس من التحزب المذموم بل تمثل السلفية حزب الله المثنى عليه فِي القرآن.

٧) كذب الفرق المبتدعة فِي القديم والحديث فِي دعوتِها الانتساب للسلفية.

٨) انحصار السلفية فِي أهل الحديث وأنَّهم الطائفة الناجية المنصورة.

٩) المقصود بأهل الحديث فِي هذا العصر: كل من اعتقد اعتقادهم فإن انضاف إلَى ذلك الانشغال بعلم الحديث فَهذا خير على خير.

١٠) وجوب اتباع السلف فِي فهم الكتاب والسنة.

١١) كل صفة حميدة ورد بِها النص من الكتاب والسنة فللسلفيين فيها قدم السبق وأنَّهم أولى بِها من غيرهم.

١٢) تَهافت الشبه (الافتراءات) الَّتِي ينعق بِها دعاة الباطل حول الدعوة السلفية لينفروا الناس عنها.

١٣) إن حكم أهل السنة السلفيين على الفرق المبتدعة بالضلال والبدعة إنَّما هو على منهاجها أما الأشخاص الذين ينتسبون إليها فكل بحسبه.

١٤) حرص أهل السنة السلفيين على دعوة الناس للخير.

١٥) رحمة أهل السنة السلفيين بالمخالف وبغيره.

١٦) أن السلفية ترادف: أهل الحديث، الطائفة الناجية المنصورة، الجماعة، وأهل السنة والجماعة، وأهل الأثر.

١٧) أن أساس دعوة أهل السنة السلفيين الدعوة إلَى توحيد الله الخالص، وبِهذا تخالف سائر الفرق المبتدعة وتوافق دعوة الأنبياء والرسل جميعًا.

١٨) أن دعوة أهل السنة دعوة شمولية وصالحة لكل زمان ومكان وغيرها من الدعوات تَهتم ببعض جوانب الدين ولم توفق فيها.

١٩) حرص السلفيين على جماعة المسلمين، ووحدة كلمتهم وفق الكتاب

والسنة ومنهج سلف الأمة.

٢٠) اهتمام أهل السنة السلفيين بالتصفية ثُمَّ التربية على وفق الشرع.

وبعد: فهذه بعض النقاط الَّتِي تنوولت فِي البحث والنقاط كثيرة ولكني ذكرت أبرزها فِي نظري والعلم عند الله.

والحمد لله رب العالمين

كتبه: أبوعبدالسلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي

٥/ ذو الحجة/ ١٤٢٠هـ

منزلة الدعوة السلفية من الدعوات البدعية

سرنا على درب النجاحْ نبغي السعادة والفلاحْ
الحق دومًا دأبنا والشر عن نَهجي[(١)] مزاحْ
فِي الله لا نخشى العدا شِبْهَ الضراغم فِي البطاحْ
شمع السخافات انطفا والحق أشرق كالصباحْ
ليل الخرافات اختفى وبدت لنا شمس الصحاحْ
مُذْ جاء مقبل[(٢)] دورنا بالعلم قد فاحت فواحْ
فالحق أبلج قد سما والجهل قد ولى وراحْ
والسنة الغراء فِي عز تخلله انشراحْ
وكلام شيخي مُقْبِلٍ عذب كما الماء القراحْ[(٣)]
مرحى محدث عصرنا من للسفاسف قد أطاحْ
واجتاح كل معاقل للشر نعم الاجتياحْ
من قال فِي نصح لنا سيروا على الحجج الوضاحْ
لا الرأي نقبله ولا فِي الدين نرضى الاقتراحْ
نَهج الصحابة نَهجنا نَهج السهولة والسماحْ

---

(١) أعني منهج أهل السنة والجماعة الذين ساروا على فهم سلف الأمة.

(٢) أعني به محدث العصر شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) القراح: العذب كما فِي القاموس.

سلفية قامت على الـ وحين جادت فِي النصاحْ
لا الرفض منهاجًا لنا فقد امتطى الكذب الصراحْ
رفضوا اتباع الحق بل سلكوا سبيل الانتزاح(١)
فإلى اتباع للهوى يبغون إطلاق السراحْ
تبًّا لَهم من فرقة للدين ما خفضوا الجناحْ
أما التصوف كم دعا للشرك كم قد ذا أباحْ
أذكارهم دن دن دنا وهراؤهم ضاهى النباح
قصدوا التقرب بالخنا تبًّا لَهم أنى الفلاح
والباطنية إنَّها فِي الكفر قد ساحت سياح(٢)
فلكم أباحوا للورى ما حرم الرحمن صاح(٣)
تبعوا مسيلمة الذي قد كان بعلاً من سجاح(٤)
كل المحارم عندهم فيهن أفتوا بالنكاح(٥)
هذا ابن تيمية الذي من كان للأحداث ماح

---

(١) الانتزاح: البعد والنأى.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما هؤلاء القرامطة الباطنية فإنَّهم فِي الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل.... مجموعة الفتاوى (٣٥/ ١٤١) وقال أيضًا: هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين. (٣٥/ ١٤٩).

(٣) صاح اسم مرخم على غير قياس، وأصله: يا صاحبي.

(٤) من هنا بِمعنَى الباء ومنه قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥].

(٥) قال شيخ الإسلام عنهم: بل يستحلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونكاح الأمهات والبنات وغير ذلك من المنكرات (٣٥/ ١٣٣).

قــد قــال فــيهم أنَّهــم ... قد عـاقروا الكفـر البـواح
ســحقًا لَهــم مــن شــلة ... للــشر أضــحوا فِي انطــراح
أمـــا التحـــزب شره ... قــد زاد فِي الجــسم الجــراح
عجبًــا لَهــم مــن معــشر ... لَــم يَكْفِهِــمْ أخــذ المبــاح
حقــروا التمــسك بالهــدى ... ورضـــوا بأفكـــار قبـــاح
فبلبـــسهم وبكـــذبِهم ... زعمـوا الـصلاح ولا صـلاح
وإذا نـــصحت القـــوم لا ... تجــدن مــن يبــغ انتــصاح
فلقـــد غـــدت آذانُهـــم ... لا يجــدين بِهــا الــصياح
ونـــصائح العلـــماء قـــد ... ذهبــت بــأدراج الريــاح
هـــلا اتقيـــتم ربـــكم ... وســـلكتمو درب النجـــاح
وصـــدقتمو فِي توبـــة ... لله مـــن دون انـــتزاح
ورضـــيتمو نَهـــج الألى الــ ... أســـلاف منهـــاج الـــسماح
صــلوا عــلى المبعــوث مــا ... قــري عــلى الأغــصان نــاح

نظم: أبي عاصم حسين بن علي العسل

دار الحديث بِمعبر

الفهرس

من منشوراتنا

مؤلفـــات العلامة

أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

١ الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ١-٦
٢ الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ١-٢
٣ الصحيح المسند من دلائل النبوة
٤ الصحيح المسند من أسباب النزول
٥ الجامع الصحيح في القدر
٦ أحاديث معلة ظاهرها الصحة
٧ الشفاعة
٨ مجموعة رسائل علمية
٩ المخرج من الفتنة
١٠ المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح
١١ الإلزامات والتتبع/ للحافظ الدارقطني- دارسة وتحقيق
١٢ إجابة السائل عن أهم المسائل
١٣ الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السنية
١٤ قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد

من منشوراتنا

١٥ غارة الأشرطة على أهل الجهل السفسطة ١-٢
١٦ إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبدالله القرضاوي
١٧ الإلحاد الخميني في أرض الحرمين
١٨ ترجمة ابي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي
١٩ تراجم رجال الدارقطني
٢٠ تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب
٢١ غارة الفصل على المعتدين على كتب العلل
٢٢ مقتل الشيخ جميل الرحمن الأفغاني
٢٣ ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر
٢٤ حكم تصوير ذوات الأرواح
٢٥ شرعية الصلاة في النعال
٢٦ تحريم الخضاب بالسواد
٢٧ ذم المسألة
٢٨ إيضاح المقال في أسباب الزلزال
٢٩ مشاهداتي في المملكة العربية السعودية
٣٠ تحفة الشاب الرباني في الرد على الإمام الشوكاني
٣١ إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الرافضة من اليمن
٣٢ صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال

من منشوراتنا

١ نصيحتي للنساء

أم عبدالله بنت مقبل بن هادي الوادعي

٢ الجامع في أحكام اللحية

علي بن أحمد بن حسن الرازحي

٣ الهداية في ترتيب فوائد "البداية والنهاية"

أبوعمار ياسر العدني

٤ التيسير بمعرفة أسانيد وكتب التفسير

علي بن أحمد بن حسن الرازحي

٥ شرح مسائل الجاهلية / للآلوسي

تحقيق/ علي بن أحمد بن حسن الرازحي

٦ إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب إلى السلفية

أبوعبدالسلام حسن بن قاسم الريمي

٧ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب / للشيخ خالد الأزهري

تحقيق/ أبي بلال الحضرمي

٨ أخلاق حملة القرآن / للآجري

تحقيق/ علي بن أحمد بن حسن الرازحي

من إصداراتنا

